الرَّسُول ﷺ

مجموعة من الحقائق الغيبية والعلمية
تشهد بصدق رسالة الرسول ﷺ



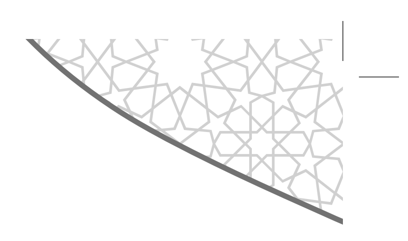
حسن الخاطر

الرَّسُول صلى الله عليه وآله وسلم

مجموعة من الحقائق الغيبية والعلمية تشهد بصدق رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

الطبعة الأولى

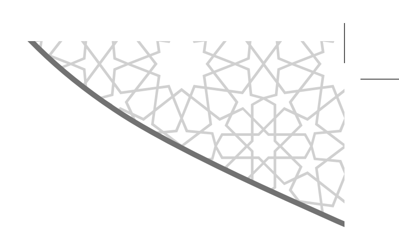
١٤٣١هـ-٢٠١٠م



إذا كان هناك شخص يَستحق أن يُخلق هذا الكون الشاسع لأجله.. فلا شك ولا ريب سيكون هذا الشخص هو الرسول ﷺ... لأنه... ببساطة وبكلمتين.. أفضل الخلق!

المؤلف





الإهـــــداء

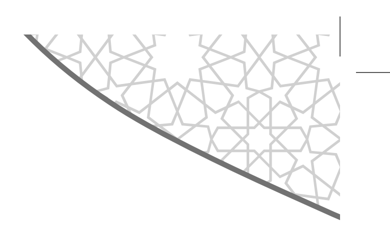
إليك يا أفضل الخلق..

إليك يا من خُلق الكون لأجله..

إليك يا من تشرفت به السماء في ليلة المعراج..

أيها الرسول ﷺ... إليك أهدي هذا الكتاب.



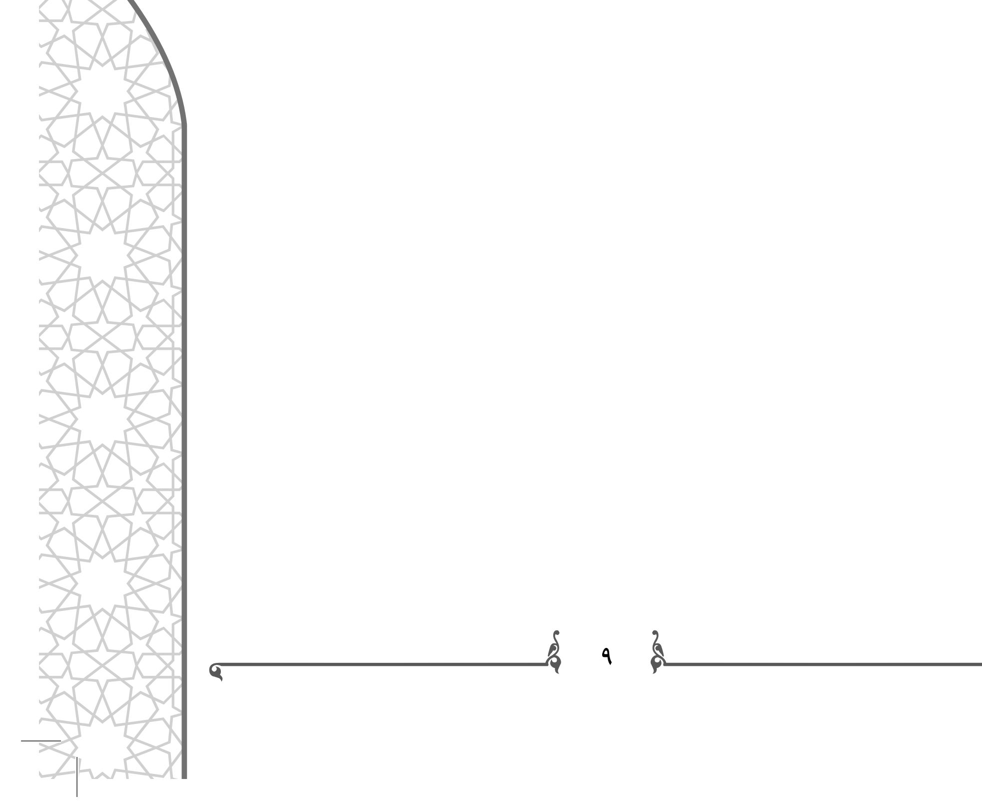


شكر خاص

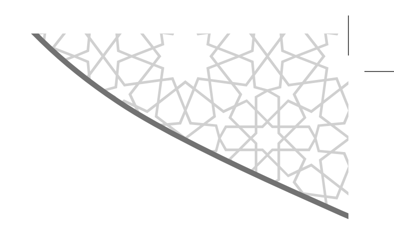
أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان..

لكل من ساهم بوقته في إخراج هذا الكتاب إلى الوجود..

لكل من ساهم بماله في طباعة هذا الكتاب وتخفيض سعره..





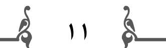


ملحوظة مهمة

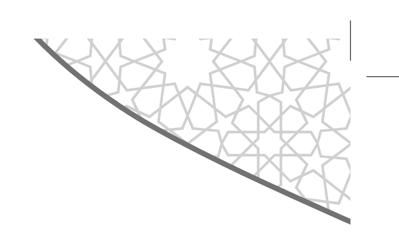
إن الكتابة النصية لهذا البحث والاقتباسات والتعليقات والمعادلات الفيزيائية والحسابات الرياضية والأحداث والتحليلات التاريخية، تمت كاملة بواسطتي، لهذا فإن أية أخطاء لغوية أو فيزيائية أو رياضية أو تاريخية أو مطبعية توجد في هذا الكتاب تنسب لي.

المؤلف

٢٨/ صفر/ ١٤٣١هـ







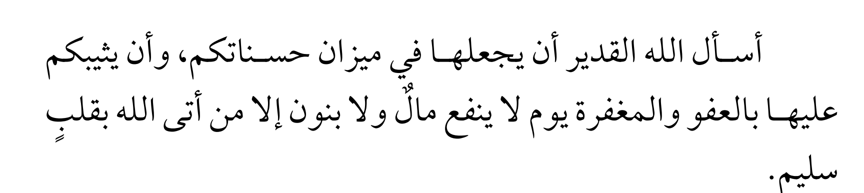
كلمة حول الكتاب[1]

الأستاذ الفاضل حسن الخاطر حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد تصفحت مسودة كتابكم الجديد المعنون بـ(الرسول ﷺ)، والذي تبينون فيه بقلم سلس عبقرية النبي الأمي العظيم محمد بن عبدالله ﷺ من خلال ما ورد فيه من آيات قرآنية وروايات عن تلميذه العظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أسلوب سهل ممتنع لا يخلو من علم وفائدة، فجزاكم الله خير الجزاء إزاء ما تطرحونه في ساحة الفكر والأدب من مساهمات ثرّة ميمونة.

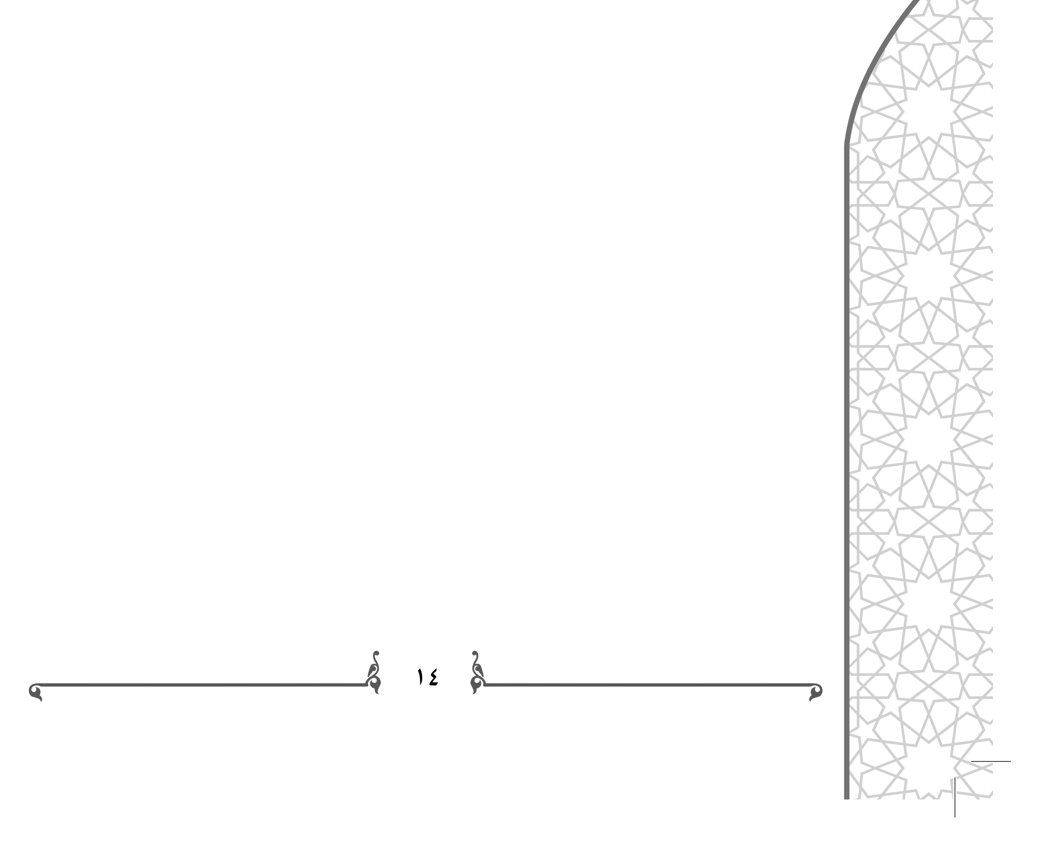
(١) الأستاذ عبد الخالق الجنبي من مواليد القديح عام ١٣٨٤هـ، ويعتبر من ألمع الباحثين التاريخيين في منطقة القطيف، ولديه العديد من المؤلفات أشهرها شرح ديوان ابن المقرب، هجر وقصباتها الثلاث، جرّة مدينة التجارة العالمية القديمة، قبر الآجام.

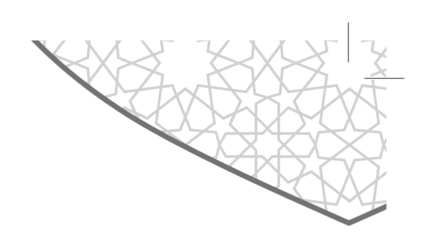


أسـأل الله القدير أن يجعلهـا في ميزان حسـناتكم، وأن يثيبكم عليهـا بالعفو والمغفرة يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبـي

المحدود- ١٩/ ٤/ ١٤٣١هـ





كلمة حول الكتاب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

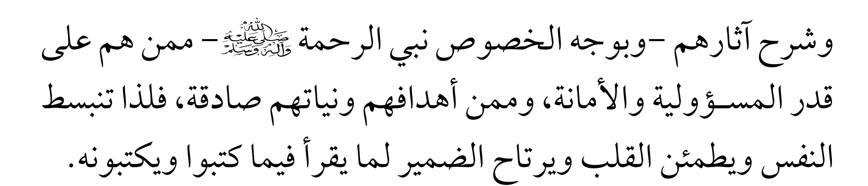
الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلق الله محمد وعلى آله الطاهرين، وبعد:

قال الله في محكم كتابه الحكيم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب:٢١].

فحقيق على المسلم أن يهتدي بهدي نبيه ﷺ وأهل بيته الطاهرين، لأن في هديهم النجاة والسلامة من المهالك في الدنيا والآخرة.

ومن سبل الهداية بهديهم قراءة ما يكتب عن سيرتهم وعلومهم

(١) الأستاذ جاسم آل سعيد من مواليد جزيرة تاروت عام ١٣٩١هـ، حاصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة الملك سعود عام ١٤١٧هـ، وهو أحد الخطباء في جزيرة تاروت.



وشرح آثارهم -وبوجه الخصوص نبي الرحمة ﷺ- ممن هم على قدر المسؤولية والأمانة، وممن أهدافهم ونياتهم صادقة، فلذا تنبسط النفس ويطمئن القلب ويرتاح الضمير لما يقرأ فيما كتبوا ويكتبونه.

وقد قال حكيم قديم: «من لم يكتب ولم يقرأ خسر العمر كله»، فأما أن تكتب فلك نصف عمرك، وأما أن تقرأ فلك النصف الآخر من عمرك، وأما أن تكتب وتقرأ فلك العمر كله وكل هؤلاء قليل في أمة اقرأ!

فما أجمل وأحلى أن يقرأ المسلم -بل الإنسان- شيئًا عن نبيه فيستهدي بهديه ويسترشد بإرشاده ويتحلى بأخلاقه ويسير على منهاجه، في عصرٍ المسلمون فيه بلا إسلام، وشبانهم لا يعرفون عن نبيهم إلا اسمه، ولذا تجد من يصرخ باسمه يصرخ في وادٍ لا يرد صدىً، وفي المقابل نقرأ لمن لم يؤمن بنبوته ولا رسالته يقول فيه (برناردشو): «إن رجلاً مثل محمد ﷺ لو تسلم زمام الحكم المطلق اليوم في العالم كله لتم له النجاح في حكمه، وقاده إلى الخير وحل مشاكله بوجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة».

ويقول صاحب كتاب قصة الحضارة (ديورانت): «إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمدًا ﷺ كان أعظم عظماء التاريخ».

وأخيرًا أقول في هذا الكتاب إنه مصداق من مصاديق قول سيدنا ومولانا الإمام الرضا عليه السلام: «رحم اللهُ عبدًا أحيا أمرنا». فقلت له[1]:

(١) السائل هو عبد السلام بن صالح الهروي.

وكيف يحيي أمركم؟ قال: «يتعلم علومنا ويعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[1].

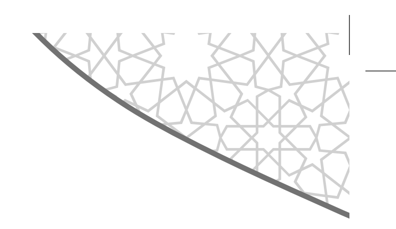
ثم لست أنا من يقوِّم مثل هذا العمل العملاق، فهنيئًا لمؤلفه هذا التوفيق وحسن الاختيار فيما كتب واستنتج وحلل في ذكر سيد الكائنات محمد وآله الأبرار، وأدعو له أن يتقبل منه بأحسن قبول العارفين الأخيار.

جاسم آل سعيد

تاروت- ١٥/ ٤/ ١٤٣١هـ

(١) عيون أخبار الرضا ١/ ٢٧٥.





كلمة حول الكتاب[1]

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسـلام على أشـرف خلقه أجمعين محمد وآله الطاهرين

بعث الله محمدًا ﷺ «وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْـلاَءُ؛ حَيَـارَى فِي زَلْزَالٍ مَنَ الأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِـنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَـى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»[2].

فما هي إلا سنوات حتى «دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ،

(١) الأستاذ السيد هاشم الهاشم من مواليد صفوى عام ١٣٨٨هـ، وهو من رجال الدين، حاصل على درجة البكالوريوس من جامعة الملك سعود في اللغة العربية عام ١٤٢١هـ مع مرتبة الشرف ومن ثم حصل على درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة البحرين عام ١٤٢٩هـ، ويعمل معلمًا للغة العربية.

(٢) نهج البلاغة/ ٢٦٤.

وأَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ»[١].

وبحكمته ﷺ وأسلوبه الآخّاذ وأخلاقه العظيمة دخل الناس في دين الله أفواجًا وما مضى ربع قرن حتى أضحى الإسلام هو المسيطر على المعمورة وأمسى المسلمون في رفاهية من العيش وبلغوا درجة عظيمة من الحضارة المدنية والتقدم والازدهار. ومع ابتعاد المسلمين عن مصدر عزتهم وتركهم لسنة نبيهم باتوا أذلة خاسئين يتخطفهم الناس من حولهم من جديد.

وما أحوجنا نحن -المسلمين- اليوم للعودة إلى الإسلام وإلى التأسي بنبي الإسلام في أقواله وأفعاله حتى نفوز في الدارين وترجع لنا عزتنا وكرامتنا، أوليس نبينا هو الرحمة المهداة؟ «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[٢]، وقد قال عنه الباري عز وجل: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[الأنبياء:١٠٧]، وقد أمرنا الله بالتأسي والاقتداء به ﷺ حيث قال: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[الأحزاب:٢١].

والكتاب الذي بين أيدينا لأخينا الأستاذ حسن الخاطر -حفظه الله- قد سلط الأضواء على جوانب مهمةٍ من سيرة النبي الأعظم بدءًا من ثناء الباري عز وجل على هذه الشخصية الفذة وأقوال أخيه باب مدينة علمه علي عليه السلام فيه، وما قاله العلماء والمفكرون حول شخصيته الفريدة مما يكشف جوانب من عظمة الرسول ﷺ ليتسنى

(١) نهج البلاغة/ ٢٦٥.
(٢) سنن الدارمي ١/ ٢١.

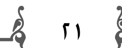
للمسلمين التأسي والاقتداء به قدر المستطاع.

وقد تناول الأستاذ حسن الخاطر الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن المنزل على قلبه ﷺ والحقائق العلمية التي نطق بها ﷺ مما يدلل على عظمة هذا النبي ﷺ وارتباطه بالله وصدق نبوته.

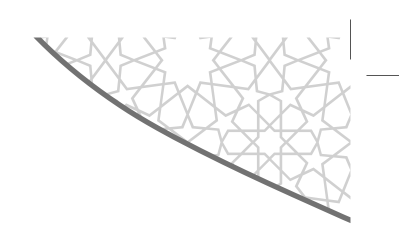
وقد أحسن الكاتب اختيار بعض الأحاديث المروية عنه ﷺ مما لها كبير الأثر في حياة المسلمين لو عملوا بها وفي الأخير نسأل الله أن يوفق أخانا الأستاذ حسن الخاطر لمزيد من العطاء ولمزيد من الكتابات الهادفة التي تعالج قضايا الأمة، وأن يجعل كتاباته التي بلغت الأربعة عشر مؤلفًا في ميزان أعماله وأن لا ينسانا من صالح دعواته.

السيد هاشم حسين الهاشم

صفوى- ٢٩/ ربيع الآخر/ ١٤٣١هـ







الهدف من هذا الكتاب

«إِذَا مَـاتَ الإِنْسَـانُ انْقَطَـعَ عَمَلُـهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ، مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

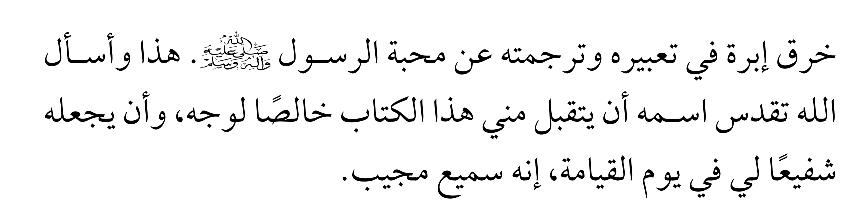
الرسول ﷺ/ سنن النسائي

حمدًا لله وصلاة وسـلامًا على رسـوله محمـد وعلى آله الذين اصطفى وبعد، فبين يديـك أخي القارئ مجموعة من الحلقات كُتبت فـي أوقـات متفرقـة، صنفتها في النهاية على سـبعة أقسـام، كل قسـم يحتـوي على مجموعة مـن هذه الحلقات، لقد قمت بتقسـيم الكتاب على الشـكل التالـي: القسـم الأول يحتوي على تسـع حلقات، وهي مقتطفـات من كتب السـيرة والتاريـخ وغيرها من الكتب المشـهورة، تناولت في هذه الحلقات الآيات القرآنية التي تتحدث حول الرسـول ﷺ، ذكـرت بعدهـا أيضًا مسـألةً مهمةً جـدًا وهي الإغـراءات التي

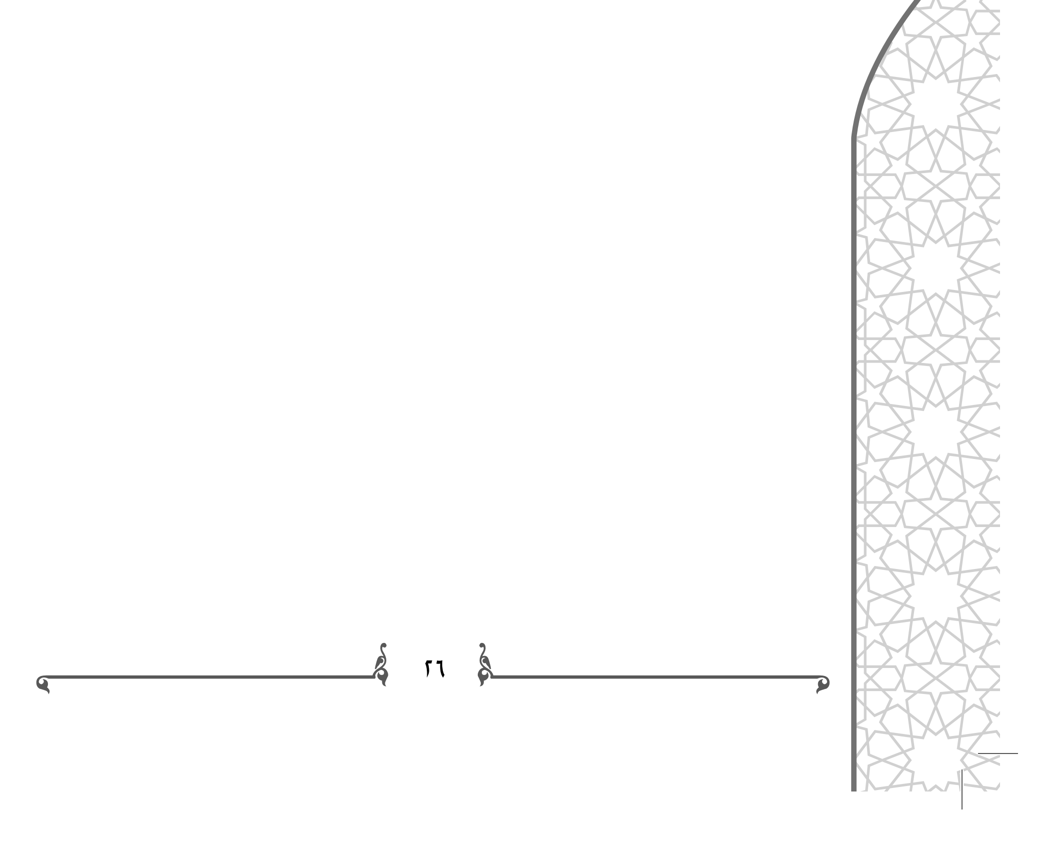


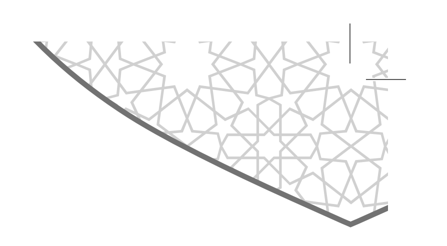
قُدمت للرسول ﷺ ليتنازل عن تبليغ الرسالة، وذكرت خطبة من نهج البلاغة يتكلم فيها الأمير حول النشأة المباركة، وموقف قريش من معجزة الشجرة، ولقد قمت بذكر الوصف الذي وصفه جعفر بن أبي طالب لملك الحبشة للإسلام، وبالطبع هناك علماء ومفكرون تأملوا في سيرة الرسول ﷺ وشعروا بنوع من الجمال والإعجاب في هذه السيرة، وقد استطاعوا أن يترجموا هذا الجمال والإعجاب ببعض الكلمات ذكرتها أيضًا، كذلك قام الشعراء بمدح الرسول ﷺ بأعداد كبيرة من القصائد، ففي كل يوم تخرج لنا قصيدة جديدة أو أكثر في مدح الرسول ﷺ وإذا كان من الصعوبة أن أكون على اطلاع تام لجميع القصائد فلا يعني هذا أن لا أذكر ولو قصيدة واحدة معاصرة في مدح الرسول ﷺ، فاخترت قصيدة الدكتور العراقي عباس الجنابي في مدح الرسول ﷺ، وهي من القصائد التي أُعجبت بها كثيرًا وقد حفظتها من أول مرة قرأتها، كما يوجد أيضًا في القسم الأول ثلاث مقولات مشهورات للرسول ﷺ، ومواقف الرسول ﷺ المدهشة حقًا وهي أكثر من أن تحصى، فذكرت بعض هذه المواقف ليتأمل فيها القارئ، إن هذه المواقف يتعلم منها الإنسان وهي حقًا مدرسة علّمنا الرسول ﷺ فيها كيف يعفو عن أبي سفيان على الرغم من حروب استمرت معه ثمان سنوات بعد الهجرة فضلاً عن الأذى الذي لحق بالرسول ﷺ منه قبل الهجرة! وكيف يطلب الرسول ﷺ من المسلمين أن يقتصوا منه إذا كان بالفعل قد أخطأ في حق أحد؟ هل هناك حاكم يفعلها الآن؟! هل هناك مدرسة يتعلم فيها الإنسان دروس العفو والرحمة والتسامح أفضل من مدرسة الرسول

ﷺ؟! وفي نهاية القسم الأول ذكرت معجزة المعراج وانشقاق القمر بالإضافة إلى معجزة الشجرة التي ذكرتها من نهج البلاغة، وهذه المعجزات تقع ضمنيًا بين آلاف المعجزات للرسول ﷺ، التي أتى بها ليثبت صدق رسالته. أما القسم الثاني من الكتاب يتناول ستة وعشرين حلقة متسلسلة زمنيًا حول الحقائق الغيبية التي نطق بها الرسول ﷺ، وهذه الحقائق بالفعل تدل على صدق رسالة الرسول ﷺ. واستكمالاً للموضوع نفسه ذكرنا ثمان حقائق غيبية نطق بها القرآن في القسم الثالث. أما بالنسبة للقسم الرابع من الكتاب فيتناول ثمان حلقات علمية من تراث الرسول ﷺ، وهذه الحقائق العلمية أيضًا تشهد بصدق رسالة الرسول ﷺ. واستكمالاً للموضوع نفسه أيضًا ذكرنا ثمان حقائق علمية نطق بها القرآن في القسم الخامس. وذكرت في القسم السادس بعض الأحاديث التي رويت عن الرسول ﷺ اخترتها من كتب الحديث المشهورة. وختامًا ذكرتُ مجموعة من الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ للملوك. إن الهدف الأساسَ من هذا الكتاب -أنه يجب علينا كمسلمين- أن نولي اهتمامًا كبيرًا لسيرة الرسول ﷺ في جميع جوانبها أو معظمها وهذا ما سعيت إليه بصفتي أحد الذين يحبون الرسول ﷺ ويحبون أن ينشروا ثقافة الرسول ﷺ لجميع أفراد المجتمع صغارًا وكبارًا رجالاً ونساءً، وقد تعمدت أن أجعل لغة الكتاب موجزةً وبسيطةً وشائقةً وأنا أعتقد أن البساطة في إيصال الفكرة هي أهم عامل من عوامل جمال الكتاب ليسهل على الجميع تناوله، وإنه من المؤكد أنني في غاية السعادة إذا وصلت لهذا الهدف، فما أجمل أن يساهم الإنسان ولو بمقدار



خرق إبرة في تعبيره وترجمته عن محبة الرسـول ﷺ. هذا وأسـأل الله تقدس اسـمه أن يتقبل مني هذا الكتاب خالصًا لوجه، وأن يجعله شفيعًا لي في يوم القيامة، إنه سميع مجيب.





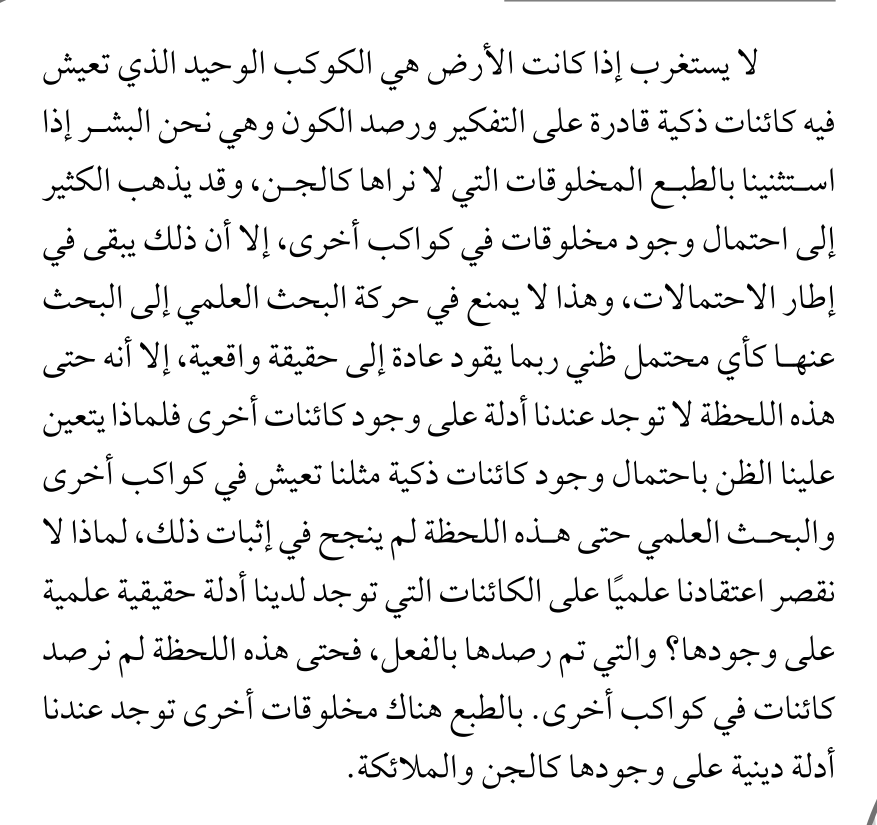
الأرض بين التكوين والتشريع

﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[النساء:١٦٥]

تتميز الأرض من ناحية تكوينها بخصائص عديدة تتلاءم لاستقبال الإنسان، كبعدها عن الشمس، وغلافها الجوي، وتعاقب الليل والنهار فيها....، إن هذه الميزات هي التي جعلت الأرض ذات مكانة مهمة بالنسبة للكون، وهذا ما دفع بأرسطو أن يعتقد بمركزية الأرض في الكون والحركة الدائرية للشمس والكواكب حول الأرض باعتبار أن الحركة الدائرية هي أكثر الحركات كمالاً، هذه الاعتقادات التي اعتقدها أرسطو بالطبع ناتجة عن أسباب تأمليّة وروحية ودينية وليست علمية.





لا يستغرب إذا كانت الأرض هي الكوكب الوحيد الذي تعيش فيه كائنات ذكية قادرة على التفكير ورصد الكون وهي نحن البشر إذا استثنينا بالطبع المخلوقات التي لا نراها كالجن، وقد يذهب الكثير إلى احتمال وجود مخلوقات في كواكب أخرى، إلا أن ذلك يبقى في إطار الاحتمالات، وهذا لا يمنع في حركة البحث العلمي إلى البحث عنها كأي محتمل ظني ربما يقود عادة إلى حقيقة واقعية، إلا أنه حتى هذه اللحظة لا توجد عندنا أدلة على وجود كائنات أخرى فلماذا يتعين علينا الظن باحتمال وجود كائنات ذكية مثلنا تعيش في كواكب أخرى والبحث العلمي حتى هذه اللحظة لم ينجح في إثبات ذلك، لماذا لا نقصر اعتقادنا علميًا على الكائنات التي توجد لدينا أدلة حقيقية علمية على وجودها؟ والتي تم رصدها بالفعل، فحتى هذه اللحظة لم نرصد كائنات في كواكب أخرى. بالطبع هناك مخلوقات أخرى توجد عندنا أدلة دينية على وجودها كالجن والملائكة.

من ناحية ثانية أن الأرض كانت مهبط الرسل الذين كانوا حلقة وصل بين الله والبشر، وهذا هو أقوى الأدلة على اهتمام الله بالأرض، فأنا أعتقد أنه لو كانت توجد كائنات عاقلة وذكية على كواكب أخرى لكانت مهبط للرسل أيضًا، لكننا لم نسمع أن الله بعث رسلاً لكواكب أخرى غير كوكب الأرض. ونريد أن ننوه أن عدم ذكر الشيء لا ينفي ولا يمنع من وجوده، وقد يكون الرسول ﷺ أحد الرسل الذين بعثهم الله لجميع مخلوقاته في الكون وربما يتخاطب معهم ويتخاطبون معه أيضًا، وهذا القول الذي أقوله لا يمنع من حدوثه إذا كنا لا نستطيع أن ننفيه.



ومن هذا المنطلق وحسب الأدلة الموجودة لدينا يبدو لنا أن كوكب الأرض يحظى باهتمام من إله مهتم، إله خالق ومشرّع، لم يسن قوانين الطبيعة وحسب، بل التعاليم التي تدعو إلى الخير واجتناب الشر، والحلال والحرام، لقد بعث إلينا الرسل ليعلمونا كيف نعبده، ويعلمونا ما ينبغي فعله وما لا ينبغي! يعلمونا جميع الأشياء من توافه وصغائر الأمور إلى الأمور الكبيرة، كل هذا يدل على إله مهتم بنا جميعًا نحن البشر، ونتيجة لطاعة هؤلاء الرسل ستكون الجنة لمن أطاعهم، ونتيجة أيضًا لعصيانهم ستكون النار لمن عصاهم.

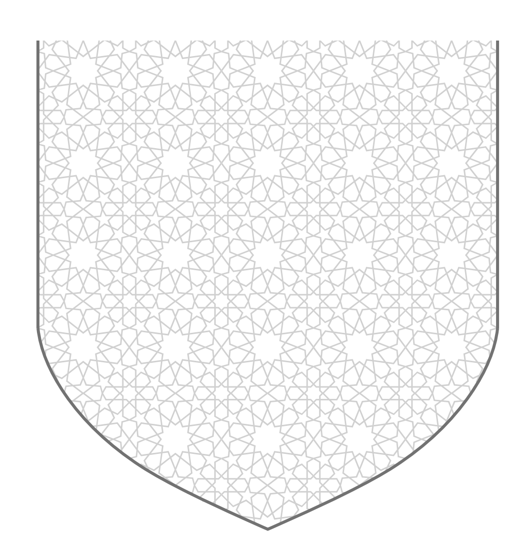
إن قوانين الطبيعة منذ بداية الكون وحتى هذه اللحظة لا نجد فيها مكانًا للقيم والأخلاق، والحلال والحرام، فلو فرضنا أن هناك نظرية تحكم الكون منذ وجوده وحتى وفاته، وهي ليست سوى قواعد ومعادلات -مما لا شك فيه أن التأمل في هذه القوانين يقودنا إلى وجود الخالق لا إلى ما يريده الخالق منا، وكما قال الأعرابي: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على العليم الخبير؟- فإن هذه النظرية لا تعلمنا كيف نصلي، وكيف نصوم، وكيف نحج، وكيف نتصدق، وكيف ندعو الله في صلاة الليل...إن هذه الأمور لا نجدها في هذه الطبيعة الجميلة الخلابة ولا في قوانينها، بل سنجدها في مكان آخر، سنجدها عند أولئك الرسل الذين كان الله يوحي إليهم، ليقولوا لنا: ماذا يريد الله منا؟

إن من يتتبع تاريخ الأرض التكويني أو التشريعي يلاحظ العناية

الفائقة بهذا الكوكب العجيب، فمن المستحيل أن يحظى هذا الكوكب بهذه العناية، وفي النهاية يترك بلا رسول يمثل حلقة الوصل بين الله والبشر؟؟!! ولا شك ولا ريب أن الإمامة هي امتداد لخط الرسالة، فهذا يقتضي أيضًا أن الأرض من المستحيل أن تترك بغير هذا الإمام كي يرجع إليه الناس فيما أشكل عليهم من أمور.

بالطبع لقد تجادل الناس قرونًا طويلة بخصوص هذه المسألة، أي مسألة وجود الإمامة بعد موت الرسول ﷺ، فاخترعوا حلولاً تعتمد على ما ذهبوا إليه من أدلة تعضّد هذه الحلول. أنا لن أحاول مناقشة هذه الحلول، فمن يريد مناقشتها فكتب العقائد متوفرة على الشبكة وهي أكثر من أن تحصى، سأكتفي بإضافة حلٍ آخر مبتعدًا عن العواطف، فإذا كان بالفعل أن الله أرسل هؤلاء الرسل ليعلموا الناس الحلال والحرام، فأبسط كلمتين أستطيع أن أقولها إن الرسول ﷺ من خلال الاستناد على المعطيات التاريخية التي أمامنا نقرأ منها أنه كان مهتمًا بهذا الموضوع كثيرًا، وسوف نتطرق لهذا الاهتمام في الحلقات القادمة، هذا ما أستطيع أن أقوله الآن في هذا العنوان.

وأنا لا أعتقد أنه من الممكن تبرير أساليب الاستبداد الأموي والعباسي بأهل البيت ببرهان واضح عقلي إلا لاعتقادهم أنهم أحق بمنصب الخلافة منهم. ونحن في اعتمادنا على المواقف التاريخية تتجلى هذه النقطة بوضوح تامٍّ، وبذلك لا نستطيع أن نتجاهل هذا السؤال: لماذا مارست السلطتان الأموية والعباسية الاستبداد والقتل والتعذيب في أهل البيت؟!



القسم الأول

كلمات حول الرسول ﷺ

يتناول هذا القسم تسع حلقات تتناول بعض الآيات القرآنية وأقوال العلماء والمفكرين والشعراء إضافة إلى بعض المواقف والمعجزات والمقولات حول الرسول الأعظم ﷺ





الرسول ﷺ على لسان القرآن

﴿إِنَّ اللَّـهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُـمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَـرُوا لَهُ بِالْقَـوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَـطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُـولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [النساء:٥٩]

﴿وَأَطِيعُـوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَاحْذَرُوا فَـإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢]

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُـمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَـنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُـمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُـمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ

الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المجادلة:١٢]

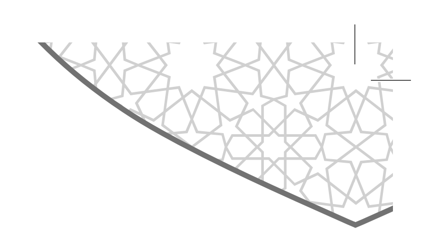
﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:٦]

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤]



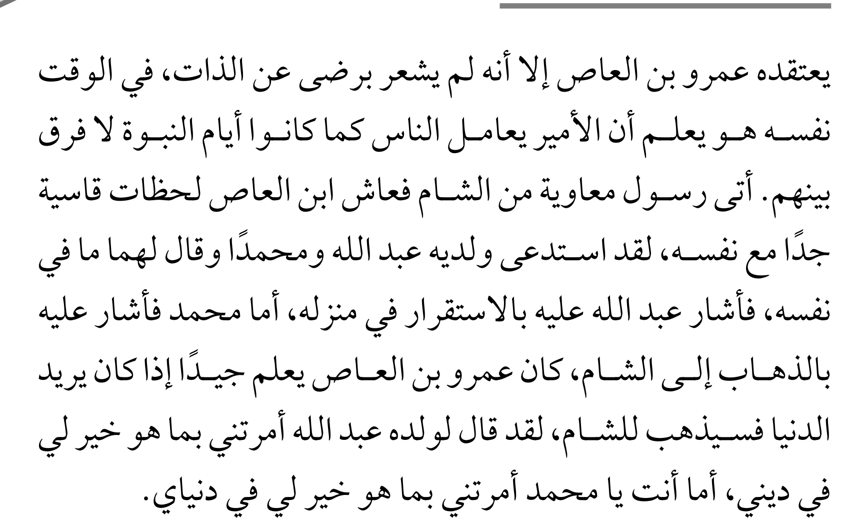
الرسول ﷺ على لسان نفسه

«حب الدنيا رأس كلِّ خطيئة».

الرسول ﷺ/ شعب الإيمان

لقد ترك عمرو بن العاص المدينة قبل مقتل الخليفة عثمان بن عفان، لقد اختار القدس وقطن في دار كان يملكها هناك، لقد كان عمرو بن العاص يتقصى أخبار الخلافة، لقد سمع أن الأمير انتصر في معركة الجمل والتي مات فيها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وهذان كانا من ضمن الستة الذين اختارهم الخليفة عمر بن الخطاب، ولم ينس بالطبع عمرو بن العاص أن عبد الرحمن بن عوف قد مات، وأن سعد بن أبي وقاص زهد في الخلافة، لم يتبق إلا معاوية أن تزف له الخلافة.

كان يعتقد عمرو بن العاص أنه إذا وضع يده مع معاوية بن أبي سفيان فإنهما بالتأكيد سوف يفوزان بالخلافة، ورغم هذا النجاح الذي



يعتقده عمرو بن العاص إلا أنه لم يشعر برضى عن الذات، في الوقت نفسه هو يعلم أن الأمير يعامل الناس كما كانوا أيام النبوة لا فرق بينهم. أتى رسول معاوية من الشام فعاش ابن العاص لحظات قاسية جدًا مع نفسه، لقد استدعى ولديه عبد الله ومحمدًا وقال لهما ما في نفسه، فأشار عبد الله عليه بالاستقرار في منزله، أما محمد فأشار عليه بالذهاب إلى الشام، كان عمرو بن العاص يعلم جيدًا إذا كان يريد الدنيا فسيذهب للشام، لقد قال لولده عبد الله أمرتني بما هو خير لي في ديني، أما أنت يا محمد أمرتني بما هو خير لي في دنياي.

أخذ (عمرو بن العاص) يفكر بين الدنيا والآخرة، لقد شعر به غلامه وردان فقال له: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت إن عليًا معه الآخرة في غير دنيا! وفي الآخرة عوض عن الدنيا. ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض عن الآخرة وأنت واقف بينهما!

سار عمرو بن العاص للشام واستقبله معاوية بكرم فريد من نوعه، لقد قال له: يا أبا عبد الله، ثلاثة أخبار طرقتنا؟ محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وملك الروم زحف بجماعته نحو الشام، وعلي تهيأ بالمسير إلينا! لقد تبسم ابن العاص في وجه معاوية، فمحمد بن أبي حذيفة أرسل إليه من يقتله وإن قاتل لم يضرك، أما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب، أما علي فو الله يا معاوية ما يسوَّى بينك وبينه في شيء من الأشياء وأن له في الحرب حظًا ما هو لأحد من قريش، وأنه أحق وصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه!

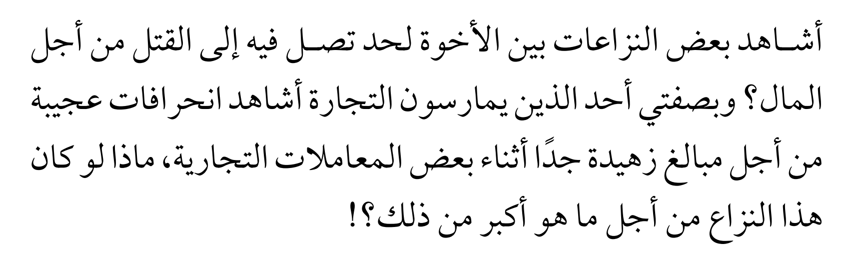


لقد قال معاوية: لكنه شـق عصا المسـلمين، وقتـل الخليفة عثمان بن عفان، وأظهر الفتنة، وفـرق الجماعة..كان عمرو بن العاص يعلم من هو الأمير فقال له: ليس لك هجرتهُ ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهـه ولا علمـه، ووالله ما أنت بكفء لحربـه!! فما تجعل لي إذا أعنتك على ذلك وأنت تعلم ما في ذلك؟ أريد أن تُعطيني مصرًا؟! لقد تفاجأ معاوية وقال له: يا أبا عبد الله إني أكره أن تتحدث العرب عنك أنـك إنما دخلت في هذا الأمر لغـرض الدنيا؟! قال له: وأنت ألا تريد الدنيا أيضًا بحربك لعلي؟ لقد وعده بمصر ووفى بوعده.

إذا كان يوجد تاريخ دموي سوف يكون تاريخ الخلافة والملك والمال! إن جميع حروب العالم التي تحصل الآن، والتي حصلت في الماضي كانت بسبب الحكم، ألم تفقد البشـرية فـي الحرب العالمية الأولـى أكثر من خمسـين مليونـًا؟! ألم يقتـل عبد اللـه المأمون أخاه محمـدًا الأميـن؟! نعـم! حـب الدنيـا رأس كل خطيئـة هكذا قـال لنا الرسول ﷺ.

إننـي حقًا أتعجب كيف يشـعر هؤلاء الحكام برضى عن الذات وهـم قتلوا الملايين من البشـر؟ كيف ينام هذا الحاكـم وقد قتل أخاه وأباه وعشـيرته؟ إنني لفي حيرة كبيرة من هذا السـؤال؟! كم سـيكون غريبًـا جدًا أن نحصـل عن جواب لهذا السـؤال بكلمـة لطالما رددها الخلفاء بأن الملك عقيم.

فـي الوقت ذاتـه لم تكن هـذه النتائج مفاجئة حقًـا فحب المال والملـك يفعـلان أعظم من ذلك بكثيـر، فمن خلال تجربتـي العملية



أشـاهد بعض النزاعات بين الأخوة لحد تصـل فيه إلى القتل من أجل المال؟ وبصفتي أحد الذين يمارسون التجارة أشاهد انحرافات عجيبة من أجل مبالغ زهيدة جدًا أثناء بعض المعاملات التجارية، ماذا لو كان هذا النزاع من أجل ما هو أكبر من ذلك؟!

لقد ضرب لنا الرسول ﷺ المثال الأروع في هذا، لقد اجتمع أساقفة قريش ليعطوه الحكم والمال؟! إن الدنيا تركع بقدميها في تلك اللحظة أمام الرسول ﷺ، فلو كان يريد الرسول ﷺ الدنيا لكانت تلـك اللحظة هي أروع وأجمل اللحظـات! لكنه رفض هذه الدنيا، إن الرسـول ﷺ لـم يبع رسـالته من أجل هـذا المال، إنني أشـعر بكل الأسـف تجاه أولئك الذين باعوا مبادئهم ودينهم ورسـالتهم من أجل المـال! وأنا هنا لا أريد أن أتكلم فيما لا علاج له، فحب الدنيا ليس له علاج أيها القرّاء إلا الزهد فيها.

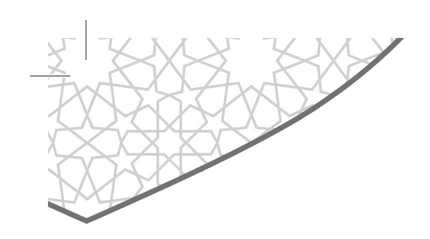
جاء في السيرة النبوية لابن هشام: «اجْتَمَعَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُـفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ(بْنِ كَلَدَةَ)، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَالأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنُ أَسَدٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الأَسْـوَدِ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْـنُ أَبِـي أُمَيَّةَ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِـلٍ، وَنَبِيهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ السَّـهْمِيَّانِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، أَوْ مَنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ.

قَـالَ: اجْتَمَعُـوا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّـمْسِ عِنْـدَ ظَهْرِ الْكَعْبَـةِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُـمْ لِبَعْـضٍ: ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّـدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُـوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ: إِنَّ أَشْـرَافَ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُـوا لَكَ لِيُكَلِّمُوكَ، فَأْتِهِمْ؛

فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنْ قَدْ بَدَا لَهُمْ فِيمَا كَلَّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءٌ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يُحِبُّ رُشْدَهُمْ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنُكَلِّمَكَ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلا مِنْ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ، لَقَدْ شَتَمْتَ الآبَاءَ، وَعِبْتَ الدِّينَ، وَشَتَمْتَ الآلِهَةَ، وَسَفَّهْتَ الأحْلامَ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إلا قَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ -أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ-: فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالا، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ بِهِ الشَّرَفَ فِينَا، فَنَحْنُ نُسَوِّدُكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ- وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّابِعَ مِنْ الْجِنِّ رِئْيًا- فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ، بَذَلْنَا لَكَ أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطِّبِّ لَكَ حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، أَوْ نُعْذِرَ فِيكَ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا بِي مَا تَقُولُونَ مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنَّ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)»[1].

(١) السيرة النبوية ١/ ٢٦٣.



الرسول ﷺ على لسان الأمير

«يَـا أَهْـلَ الْقَلِيبِ، بِئْسَ عَشِـيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُـمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِـي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِـي وَآوَانِي النَّـاسُ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرَنِي النَّاسُ».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

إن من العجيب أن نبحث في الكتب وأقوال الكثير من مسلمين وغير مسلمين حول شخصية الرسول ﷺ، إن العقل يقول لنا: لم يعرف الرسول ﷺ أحد كعلي بن أبي طالب، وأقرب الأسباب المنطقية هي الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها بصحبة الرسول ﷺ والتي امتدت منذ الصغر حتى ممات الرسول ﷺ، لقد تربى في حجره صغيرًا لم يتجاوز السابعة من عمره، فقد ذهب الرسول ﷺ مع عميه حمزة والعباس ابني عبد المطلب ليخففوا عن أبي طالب

بعـض الشـيء، كان أبو طالب يحـب عقيلاً حبًـا كثيرًا، لـذا قال لهم: خذوا من شئتم ودعوا لي عقيلاً، العباس بن عبد المطلب تكفل بتربية طالـب، وحمزة بن عبد المطلب تكفل بتربية جعفر، والرسـول ﷺ تكفـل بتربية علي! وكان الاختيار بالفعل اختيـار الله؛ كيف لا وهناك الكثير مما يريد أن يعلّمه الرسول ﷺ للأمير.

لقـد تحدث الأميـر عن هذه النشـأة المباركة في نهـج البلاغة: «أَنَـا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بَكَلاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَـرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَـرَ. وَقَـدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ بِالْقَرَابَـةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَـةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِـهِ، وَيُمِسُّـنِي جَسَـدَهُ، وَيُشِـمُّنِي عَرْفَهُ. وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّـيْءَ ثُـمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِـي كَذْبَةً فِي قَـوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. وَلَقَـدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْـلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِـنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَمًا مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُنِـي بِالإِقْتِدَاءِ بِـهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَـنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْـلاَمِ غَيْرَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ وَخَدِيجَـةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَـالَةِ، وَأَشُـمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هذَا الشَّـيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّـكَ لَعَلَـى خَيْرٍ». وَلَقَـدْ كُنْتُ مَعَـهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلا مِـنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُـوا لَهُ: يَا مُحُمَّـدُ، إِنَّكُ قَدِ ادَّعَيْـتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَـاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ

مِـن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسـأَلُكَ أَمْـرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَـاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ لهم ﷺ «وَمَا تَسْأَلُونَ؟». قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْـكَ. فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيـرٌ، فإِنْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيـبِ!!!، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ». ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا أَيَّتُهَا الشَّـجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ». فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَـا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَـدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْـفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّـى وَقَفَـتْ بَيْـنَ يَدَيْ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ مُرَفْرِفَـةً، وَأَلْقَـتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ وَبِبَعْـضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَـنْ يَمِينِـهِ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ قَالُوا -عُلُوًّا وَاسْـتِكْبَارًا-: فَمُرْهَـا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَـا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَـدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا -كُفْـرًا وَعُتُوًّا-: فَمُرْ هذَا النِّصْـفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَـا كَانَ. فَأَمَرَهُ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْدِيقًا لِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَـاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّـحْرِ خَفِيفٌ فِيـهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا! (يَعْنُونَنِي)؟. وَإِنِّي لَمِنْ قَوْم لاَ تَأْخُذُهُـمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِم، سِـيَماهُمْ سِـيَما الصِّدِّيقِيـنَ، وَكَلاَمُهُمْ

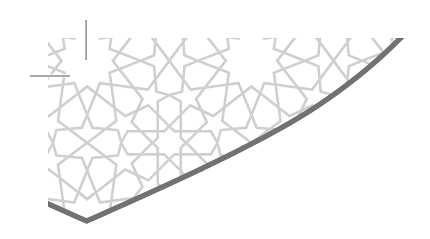
كَلاَمُ الأَبْـرَارِ، عُمَّـارُ اللَّيْـلِ، وَمَنَـارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّـكُونَ بِحَبْـلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُـنَنَ اللهِ وسُنَنَ رَسُـولِهِ، لاَ يَسْـتَكْبِرُونَ وَلاَيَعْلُونَ، وَلاَيَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ في الْعَمَلِ!»[1].

هـذه الخطبـة كافيـة فـي اعتقـادي لمن يريـد أن يعـرف من هو الرسـول ﷺ؟ هناك أشـياء جميلة جدًا في هذه الخطبـة ولعل أكثر ما أثار اهتمامي هذه الكلمات: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُـمْ لاَ تَفِيئُـونَ إِلَـى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَـنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيـبِ!!!، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ».

مـاذا سـتكون نتيجة امتحـان ثلاث علامـات غيبية؟! سـتكون النتيجـة صعبـة جـدًا! إن الرسـول ﷺ كان يعلم ما يقـول وهو حقًا يعلـم أنهم لن يؤمنوا به، وأيضًا سـيوضع بعضهم فـي القليب أي البئر وقد تحققت هذه النبوءة بالفعل في معركة بدر! وسنتكلم عنها لاحقًا! بالفعل لقد تم وضع عتبة وشيبة وأبو جهل وغيرهم في القليب، وهناك فئة أيضًا ستنجو من القليب وسوف يحزبون الأحزاب لحرب الرسول ﷺ ولا شـك كان الرسـول ﷺ يقصد أبا سفيان الذي حاربه إلى أن استسلم في فتح مكة وعفا عنه!

في مثل هذه المواقف على الإنسـان المنصف أن يعتقد بصدق رسالة الرسول ﷺ، بل ليست هذه المرة هي الأولى التي يتكلم فيها الرسـول ﷺ عن أمور غيبيـة حتمية، بل هناك العديـد وقد انتخبت

(١) نهج البلاغة/ ٤٧٢.



أكثر من عشرين موقفًا ذكرتها في هذا الكتاب.

لا أحد يستطيع أن يعرف المحتوم من غير المحتوم وقد ناقشنا هذا بالفعل في كتبنا السابقة؟ إن الرسول ﷺ يختلف عن هؤلاء، وهذا من أقوى الأدلة على صدق رسالته.

لقد استفاد الكثير من الباحثين كثيرًا جدًا من هذه الأمور الغيبية واستدلوا بها على صدق رسالته، لدرجة أنه كان يُظَنُّ من قِبَلِ الكثير كيف لمثل هذا أن يحصل! لقد تعجب سراقة بن مالك! كيف لمثله أن يلبس سواري كسرى!

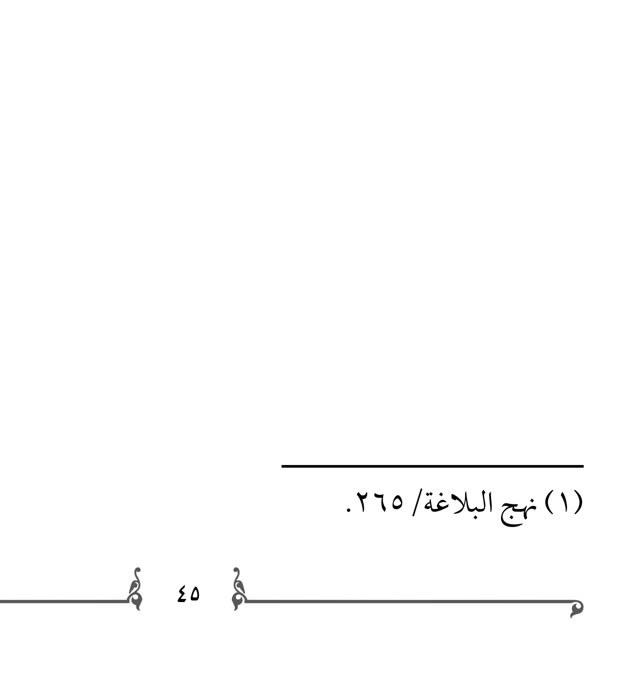
سأذكر هنا مقطعين من نهج البلاغة أيضًا أختم بهما هذا الموضوع: «بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاَءُ؛ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مَنَ الأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»[1].

المقطع الثاني من نهج البلاغة: «مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلاَمَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، وأَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ،

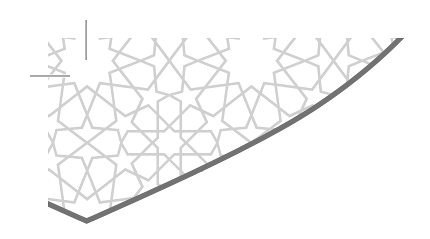
(١) نهج البلاغة/ ٢٦٤.

كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ»[1].

إنـه مـن حسـن حظِّنـا أن نحصـل على هـذه المقاطع مـن نهج البلاغـة التـي يتكلـم فيها الأمير عن الرسـول ﷺ، إذ تبـدو لي هذه المقاطـع التي يتكلـم بها الأمير ذات مصداقية واقعية؛ فهو كما أشـرنا أقرب الناس للرسـول ﷺ، ولو كان هناك أقرب من الأمير للرسول ﷺ لآخاه الرسـول ﷺ بعـد الهجرة، لقد اختار الرسـول ﷺ الأمير أخًا له في الدنيا والآخرة.



(١) نهج البلاغة/ ٢٦٥.



الرسول ﷺ على لسان جعفر بن أبي طالب

«أَنَـا وَكَافِلُ الْيَتِيـمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَـارَ بِالسَّـبَّابَةِ وَالْوُسْـطَى، وَفَـرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلاً».

الرسول ﷺ/ مسند أحمد

بـدأ الرسـول ﷺ بالدعوة إلى عبـادة الله بعشـيرته المقربين طبقًا لأوامر الله تقدس اسـمه؛ لكن عشيرته استهزأت به ومن ثم جهر الرسـول ﷺ بالدعـوة إلى قريش فأطاعه القليـل واضطهده الكثير، فـكان كلُّ من أطاعـه تعذبه أسـاقفة قريش كأبي سـفيان، وأبي جهل، وأبـي لهـب، وأمية بـن خلـف، وغيرهم، لقـد كان أبو طالـب يحمي الرسـول ﷺ من وصول أذى المشـركين له، بالفعل كان أبو طالب رجـلاً شـهمًا، فهو أول نصير للإسـلام، وأجد نفسـي هنا فـي مغالطة منطقيـة بحتة أن يُقالَ أنّ أبا طالب مات على الكفر وهو أول من حمى

الرسول ﷺ، لقد كان الرسول ﷺ يتيمًا فآواه الله إلى أبي طالب فكفله وربّاه!.

لقد توالت الضغوط على من اتبع الرسول ﷺ، لقد اختار الرسول ﷺ لمن أطاعه الهجرة إلى الحبشة، إن أهم الأسباب التي جعلت الرسول ﷺ يختار الحبشة هو عدالة حاكمها النجاشي، لقد كانت الوسيلة التي تُهاجم بها قريش -بعد أن علمت أن النجاشي أحسن ضيافة أصحاب الرسول ﷺ- هي إرسال فرقة يقودها داهية العرب عمرو بن العاص ليفسد النجاشي على أصحاب الرسول ﷺ، إن عمرو بن العاص لم ينجح في حيلته مع النجاشي، لقد كانت مهمته أصعب بكثير من تلك المهمة التي كلّفه بها معاوية بن أبي سفيان بعد ذلك في معركة صفين والتي نجح فيها نجاحًا باهرًا!

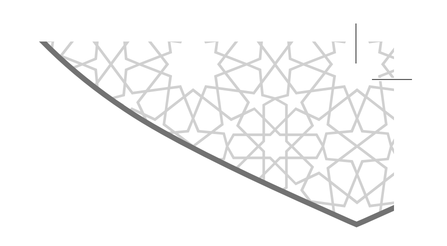
لقد سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب: ما هو الدين الذي اعتنقتموه؟! لقد أجابه جعفر بن أبي طالب كما جاء في السيرة النبوية لابن هشام: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ

الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ؛ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ... فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بِلادِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ؛ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ»[١].

بهذه الكلمات الواضحة يشرح جعفر بن أبي طالب الإسلام إلى النجاشي، وإنني هنا أشعر بكل الأسف بالنسبة للذين اتخذوا من الإسلام سلمًا للرقي إلى مطامعهم وهم أبعد عن هذه الكلمات التي بحد ذاتها تعتبر سبائك ذهبية يجب على كلِّ إنسان اقتناء هذه السبائك والمحافظة عليها.

الواقع أن جعفر بن أبي طالب أجاد بهذا الوصف الرائع للإسلام، لقد وضع لنا جعفر بن أبي طالب القواعد واللبنات التي أتى بها الرسول ﷺ ليبني لنا هذا الدين، بهذه العقلية استطاع جعفر بن أبي طالب أن يوصل الإسلام للنجاشي، ولا عجب أن نحصل على هذه الأجوبة الجميلة البسيطة ذات المبدأ الجميل الجذاب عندما نتمعن فيها، كيف لا نحصل والمتكلم جعفر بن أبي طالب، فسلام الله عليك يا جعفر، وعلى صاحبيك زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة.

(١) السيرة النبوية ١/ ٢٩٠.



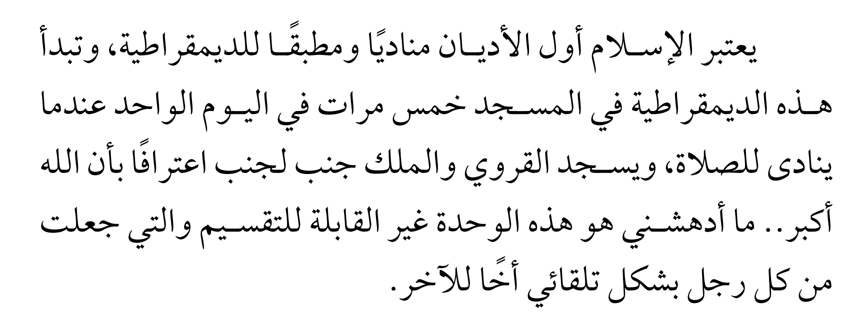
الرسول ﷺ على لسان العلماء والمفكرين

أردت أن أعـرف صفـات الرجـل الذي يملك بـدون نزاع قلوب ملاييـن البشـر، لقد أصبحـت مقتنعـا كلَّ الاقتنـاع أنَّ السـيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بسـاطة الرسـول ﷺ مع دقته وصدقه في الوعـود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته.

مهاتما غاندي

يمكـن معرفة شـخصية محمد ﷺ بكل جوانبهـا، ولكن كل ما في اسـتطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة، فهناك محمـد النبي ﷺ، ومحمد المحـارب ﷺ، ومحمد رجل الأعمـال ﷺ، ومحمـد رجـل السياسـة ﷺ، ومحمـد الخطيب ﷺ، ومحمد المصلـح ﷺ، ومحمد ملاذ اليتامى وحامي العبيد ﷺ، ومحمد محرر النساء ﷺ، ومحمد القاضي ﷺ، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا.

راما كريشنا راو



يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة، ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافًا بأن الله أكبر.. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر.

سار وجني ندو

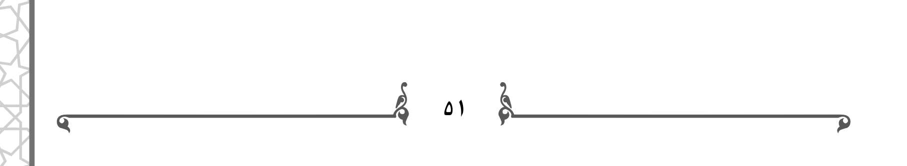
إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد ﷺ، هذا النبي ﷺ الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا)، إنّ رجال الدين في القرون الوسطى -ونتيجةً للجهل أو التعصّب- قد رسموا لدين محمدٍ ﷺ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

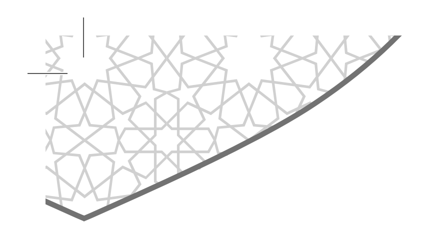
برناردشو

إن اختياري محمدًا ﷺ ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء؛ ولكنَّه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي، فهناك رُسل

وأنبيـاء وحكماء بدؤوا رسـالات عظيمة، ولكنهم ماتـوا دون إتمامها كالمسـيح فـي المسـيحية، أو شـاركهم فيهـا غيرهم، أو سـبقهم إليها سـواهم كموسـى في اليهودية؛ ولكنّ محمدًا ﷺ هو الوحيد الذي أتـم رسـالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شـعوب بأسـرها فـي حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديـدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا وحّد القبائل في شعـب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسـس حياتها، ورسـم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلـى العالـم أيضًا في حياتـه، فهو الذي بدأ الرسـالة الدينيـة والدنيوية وأتمها.

مايكل هارت





الرسول ﷺ على لسان الشعراء

هجا كعب بن مالك الرسـول ﷺ بقصيدة نتيجة إسـلام أخيه بجير فأهدر الرسول ﷺ دمه، ثم أنشأ قصيدة (بانت سعاد)، فأعطاه الرسول ﷺ بردته، وهذان بيتان منها:

نُبِّئْـتُ أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ أَوْعَدَنِـي
وَالْعَفْـوُ عِنْـدَ رَسُـولِ اللَّـهِ مَأْمُـولُ
مَهْـلاً هَـدَاكَ الَّـذِي أَعْطَـاكَ نَافِلَـةَ الـْ
قُـرْآنِ فِيهَـا مَوَاعِيـظٌ وَتَفْصِيـلُ

الكلمات الرائعة التي نطق بها شاعر الرسول حسان بن ثابت:

وأَحسـنُ منـكَ لـم تـرَ قـطُّ عينـي
وَأجْمَـلُ مِنْـكَ لَـمْ تَلِـدِ النّسَـاءُ
خلقـتَ مبـرءًا مـنْ كلّ عيـبٍ
كأنـكَ قـدْ خلقـتَ كمـا تشـاءُ

قصيـدة من روائـع ما قالـه الشـاعر العراقي المعاصـر الدكتور

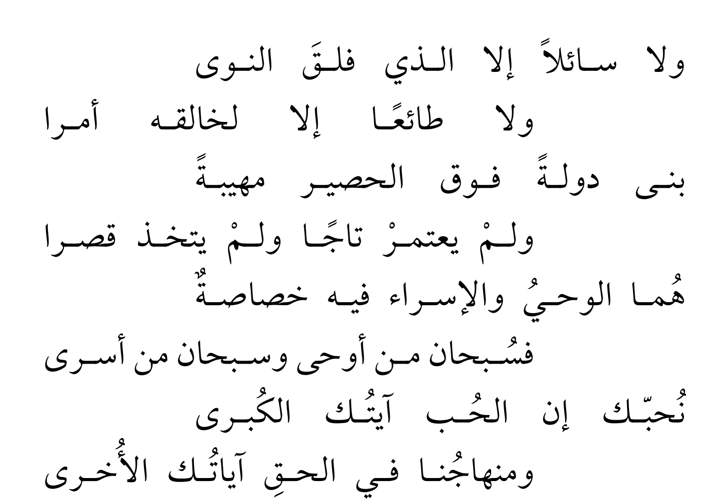


عباس الجنابي:

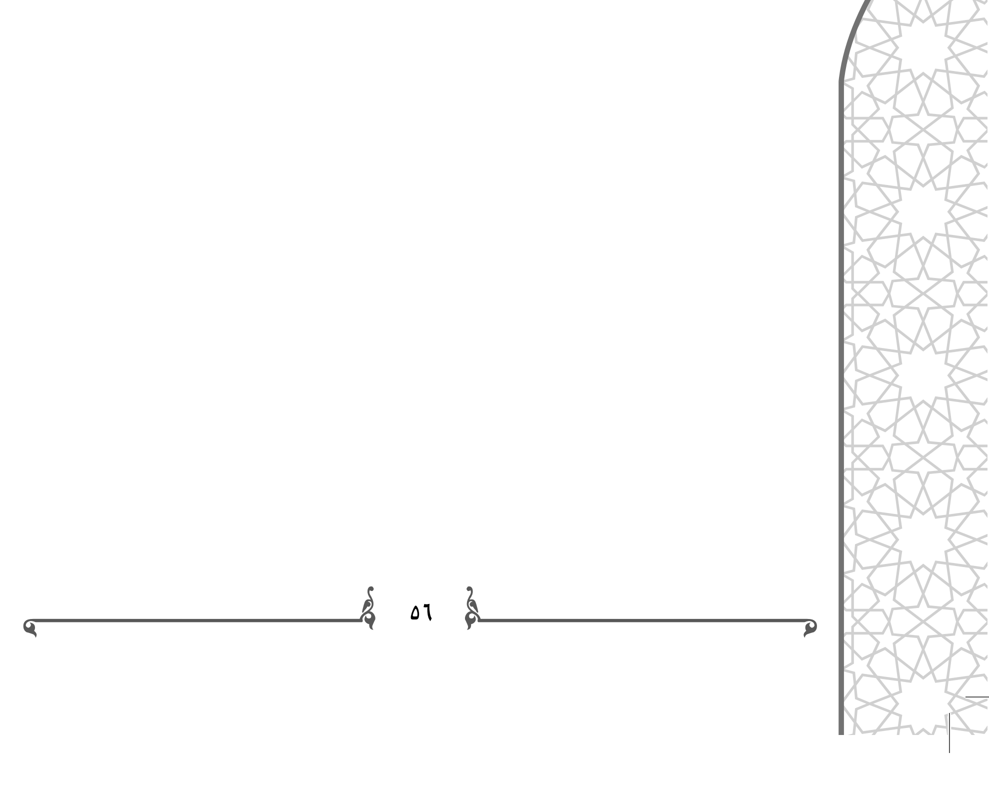
نُحبّك إنّ الحُبَّ آيَتُكَ الكُبرى
هَزمتَ به الطاغوتَ والبغي والكُفرا
وأعليتهُ شأنًا وزوّدتنا به
فصارَ لنا نهجًا وصرْنا به فخْرا
ومن داجياتِ الشرْكِ والجهل سيّدي
طلعتَ بهِ للناس قاطبةً فجرا
وأشرقتَ بدرًا قد تَوضّأ بالسنا
فلمْ نَرَ بدرًا قبلهُ نوّر البدرا
نُحبّك فالحبُّ الذي أنْت رمزُهُ
يُوحّدُنا فكرًا ويرفعُنا قدْرا
ويجْعلُنا للتائهين منارةً
بها يهتدي من تاه عنْ دربه شِبرا
شددْنا به أرواحنا وقُلوبَنا
وكانَ لنا في كلّ ملحمةٍ أزرا
زحَفنا به نغْزو القلوبَ..سلاحُنا
كلامٌ من القرآنِ نحملهُ فِكرا
ألَنّا عصيّاتِ العقولِ بآيهِ
فما جحدتْ من بعد إيمانها أمْرا
وجادتْ ولم تحْفلْ بدُنيا غرورةٍ
ومنْ رُزق التوحيد لمْ يأبه العُمْرا

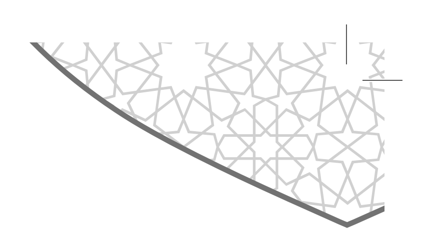
حمَلنا به للناس منك رسالةً
مددنا بها للفتح أضلاعَنا جسرا
وصلنا حدودَ الصين..في كلّ موطئٍ
يعانقُنا نصرٌ فتتبعهُ نصرا
وما تَعبتْ يومًا سرايا جهادِنا
إذا اقتحمتْ برًا وإن ركِبَتْ بحرا
فَسَلْ تونس الخضراء..زيتون أرضِها
وسلْ قيروانَ الفاتحينْ وسلْ مِصرا
أليْس بحدّ الحُبِ رقّتْ قلوبُها
فجاءت إلى الإسلامِ أفواجُها تترى
وليس بحد السيْف فالسيفُ آلةٌ
إذا عافها الإيمان أدمنت الشرّا
وكانت وصاياك الدليلَ لزحْفنا
فلا تهدموا دارا ولا تطعنوا غدرا
ولا تقطعوا زرعًا ولا تُسلبوا فتىً
ولا تقتلوا شيخا ولا أمةً حيرى
إذا كان للأخلاق في الحرب سيّدٌ
فإنك للأخلاق سيّدُها طُرّا
عجيبٌ هو الحبُ الذي جئتنا به
وأعجبُ ما فيه سماحتهُ حصرا
فأيُ نبيٍ في الديانات كلها
مُقابل حرف واحدٍ أطلق الأسرى؟

نحبـك..أيْ واللـه نبـضُ قلوبِنـا
يُـرددُ طـه والعليـمُ بهـا أدرى
فحبُّـك فـي الأولـى ينيـرُ طريقنـا
وحبّـك فـي الأُخـرى يُجنّبُنـا سـقرا
وحُبـك فـي الداريـن خيـرٌ ونعمـةٌ
ونحـنُ بـه أولـى ونحـنُ بهـا أحـرى
إليـكَ أبـا الزهـراء هاجـرَ خافقـي
فحُبّـك فـي الأحشـاء أوقدهـا جمـرا
يُحاصرُنـي أنّـى اتجهـت يحوطُنـي
ويعصرنـي عصـرًا فأنظمـهُ شـعرا
وأسـكبهُ شـهدًا وفـي الشـهد حكمـةٌ
متـى ذاقـهُ المعلـول مـن دائـه يبـرا
أمـا والـذي أعطـى فأرضـى نبيـهُ
وعنـد اشـتداد الخطـبِ ألهمـهُ الصبـرا
جـرى حُـبّ طـه فـي القلـوب تدفقًـا
ومـا زال فيّاضـا ومـا انقطـعَ المجـرى
فمـا كان فظًـا أو غليظًـا فـؤادهُ
ولا حامـلاً غِـلاً ولا مانعًـا خيـرا
ولا قابـلاً جـارًا يبيـتُ علـى الطِـوى
ولا طالبًـا إذ راح يُطعمـهُ أجـرا
ولا كانـزًا مـالاً ولا غائـلاً يـدًا
ولا ناكثًـا عهـدًا ولا فاضحًـا سـرّا



ولا سـائلاً إلا الـذي فلـقَ النـوى
ولا طائعًـا إلا لخالقـه أمـرا
بنـى دولـةً فـوق الحصيـر مهيبـةً
ولـمْ يعتمـرْ تاجًـا ولـمْ يتخـذ قصـرا
هُمـا الوحـيُ والإسـراء فيـه خصاصـةٌ
فسُـبحان مـن أوحى وسـبحان من أسـرى
نُحبّـك إن الحُـب آيتُـك الكُبـرى
ومنهاجُنـا فـي الحـقِ آياتُـك الأُخـرى





من أقوال الرسول ﷺ

«لولا ثلاثٌ ما طأطأَ ابنُ آدم رأسه: الفقر، والمرض، والموت، وإنَّه مع ذلك لَوَثَّاب».

الرسول ﷺ/ تفسير القرطبي

١- الحرب خدعة[1]:

هذه المقولة وردت في كتاب مروج الذهب للمسعودي، وتندرج هذه الكلمة تحت علوم السياسة، وهذه القاعدة يعرفها السياسيون ويعتقدون بها كثيرًا إذ أن اللجوء إلى السيف هو آخر الخيارات المطروحة للقادة العسكريين، إن دراستنا التاريخية تُثبت لنا أن الكثير من المعارك كُسبت بدون قتال، وهذه القاعدة طبقها

(١) مروج الذهب ٢/ ٢٩٣.

الرسـول ﷺ في معركـة الأحزاب، يقول ابن الأثيـر في الكامل في التاريـخ: «بعـد أن قتل الأمير عمـرو بن عبد ود العامـري: ثم إن نعيم بن مسـعود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسـول الله إني قد أسـلمت ولم يعلـم قومـي فمرني بما شـئت، فقال له رسـول اللـه ﷺ: إنما أنت رجـلٌ واحد فخذِّلْ عنا ما اسـتطعت فإنّ الحـرب خُدْعَة. فخرج حتى أتى بني قريظة وكان نديمًا لهم في الجاهلية فقال لهم: قد عرفتم ودي إياكـم، فقالوا: لسـت عندنا بمتهم، قـال: قد ظاهرتم قريشًـا وغطفان على حرب محمد وليسـوا كأنتـم؛ البلد بلدكم، بـه أموالكم وأبناؤكم ونسـاؤكم، لا تقـدرون على أن تتحولـوا منه، وإن قريشًـا وغطفان إن رأوا نهـزة وغنيمة أصابوهـا، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكـم وبيـن محمـد ولا طاقة لكـم به إن خـلا بكم، فـلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشـرافهم ثقة لكـم حتى تناجزوا محمدًا. قالوا: أشـرت بالنصح. ثم خرج حتى أتى قريشًا فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم ودّي إياكم وفراقي محمدًا، وقد بلغني أن قريظة ندموا، وقد أرسلوا إلى محمد هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشـرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهـم؟ فأجابهم أن نعم، فإن طلبت قريظة منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحدًا»[1]. لقد نجح ابن مسـعود وفرق الأحزاب! نعم إنه نعيم بن مسعود مفرق الأحزاب.

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٧٣.

٢- الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[١]:

هـذه المقولة أيضًا وردت في كتاب مـروج الذهب، هناك قصة أوردتهـا في كتابي صالـة الولائم حول ملك ووزيـره يتفقدان الرعية، لقـد شـاهدا خربة يخرج منها أصوات الغناء وعندمـا اقتربا منها وجدا شـحاذًا وشـحاذة فـي سـعادة لا توصـف! لقـد تعجب الملـك وقال لوزيـره: ألا يعلمـان هذان كيف نعيش نحن الملـوك؟!! فقال الوزير: إن جهـل هذيـن بحياة الملوك كجهلنـا نحن بالحياة التـي تنتظرنا بعد المـوت! نعـم جهل الإنسـان بما سـيلقاه من نعيم بعـد الموت يجعله يتمسك بنعيم الدنيا الزائل، وهو يخدع نفسه بهذا، فقد قال الأمير فيه: «مـا لعلي ولنعيـم يفنى، ولذّة لا تبقى!»، نعم من يتمسـك بنعيم الدنيا يخدع نفسـه بنفسه! إن ما سـيلقاه المؤمن بعد الموت وفي يوم القيامة لهو أفضل من هذه الدنيا بأكملها، وأجمل ما في نعيم الجنة أنه دائم!! حقًا أن الدنيا هي سجن للمؤمن، وجنة للكافر!!

هنـاك بعـض النصـوص أمامـي الآن تتحـدث عن نعيـم الجنة صُدمت وأنا أطّلع عليها فهناك من سـيعطيه الله مدينة أوسـع من هذه الأرض بسـبع مرات!! وهناك الكثير من هـذه الأحاديث تتحدث عن هـذا الكـرم الذي لا يسـتطيع العقل البشـري تصوره مجـرد تصور لا نستطيع ذلك لأن عقليتنا محدودة بهذه الدنيا فلا نستطيع أن نستوعب مثل هذا الكرم الذي يتحدث عمّا سـيناله المؤمن في يوم القيامة، حقًا إن المؤمن في سجن مقارنةً بما أعده الله له في يوم القيامة! قرأت هذا

(١) مروج الذهب ٢/ ٢٩٥.

الحديث العجيب في سنن الترمذي: «إِنَّ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَمَا تُفْضِي إِلَى قَرَارِهَا»[1]، إنها ليست مبالغات بل هو تقريب لتصوير الواقع، والواقع أعظم من هذا بكثير إلا أن ضيق خناق الكلمات قرب لنا هذه الصورة، وهذه تأملاتنا وخيالاتنا حول صفة النار أما الواقع فهو أعظم من هذا بكثير، حقًا أن الكافر يعيش الآن في جنة!!

٣- إن الله تعالى أذلَّ بني آدم بالموت[2]:

هذه المقولة وردت في تفسير القرطبي، للأسف الشديد إن الجميع متفقون على هذا المبدأ، ورغم ذلك لا يعبأون بالموت إلا عندما يقتربون منه أو يقترب منهم، من المحتمل أن يهرب الإنسان من الفقر والمرض، لكن من المستحيل أن يهرب من الموت، بالفعل أن الله قهر عباده بالموت والفناء.

عندما يكبر الإنسان تبدأ صورة الموت تتضح له كثيرًا، وأرى أن الكثير يجهدون أنفسهم في العبادة وفي التقرب إلى الله وفي نبذ الدنيا، على الأقل الكثير من هؤلاء لحظة الموت ينبذ الدنيا لأن الدنيا قد نبذته، وهذا ليس ببرهان ضعيف فالكثير يرى بالبرهان التجريبي في الشباب الانحرافات الفظيعة، أما في الكبر وعندما يشعر الإنسان أن الدنيا سوف تغدر به يتعظ في تلك اللحظة، إنني لست من علماء الدين لكن أقول حسب خبرتي البسيطة ما الفائدة إذا كانت فترة القوة

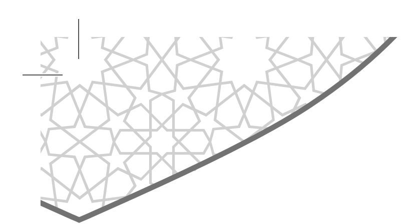
(١) سنن الترمذي ٢/ ٣٢٣.
(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ١١٠.

نكـون فـي أبعد نقطة في الدالة عـن الله، أما في فتـرة الضعف والهرم نكون في أقرب نقطة!

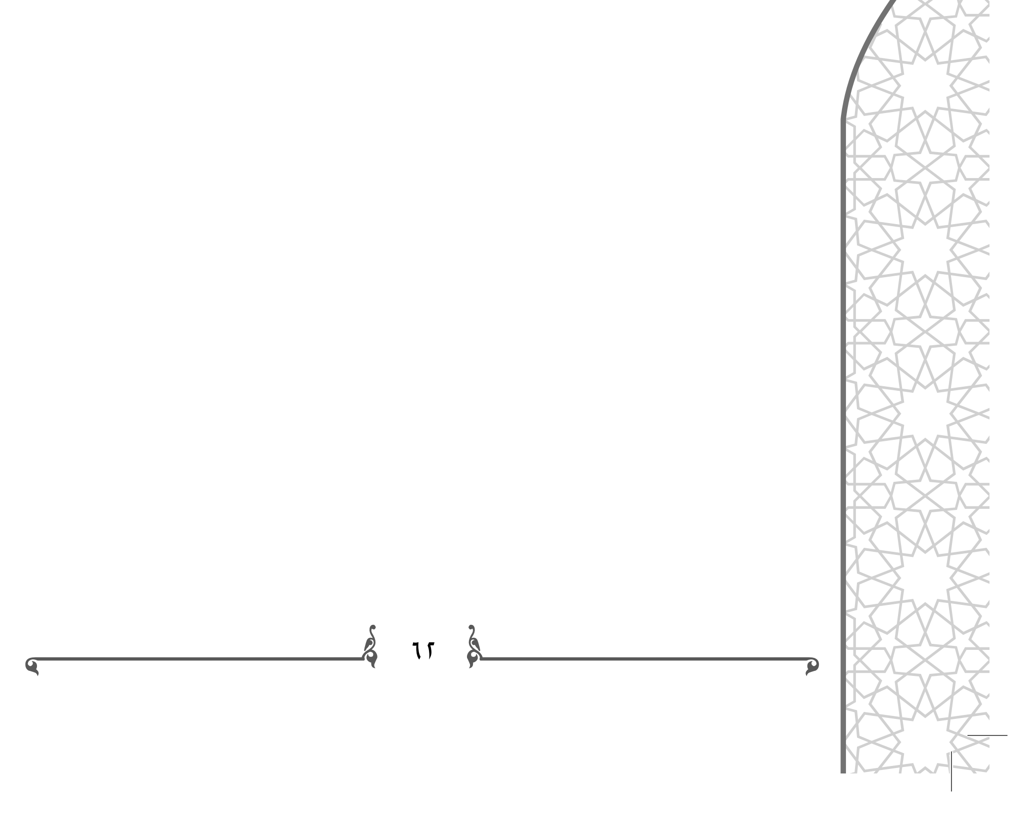
أسـتطيع أن أقرب لك هذه الصورة بصورة العمل في الشركات فمعظم الشـركات لا تقبل الإنسـان إلا في وقت قوته، ودائمًا أشـاهد الكثيـر مـن الإعلانـات حـول التوظيـف بشـرط أن لا يتجـاوز العمر الثلاثين سنة، لأن مبدأ الشركة تستهلك طاقة الإنسان بأكملها في فترة قوته وعند بلوغه الخمسـين تقول له شكرا وعليك الجلوس في البيت للاستراحة فنحن استغنينا عن خدماتك.

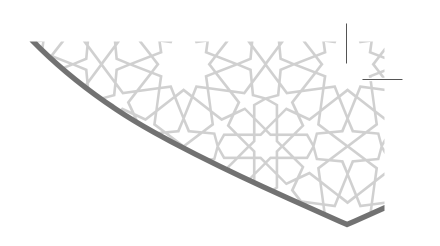
انظـروا إلى التاريـخ أيها القرّاء، يوجد هنـاك الكثير من الحكام ندمـوا كثيـرًا عند موتهـم، فهذا عبـد الملك بن مروان تمنـى أن يكون أجيرًا ولـم يملك هذا الملك، وهذا الخليفة محمد المعتصم يقول عند موتـه: لو علمـت أن عمري قصير هكـذا ما فعلـت!! وغيرهما الكثير والكثير.

إننـي هنا لو جلسـت أتكلم حول الدنيا سـوف أذهـب إلى أبعد مـن ذلـك، فكلمـا تعمقنا فـي هذه الحيـاة عرفنـا أن الحياة لا شـيء! وكمثـال على ذلك: أين أولئك الحـكام الذين حكموا الدنيا بأكملها؟ أين سـليمان الـذي حكم الطيـر والجن؟ وأيـن هارون الرشـيد الذي يخاطب السـحاب أينما تمطري سـيعود خراجك لـي؟ وأين قارون؟ وأيـن الخلفاء في الشـام من بنـي أمية؟ وأين الخلفاء مـن بني العباس فـي العراق؟ كلهم ذهبوا! وهكذا علمتنا الحياة أنها مسـرحية يأتي لها ممثلون وينزعون ثيابهم عند انتهاء الدور المسرحي الذي يقومون به.



إذا كانت الدنيا فعلت بهؤلاء وغدرت بهم، وهم الذين كانت الدنيا تركع تحت أقدامهم في فترة ما، أفلا نستحي من أنفسنا قليلاً ونحن لا نملك مما ملك هؤلاء إلا نسبة قد تكاد أن لا تذكر. سوف تغدر بنا الدنيا في لحظة ما، وهذه اللحظة مهما بعدت فهي قريبة.





من مواقف الرسول ﷺ

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣]، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

الرسول ﷺ وحلف الفضول:

اجتمعت قريش في دار الندوة، اجتمع بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد بن عزى وغيرهم، تعاهدوا وتعاقدوا أن لا يجدوا

بمكـة مظلومًا مـن أهلها أو من غيرهم من سـائر النـاس إلا قاموا معه ونصروه! هذا الحلف أطلق عليه حلف الفضول وقد حضره الرسـول ﷺ وكان صغيرًا، قال فيه الرسول ﷺ: «لقد شهدت مع عمومتي حلفًـا فـي دار عبد الله بن جدعـان ما أحب أن لي به حمـرَ النعم، ولو دعيت به في الإسـلام لأجبت»[1]. إن سبب حلف الفضول كما يروي كتـاب مروج الذهب أن العاص بن وائل -الرجل الذي كان يسـتهزئ بالرسـول ﷺ فوصفـه الله بالأبتر! وهو الذي يُنسـب إليه عمرو بن العاص داهية العرب؟!- اشـترى سـلعة من رجل مـن اليمن، فماطله بالثمـن حتى يئـس، فعلا الرجـل اليمني جبل أبي قبيـس، وقريش في مجالسها حول الكعبة، فنادى بشعر يصف فيه ظلامته، رافعًا به صوته، سـمعت قريش هذا التشـهير فعقـدوا اجتماعًا عاجلاً فـي دار الندوة، هناك حضر الرسـول ﷺ. إن السـبب الرئيس الذي جعل الرسـول ﷺ يفتخـر بحلف الفضول أنه رأى أن هذا الحلف فيه تضامن على نصرة المظلوم، فما أجمل أن يتضامن الناس على نصرة المظلوم!

الرسول ﷺ وسفانة ابنة حاتم الطائي:

قام الرسـول ﷺ بعـد فتح مكـة بتوجيه سـرية يقودها الأمير إلـى قبيلة طيـئ باليمن لكسـر الصنم الـذي يعبدونه، قبل سـنة الأمير يصعد على كتفي الرسـول ﷺ ويكسـر الأصنام التي وضعت فوق الكعبـة، اليوم توجد مهمة وهـي تطهير الجزيرة العربيـة من الأصنام. نجح الأمير في هذه السـرية وكسـر الصنم، يقـول الرجل الوفي عديّ

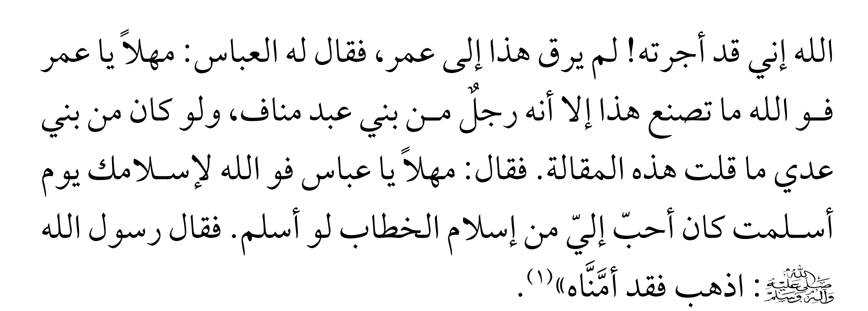
(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٧٠.

بـن حاتـم الطائي كما ينقل الكامـل في التاريخ: «جاءتْ خيلُ رسـول اللـه ﷺ فأخذوا أختي وناسًـا فأتوا بهم رسـول اللـه ﷺ فقالت أختـي: يا رسـول الله هلك الوالـد، وغاب الوافد فأمنـن عليّ منّ الله عليـك: فقال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بـن حاتم. قال: الذي فرّ من الله ورسوله. فمنّ عليها وأعطاها الرسول ﷺ تلك العطايا، ذهبت إلى أخيها في الشـام وأقنعته بالإسـلام، جاء عدي إلى الرسول ﷺ فسلم عليه وعرفه نفسه ومن ثم استوقفت الرسول ﷺ امرأة ضعيفة فوقف لها طويلاً يسـتمع إلى سـؤالها وحاجاتها، قال عدي في نفسه: ما هذا بملك!!»[1].

الرسول ﷺ يعفو عن أبي سفيان:

هـذه نيـران خزاعة..خزاعـة التي بسـببها فتحت مكـة! يحدثنا الكامـل في التاريخ: «إن أبا سـفيان رأى أبا الفضل، فقال أبو الفضل؟ قلـت: نعم، قال: لبيك فـداك أبي وأمي ما وراءك؟ فقلت هذا رسـول اللـه ﷺ فـي المسـلمين أتاكم فـي عشـرة آلاف. قال: مـا تأمرني؟ قلت: تركب معي فأستأمن لك رسول الله ﷺ، فو الله لئن ظَفَرَ بك ليضربـنّ عنقـك. كلما مروا بمجموعة من الناس يقولون: عم رسـول اللـه ﷺ على بغلة رسـول الله ﷺ! حتى مررنـا بمجموعة فيهم عمر بن الخطاب، قال له عمر: أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغيـر عقد ولا عهـد! وصل أبو سـفيان إلى الرسـول ﷺ قبل عمر، دخل عمر مسـرعًا وقال: دعني أضرب عنقه؟! قال العباس: يا رسول

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٥٦.



الله إني قد أجرته! لم يرق هذا إلى عمر، فقال له العباس: مهلاً يا عمر فـو الله ما تصنع هذا إلا أنه رجلٌ مـن بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة. فقال: مهلاً يا عباس فو الله لإسـلامك يوم أسـلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: اذهب فقد أمَّنَّاه»[(١)].

الرسول ﷺ يطلب من الناس أن يقتصوا منه:

جاء في تاريخ الطبري عن الفضل بن عباس أثناء مرض الرسول ﷺ: «جاءني رسـول الله ﷺ فخرجت إليـه فوجدته موعوكًا، قد عصب رأسه، فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى جلس على المنبـر، ثم قال: نادِ في الناس فاجتمعوا إليه، فقال: أما بعد أيها الناس فإنـي أحمـد إليكم، الله الـذي لا إله إلا هـو، وإنه قد دنـا مني حقوق من بين أظهركم؛ فمن كنت جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهري فليسـتقد منه، ومن كنت شتمتُ له عرضًا فهذا عِرْضي فليستقد منه، ألا وإنّ الشحناء ليسـت من طبعـي، ولا مـن شـأني، ألا وإنّ أحبّكم إليّ مـن أخذ مني حقًـا إن كان لـه، أو حلّلني فلقيت الله وأنا طيـب النفس، وقد أرى أنّ هـذا غير مغنٍ عني حتى أقوم فيكم مـرارًا !قال الفضل: ثم نزل فصلى الظهـر، ثم رجع فجلـس على المنبر فعاد لمقالته الأولى في الشـحناء وغيرها، فقام رجل فقال: يا رسول الله إنّ لي عندك ثلاثة دراهم، قال ﷺ: أعطه يا فضل!!»[(٢)].

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٢١.
(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٤٣٤.

كان يمكن للرسـول ﷺ إذا ظلم أحدًا أن يذهب إليه ويطلب منه العفو؛ لكن الرسول ﷺ لم يفعل هذا بل وقف أمام الناس وقال سـابقًا مرتين مـن ظلمته فليأتِ وليقتـصّ مني في الدنيـا؟! هل يوجد حاكم على وجه الأرض له القدرة على فعل هذا؟!

وفـي هذه القصـة بالضبط، واقـع كراهية الرسـول ﷺ لظلم الناس، ويتجلى هـذا في هذه المقولة وفي غيرها، ومما يزيد الموقف عجبًا ودهشـة أن الرسول ﷺ كان مريضًا وفي حالة حرجة جدًا إلا أنه لا يريد أن يلقى الله وقد ظلم أحدًا من العباد! وبالتأكيد أن الرسول ﷺ لم يظلم أحدًا؛ ولكنّه يريد أن تتأسى به أمته ولا سيما الخاصة.

إن هـذا الموقف يذكرني بكلمات الأمير: «وَاللهِ لأنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا، أَوْ أُجَرَّ فِي الأغْلاَلِ مُصَفَّدًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُـولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لِشَـيْءٍ مِنَ الْحُطَام، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْـرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟! وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْـتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُـعْثَ الشُّـعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُـوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِـمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّدًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّدًا، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَـمَعِي، فَظَنَّ أَنِّـي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقِـي، فَأَحْمَيْـتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُـمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْـمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيـجَ ذِي دَنَـفٍ مِنْ أَلَمِهَـا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَـمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْـكَ الثَّـوَاكِلُ، يَا عَقِيـلُ! أَتَئِنُّ مِـنْ حَدِيـدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَـانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِـي إِلَى نَارٍ سَـجَّرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِـنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ

لَظـىً؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَـنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَـتْ بِريقِ حَيَّـةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَـةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَـةٌ؟ فَذلِكَ مُحَـرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَـالَ: لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّـةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ أَنْـتَ أَمْ ذُو جِنَّة، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأقَالِيمَ السَّـبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُـمْ عِنْدِي لأهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا، مَا لِعَلِيّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَـى، وَلَـذَّةٍ لاَ تَبْقَـى! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُـبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْـحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ»[1].

حقيقة أيها القرّاء من الصعب أن نتصور أن الرسول ﷺ الذي بذل نفسـه وماله من أجل هذا الدين يعرض نفسـه على قومه ليقتصوا منـه إذا كان ظلمهم؟! بالفعل إذا كان يوجد ما نسـتطيع أن ننبهر به في دراسـة شـخصية ما، ستكون دراسة شـخصية الرسول ﷺ هي أهم هذه الشخصيات التي يُبْهَر منها الإنسان، وسوف نجد في هذا الكتاب فـي الحلقات القادمة رشـحات من حياة الرسـول ﷺ! وما هذه إلا كإبرة في محيط، فمن منا يسـتطيع أن يعرف الرسـول ﷺ ويصفه؟ وهل نسـتطيع أن نصف الرسـول ﷺ؟! إنه مهمـا كتبت الأقلام من الآراء الفضفاضـة والمرنـة إلا أننـي أقـول: إن هـذه الأقـوال والآراء قاصرة جدًا.. إن الرسول محمدًا ﷺ لا يعرفه إلا الله! إنّه الله الذي خلقه واستضافه في السماء لتتشرف السماء برؤيته.

---

(١) نهج البلاغة/ ٥٢٠.

حياة الرسول ﷺ بالفعل مليئة بدروس لو أتبعناها فبلا شك سندخل الجنة، إلا أنه للأسف اتخذنا هذه السيرة كقصص شعبية نحكيها في مجالسنا للتسلية فقط، لا للعمل بها.

الرسول ﷺ مع الراهب بحيرى:

عاش الرسول ﷺ يتيمًا فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به، لقد كفله جده عبد المطلب، ومات الجد وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره، فكفله عمه أبو طالب، لقد قرر أبو طالب أن يذهب بالرسول ﷺ وهو لا يزال صبيًا في الثانية عشرة من عمره إلى (بصرى) في الشام في التجارة، هناك حدثت قصة رائعة جدًا مع الراهب بحيرى في (بصرى) والرسول ﷺ سأنقلها من كتاب السيرة النبوية لابن هشام: «ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ، وَأَجْمَعَ الْمَسِيرَ صَبَّ [اشتاق] بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -فِيمَا يَزْعُمُونَ- فَرَقَّ لَهُ (أَبُو طَالِبٍ) وَقَالَ: وَاَللَّهِ لأَخْرُجَنَّ بِهِ مَعِي، وَلا يُفَارِقُنِي، وَلا أُفَارِقُهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ. فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهِمَا رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَى فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ إلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ مُنْذُ قَطُّ رَاهِبٌ، إلَيْهِ يَصِيرُ عِلْمُهُمْ عَنْ كِتَابٍ فِيهَا فِيمَا يَزْعُمُونَ، يَتَوَارَثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَمُرُّونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فَلا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَعْرِضُ لَهُمْ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ. فَلَمَّا نَزَلُوا بِهِ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ فِيمَا يَزْعُمُونَ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، فِي الرَّكْبِ حِينَ

أَقْبَلُوا، وَغَمَامَةٌ تُظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلُوا فَنَزَلُوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ. فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتْ الشَّجَرَةُ، وَتَهَصَّرَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَهَا.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَحِيرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلُّكُمْ، صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ، وَعَبْدُكُمْ وَحُرُّكُمْ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاَللَّهِ يَا بَحِيرَى إنَّ لَكَ لَشَأْنًا الْيَوْمَ، فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيرًا، فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ لَهُ بَحِيرَى: صَدَقْتَ، قَدْ كَانَ مَا تَقُولُ؛ وَلَكِنَّكُمْ ضَيْفٌ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُكْرِمَكُمْ وَأَصْنَعَ لَكُمْ طَعَامًا فَتَأْكُلُوا مِنْهُ كُلُّكُمْ. فَاجْتَمِعُوا إلَيْهِ، وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ؛ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ فِي رِحَالِ الْقَوْمِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

فَلَمَّا نَظَرَ بَحِيرَى فِي الْقَوْمِ لَمْ يَرَ الصِّفَةَ الَّتِي يَعْرِفُ وَيَجِدُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي؛ قَالُوا لَهُ: يَا بَحِيرَى، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إلا غُلامٌ، وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ سِنًّا، فَتَخَلَّفَ فِي رِحَالِهِمْ؛ فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا، اُدْعُوهُ فَلْيَحْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ؛ وَاَللاتِ وَالْعُزَّى، إنْ كَانَ لَلُؤْمٌ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ قَامَ إلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ. فَلَمَّا رَآهُ بَحِيرَى جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا وَيَنْظُرُ إلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ، قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ، حَتَّى إذَا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا، قَامَ إلَيْهِ بَحِيرَى، فَقَالَ (لَهُ): يَا غُلامُ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللاتِ وَالْعُزَّى إلا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا

أَسْـأَلُكَ عَنْهُ؛ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ، لأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا. فَزَعَمُـوا أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (لَهُ): لا تَسْـأَلْنِي بِالـلاتِ وَالْعُزَّى، فَوَاللَّـهِ مَـا أَبْغَضْتُ شَـيْئًا قَـطُّ بُغْضَهُمَا، فَقَالَ لَـهُ بَحِيـرَى: فَبِاللَّهِ إلا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْـأَلُكَ عَنْهُ؛ فَقَالَ لَهُ: سَـلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ. فَجَعَلَ يَسْـأَلُهُ عَنْ أَشْـيَاءَ مِنْ حَالِهِ فِي نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ؛ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يُخْبِرُهُ، فَيُوَافِـقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ، ثُـمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ، فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ.

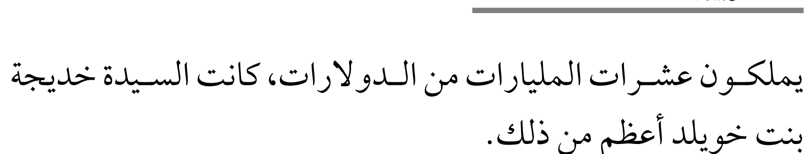
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْمِحْجَمِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فَرَغَ، أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الْغُلامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي. قَالَ لَهُ بَحِيرَى: مَا هُوَ بِابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا؛ قَالَ: فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي؛ قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَـالَ: مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ؛ قَـالَ: صَدَقْتَ، فَارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْـذَرْ عَلَيْهِ يَهُـودَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَـرًّا، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ»[1].

زواج الرسول ﷺ بالسيدة الجليلة خديجة:

وراء كل رجـل عظيم امرأة، العبارة قد تكون صحيحة إذا كانت هـذه المـرأة عظيمـة مثـل السـيدة خديجة بنـت خويلد التـي ضحت بثروتهـا كلها لأجل الرسـول ﷺ، كانت ثروة السـيدة خديجة بنت خويلد أعظم من أن تقدّر وهي أشبه ما تكون الآن بأثرياء العالم الذين

(١) السيرة النبوية ١/ ١٦٧.



يملكـون عشـرات المليارات من الـدولارات، كانت السـيدة خديجة بنت خويلد أعظم من ذلك.

أرسلت للرسول ﷺ تطلب منه أن يخرج بتجارتها للشام مع غلامها ميسرة على أن تعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره.

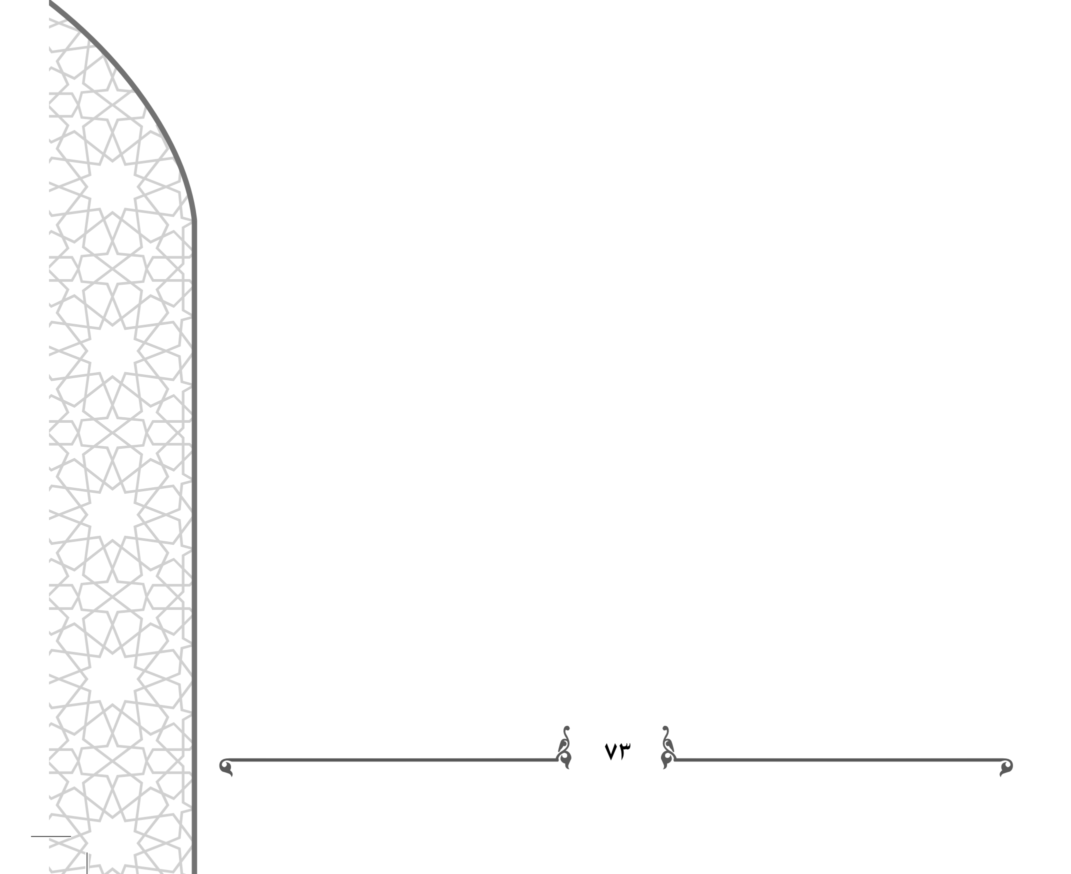
ميسـرة كان يحـدث السـيدة خديجـة بنـت خويلد عـن الأمور الخارقة التي تحدث للرسـول ﷺ وهذه الأمور بلا شـك تدلُّ على أنـه نبي، كانت السـيدة خديجة بنت خويلد ذكية جـدًا وفكرت بجدية أن تقترن بالرسـول ﷺ علـى الرغم من ثروتها التـي لا تقدّر بثمن، وبالفعـل فقد عرضت نفسـها على الرسـول ﷺ علـى أن يتزوجها، وقـد نالت السـيدة خديجة بنت خويلد هذا الشـرف العظيم، تزوجت هـذه المرأة العظيمة الرسـول ﷺ، وضحت بكل ما تملك من أجل الرسـول ﷺ. ولأموال السـيدة خديجة بنت خويلد مسـاهمة كبيرة جدًا في قيام الدولة الإسلامية التي أسسها الرسول الأعظم ﷺ.

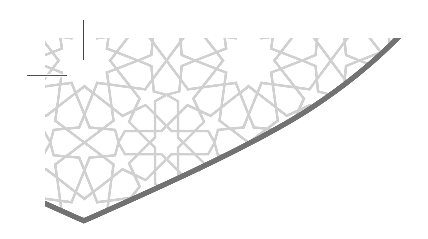
جاء في مسـند أحمد بن حنبل: «عَنْ عَائِشَـةَ، قَالَـتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَـنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا، حَمْرَاءَ الشِّـدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْـرًا مِنْهَا، قَـالَ: مَا أَبْدَلَنِـي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْـرًا مِنْهَا، قَـدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاس، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ»[1].

---

(١) مسند أحمد ٦/ ١٤٤.

ماتت السيدة خديجة بنت خويلد قبل الهجرة بثلاث سنوات وهي نفس السنة التي مات فيها عم الرسول ﷺ أبو طالب، لقد أطلق على هذا العام اسم عام الحزن، وسوف نتكلم في الدروس اللاحقة حول هذا الموضوع.





من معجزات الرسول ﷺ

﴿سُـبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَـا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّـمِيعُ البَصِيرُ﴾.

[الإسراء:١]

المعجزة هي الفعـل الخارق للعادة، ومعنى ذلك أن هذا الفعل لا يسـتطيعه البشـر، على الأقل في نفس الفترة الزمنيـة التي تظهر فيها المعجزة. وبطبيعة الحال إن الناس ليسوا على درجة واحدة من تقبلهم للإسلام، فالبعض أسلم بمجرد أن سمع كلام الرسول ﷺ، وهناك فئـة تحتاج لمثل هذه الأمور الخارقة حتى يعلموا صدق رسـالته؛ لأن هذه الأشياء الخارقة للعادة تثبت صدق الرسالة.

إنني هنا أذكر معجزتين فقط، وهناك معجزات كثيرة كالشـجرة



التـي تقـدم ذكرها عن الأمير في نهج البلاغة، حقًـا أقولها إننا الآن في زمن تقنية النانو لا يسعنا إلا أن نطأطئ الرأس أمام هذه الأفعال الخارقة كالمعراج التي لن يسـتطيعها بشـر، ولو تطورت التقنيات الحديثة إلى أعظـم مما هـي عليه الآن بل سـنبقى عاجزيـن عن الإتيـان بمثل هذه المعجزات التي لا تجري إلا على يد الرسول ﷺ.

١- معجزة المعراج:

قبل أكثر من ألف سـنة كان أسرع شـيء هو الحصان الذي يركبه المسافر، إذا فرضنا أن أحدهم أراد أن يسافر من مكة إلى القدس بالحصان والمسـافة بين المدينتين أكثر من ألف كيلومتر، وللتقريب سنفرض أنها ألف كيلومتر، وسنفرض للتقريب أن الحصان يسير بسرعة مئة كيلو متر في السـاعة وهذه السـرعة أكبر مـن الحقيقية لكن ذكـرت هذا للتقريب فقط! الزمن عبارة عن المسـافة مقسومة على السرعة، سيكون الجواب ألف مقسومة على مئة، سنحتاج إلى عشر ساعات، طبعًا إذا افترضنا أن المسافة مستقيمة وبدون توقف والسرعة ثابتة أيضًا! في الوقت الحالي سأتكلم عن سرعة الطائرة لو أراد مسافر السفر بين مكة والقدس بطائرة تبلغ سـرعتها ألف كيلو متر في الساعة سيحتاج إلى ساعة واحدة فقط! أنا أتكلم الآن عن المسـافة بين مكة والقدس، لكن القدس ليست نهاية الرحلة، فهناك مركبة ركبها الرسول ﷺ -مصنعة من عناصر تختلف عـن العناصـر المعروفة لدينـا في كوكب الأرض- ذهبـت به في منطقة لا يسـتطيع العقل البشـري أن يتصورها، هناك في اللا زمان واللا مكان في تلك المنطقة التي تتكسـر عقولنـا بمجرد تصورها فقط! أقرب نجم

إلينا بعد الشمس لو أردنا أن نسافر إليه بأقصى سرعة اكتشفها العلم (سرعة الضوء) سنحتاج إلى أكثر من ثمان سنوات ذهابًا وإيابًا، هذا وأنا أتكلم عن أقرب نجم إلينا بعد الشمس. مجرة المرأة المسلسلة وهي جارتنا وقريبة لنا جدًا للذهاب إليها والرجوع بسرعة الضوء ستستغرق الرحلة ما يقرب من خمسة ملايين سنة! هذا وأنا أتكلم عن مجرات قريبة، فإذا تعمقنا إلى تلك المجرات التي تبعد عنا بمليارات السنوات الضوئية فماذا ستكون النتيجة! الرسول ﷺ اخترق كل تلك المجرات ووصل إلى منطقة لا يستطيع العقل البشري تصورها، كل هذه الأحداث والزمن متوقف. نعم ذهب الرسول ﷺ للقدس ومن ثم اخترق الكون، السماء بعد السماء ورأى الجنة والنار ووصل للعرش وعاد لمنزله في نفس الليلة بل في نفس الدقيقة بل في نفس اللحظة! نعم الرسول ﷺ عندما ارتفع به من الأرض اصطدمت رجله بآنية من الماء وانقلبت الآنية، وبعد رجوع الرسول ﷺ من المعراج يشاهد أن الماء لا يزال ينسكب! إن الحادثة غريبة جدًا لا تستطيع عقولنا أن تستوعبها وينقل الكامل في التاريخ أن أبا جهل قال: «يا معشر بني كعب هلموا فأقبلوا فحدثهم النبي فمن مصدّق ومكذب ومصفق وواضع يده على رأسه، وارتد الناس ممن كان آمن به وصدقه!»[1]، حادثة تطيش لها العقول لا تستطيع تصديقها؟ تخيلوا أننا الآن نجلس على العشاء في منزل أحد الأصدقاء بالقطيف فاستأذننا أحدهم وذهب وبعد دقيقة رجع، فقال: ذهبت لفلسطين ورجعت، بالطبع سنقول إنه فقد عقله! معجزة المعراج اختص بها الرسول ﷺ فقط!

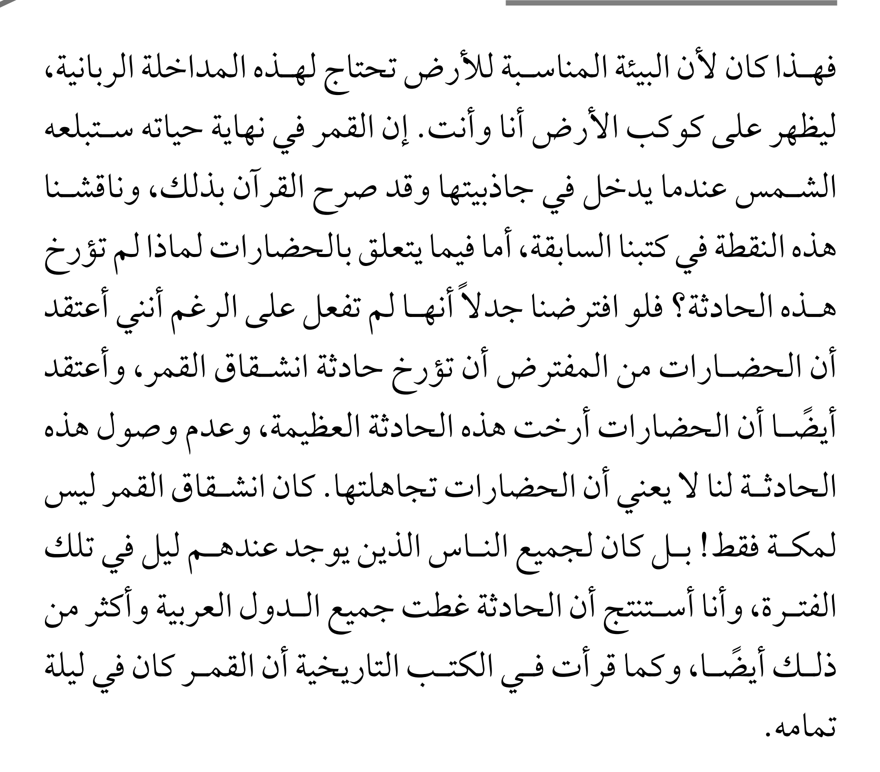
(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٨١.

٢- معجزة انشقاق القمر:

معجـزة اختص بها الرسـول ﷺ، فقد طلب منه المشـركون قبـل الهجـرة أن يشـق لهـم القمر فشـقه إلـى نصفين! كتـب الحديث اسـتفاضت بذكـر هـذه الحادثة، فقـد جاء فـي صحيح البخـاري عن أنس بن مالك أن أهل مكة سـألوا الرسـول ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشـقاق القمر، والروايات في انشـقاق القمر مستفيضة، نكتفي برواية الترمذي في سننه: «حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا سُـلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: انْشَـقَّ الْقَمَـرُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى صَـارَ فِرْقَتَيْنِ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، وَعَلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَقَالُوا: سَـحَرَنَا مُحَمَّـدٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَئِنْ كَانَ سَحَرَنَا، مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ»[١].

للأسـف الشـديد أن أنصـاف المثقفيـن لا تسـتطيع عقولهم أن تستوعب هذه الحادثة، وقد تناقشت مع أحد الناس البارزين وقال لي صراحـة: أنتم تؤمنـون بالخرافات؟ وأخذ يبرهن أن حادثة الانشـقاق سوف تصبح في المستقبل وهي من علامات الساعة. بالفعل أن العلم الناقص أضر من الجهل الكامل، فمن المسـتحيل أن ينشـق القمر في المسـتقبل إلا إذا كان هناك مذنبًا صغيرًا تلقى دفعة صغيرة من مداخلة ربانيـة وضرب القمـر، ولا أظن أن هذا يحصـل لأن الله حكيم وكان يعـرف ما يريد أن يخلق قبـل أن يخلق، صحيح أنه في فترة ما أن نيزكًا توجـه لـلأرض وفصل القمـر عنهـا وبافتـراض صحة هـذه الفرضية

(١) سنن الترمذي ٢/ ٥٢٣.



فهـذا كان لأن البيئة المناسـبة للأرض تحتاج لهـذه المداخلة الربانية، ليظهر على كوكب الأرض أنا وأنت. إن القمر في نهاية حياته سـتبلعه الشـمس عندما يدخل في جاذبيتها وقد صرح القرآن بذلك، وناقشـنا هذه النقطة في كتبنا السابقة، أما فيما يتعلق بالحضارات لماذا لم تؤرخ هـذه الحادثة؟ فلو افترضنا جدلاً أنهـا لم تفعل على الرغم أنني أعتقد أن الحضـارات من المفترض أن تؤرخ حادثة انشـقاق القمر، وأعتقد أيضًـا أن الحضارات أرخت هذه الحادثة العظيمة، وعدم وصول هذه الحادثـة لنا لا يعني أن الحضارات تجاهلتها. كان انشـقاق القمر ليس لمكـة فقط! بـل كان لجميع النـاس الذين يوجد عندهـم ليل في تلك الفتـرة، وأنا أسـتنتج أن الحادثة غطت جميع الـدول العربية وأكثر من ذلـك أيضًـا، وكما قرأت فـي الكتـب التاريخية أن القمـر كان في ليلة تمامه.

لقد اقترح المشـركون على الرسول ﷺ أن يريهم آية عظيمة، فـي مقابـل أن يؤمنوا بصدق رسـالته، فلقـد جعل نصـف القمر يبتعد عن النصف الآخر! ورغم ذلك اتهموا الرسـول ﷺ بالسـحر، لكن هل يعقل أن يؤثر السـحر على جميع من شـاهد القمـر في تلك الليلة المكتملة.

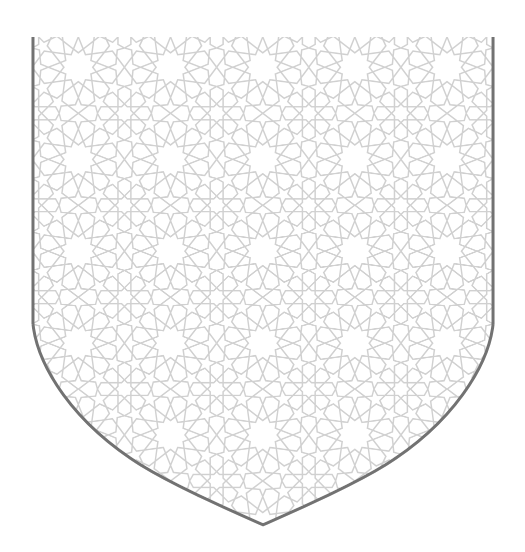
قـد يتبـادر لذهن القـارئ لا سـيما إذا كان فيزيائيًا مثلـي أنه من الصعوبـة أن تحـدث مثـل هـذه الحادثة، ولـو حدثت فكيـف بالقمر يلتحـم مـرة أخـرى؟ ذلك هـو بالضبط الجانـب الذي لا يسـتطيع أن يفسره الإنسان، إلا أن يؤمن بقدرة الله وتأييده لرسله وحسب!



ونستطيع أن نستنتج من قصة انشقاق الشجرة التي ذكرها الأمير في نهج البلاغة وهي بالفعل حدثت وحاشا للأمير أن يكذب، وقصة الإسراء وهي بلا شك حدثت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فالقرآن صرّح بهذه الحادثة، كذلك أيضًا انشقاق القمر فهي أيضًا معجزة تطيش لها العقول، إن هذه المعجزات الثلاث هي أكبر الأدلة على أن الرسول ﷺ له القدرة أن يغيّر في أنظمة الكون، فمن ذا الذي يستطيع أن يتدخل في الكون إلا أن يكون الرسول ﷺ.

إن كل معجزة يجب أن ننظر لها بعين الاحترام والإجلال ويجب أن نأخذ في الحسبان أننا إذا أردنا أن نتعامل مع مثل هذه الحالات أن لا نستخدم عقولنا القاصرة في تحليلها أو في رفضها أو في تبريرها. إن الأمل المرجو الذي كان يتمناه الرسول ﷺ ليس إظهار هذه الأفعال الخارقة فحسب، بل كان أمله أن تصبح قريش مقتنعة برسالته وتعبد الله وحده لا شريك له، نعم هذا هو الأمل المرجو من وراء هذه الأمور، ويجب علينا نحن أيضًا أن نسعى لهذا الأمل النهائي الذي جاء به الرسول ﷺ، فلا يوجد شرف للإنسان أفضل من أن يكون عبدًا لربه، يعبده ويدعوه، ولهذا بعث الله الرسول ﷺ.





القسم الثاني

حقائق غيبية نطق بها الرسول ﷺ

يتناول هذا القسم ٢٦ حقيقة غيبية
حتمية نطق بها الرسول ﷺ



قد يعترضني أحدهم ويقول: إن علوم التنجيم قادرة على التنبؤ بالغيب؟! إن هؤلاء المنجمين لا يستطيعون أن يطلقوا أحكامًا حتمية بل مجرد توقعات قابلة للوقوع أو غير ذلك، ومعظم الذين كتبوا في المغيبات والذين تتبعتهم بنفسي لم تصدق جميع نبوءاتهم كـ(نوستراداموس) وغيره، ولا يخفى عليكم أنهم دائمًا يتكلمون بلغة ضبابية جدًا، وهذا ما يعطي نبوءاتهم احتمالات كثيرة وبصمة من الفشل.

في أكثر الأحيان أذهب لزيارة الكثير من الأصحاب وتدور أحاديث عن هذه العلوم الغريبة كـ(السيمياء) و(الريمياء) و(التنجيم) وغيرها من العلوم، وأشعر ببعض الأسف عندما أسمع عن سخافات كثيرة يتكلمون بها، كالذي يستطيع أن يعلم ما في ضمائر الناس، والذي يرى الناس بصور حيوانات... وهناك الكثير من هؤلاء يظهرون على الفضائيات ويتكلمون في أمور المستقبل.

إن العلوم الغريبة تلك التي نسمع عنها دائمًا لكن الحقيقة أن

هـذه العلـوم لا يوجـد من يتقنهـا بقواعدهـا على وجـه الأرض، إنني أشعر بالرضا التام أن أساسيات هذه العلوم لا تزال قاصرة الفهم ومن المسـتحيل أن تجد سـخافات هؤلاء مكانًا محترمًا في النسيج العلمي أو حتى عند النـاس العقلاء، وإضافة إلى بعض الظواهر المحيرة التي تظهر في الناس من الإخبار بالمغيبات لا نستطيع أن نعول عليها.

إن معظم الذين يتعاملون بعلوم الشـعوذة والسحر والتنجيم هم أنـاس غالبًا قاصـرون عقليًا، إن هـؤلاء لـم يخضعـوا عقولهم لقوانين الطبيعـة لهذا لجئوا إلى أحـلام اليقظة التي من خلالها يسـتطيعون أن يصبحوا قوة خارقة على وجه الأرض. فترى أحدهم يبحر في المحيط الأطلسـي ولا أدري لمـاذا يبحر هناك؟ هل ليشـرب من مـاء الحياة؟ وربما قد يصل لمغيب الشمس هناك؟! ولا أدري بعد أن يصل لمغيب الشـمس ماذا سـوف تكون النتيجة؟ وهناك البعض يفعل أشياء غريبة جدًا، يأكل أشـياء معينة فقط، يذهب للصحراء، يمارس طقوس معينة من الرياضة، وهناك الكثير.

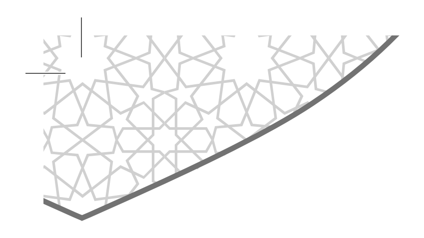
سـيقرأ القرّاء كلماتـي هذه وكأني بهـم يقولون إن هـذه العلوم موجـودة ويوجـد هناك أناس يتقنونهـا جيدًا وهناك أنـاس لهم القدرة علـى قـراءة ما تخبئه في نفسـك؟! سـوف نحتـاج إلى اختبـار هؤلاء فـي صدق ما يدعون مـن علوم مزعومة يملكونهـا ولا يملكها غيرهم والحمد لله نحن لسـنا بحاجة إلى اختبارهم فجميع كتب المتنبئين قد فشـلت، وأنا بالطبع لست أمانع من أن نختبر أي إنسان يدعي المعرفة بهذه العلوم كمشـعوذ شهرزاد الذي أثبت فشـله وغيره الكثير، لكنني



أنصح القرّاء أن لا يضيعوا أوقاتهم ويكلفون أنفسهم العناء الكثير في ما لا فائدة منه، إن الناس العقلاء هم الذي يتقبلون قوانين الطبيعة كما هي ويبتعدون عن الأفكار المبتدعة التي تضر الإنسان أكثر مما تنفعه، إن الإنسان الحكيم هو الذي يبحث عن علوم تنفعه وهذه العلوم متوفرة في المكتبات وعند الأساتذة كعلم الفقه والحديث واللغات والأدب والاجتماع والتاريخ والفيزياء والكيمياء والاقتصاد... إن من يسعى وراء هذه العلوم سوف يحصل منها على الكثير في غضون سنوات قليلة، أما العلوم الغريبة لو أنفق كل عمره فلن يحصل منها على شيء.

حتى هذه اللحظة شرحت سخافات هذه العلوم، سوف ننتقل الآن إلى البرهان العملي الواقعي التجريبي الذي برهن به رسولنا الأعظم، سأذكر في هذا البحث ستة وعشرين قضية غيبية تكلم بها الرسول ﷺ، وكلها حصلت بالفعل، إنها ليست قراءة الفنجان، وليست كهانة، وليست شعوذة ولا عرافة. إنه الغيب الذي اختص به الله وأعطى رسوله ما أعطى ليثبت به صدق رسالته، نعم هذه الحقائق الغيبية التي تكلم بها الرسول ﷺ هي أكبر دليل على صدق رسالته، جميع ما تكلم به الرسول ﷺ في الغيب قد حصل، معنى ذلك أن هذا الغيب الذي تكلم به نجح بالبرهان العملي، حقًا جميع ما تكلم به الرسول ﷺ من مغيبات قد حصل بالفعل، ولا زال هناك الكثير مما ينتظر أحفادنا في الأجيال القادمة في المستقبل.





شِعب أبي طالب

«يَا عَمِّ، إِنَّ رَبِّي اللَّهَ قَدْ سَـلَّطَ الأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا هُوَ لِلَّهِ إِلا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا، وَنَفَتْ مِنْهُ الظُّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

امتدت قريش في أذاها للرسـول ﷺ، أخـذت قريش تنتهك المعتنقين للإسلام بالتضييق عليهم وقتلهم، إن هذا هو الواقع بالضبط الـذي عاشـه المهاجـرون تحت عذاب أسـاقفة قريش، علم الرسـول ﷺ عدالـة النجاشـي وأنه لا يظلم عنده أحـد فدعاهم لترك بلادهم والذهاب للحبشة!

وبإيجاز بعثت قريش من يزرع الفتنة بين النجاشي والمهاجرين، لكن عمرو بن العاص قد فشل في هذه المهمة.

لا بد لقريش أن تغير إستراتيجيتها تجاه الرسول ﷺ، اجتمعوا اجتماعًا عاجلاً في دار الندوة، وهذا يعني لنا أن هناك شيئًا مهمًا تريد أن تفعله قريش أمام دعوة الرسول ﷺ.

شعب أبي طالب!! اعتقدوا أن هذا هو أفضل الحلول، محاصرة بني هاشم في هذا الشعب، والتضييق عليهم وعدم تزويجهم ومبايعتهم، إلا أن يسلموا لهم الرسول ﷺ ليقتلوه! أو يتنازل عن دعوته!

كانت الوسيلة التي تثبت جديتهم وتعاهدهم أنهم كتبوا هذا الاتفاق في صحيفة وعلقوها في الكعبة! يمكن للمرء أن يتساءل ما هو حجم العذاب الذي لحق بني هاشم لمدة ثلاث سنوات وهم في هذا الشعب؟! فجأة! قال الرسول ﷺ لعمه أبي طالب كما جاء في السيرة النبوية لابن هشام: «يَا عَمِّ، إِنَّ رَبِّي اللَّهَ قَدْ سَلَّطَ الأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا هُوَ لِلَّهِ إِلا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا، وَنَفَتْ مِنْهُ الظُّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ، فَقَالَ: أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا، فَهَلُمَّ صَحِيفَتَكُمْ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخِي فَانْتَهُوا عَنْ قَطِيعَتِنَا، وَانْزِلُوا عَمَّا فِيهَا؟ وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي، فَقَالَ الْقَوْمُ: رَضِينَا، فَتَعَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَظَرُوا، فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا. فَعِنْدَ ذَلِكَ صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ مَا صَنَعُوا»[1].

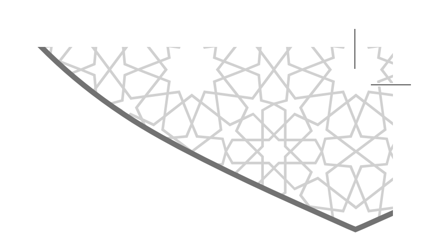
---

(١) السيرة النبوية ٢/ ١٩.

بالفعل كانت هذه النبوءة كفيلة في صدق رسالة الرسول ﷺ، لكن المزعج بعد خروج بني هاشم من الشعب، ازدادت قريش في عدوانها للرسول ﷺ وخاصة أن أبا طالب الذي كان يحمي الرسول ﷺ توفي مع السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ وكان هذا بعد الخروج من الشعب وقبل الهجرة بثلاث سنوات، لقد حزن الرسول ﷺ كثيرًا وسمي هذا العام بعام الحزن.

امتدت يد قريش للرسول ﷺ، قال الرسول ﷺ كما جاء في الكامل في التاريخ: «ما نالت قريش مني شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب»[1]، ويستطرد ابن الأثير أن قريشًا وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه وحتى إن بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي!! اشتد الأمر على الرسول ﷺ فذهب مع الرجل الوفي زيد بن حارثة إلى الطائف.

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٦٠٦.



يونس بن متى!

«مِـنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِـحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟!».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

ربمـا كان أفضـل محاولـة يفعلهـا الرسـول ﷺ للفـرار مـن القسـوة التي لاقاها من كفار قريش بعد موت عمه أن يذهب للطائف! شـرع الرسـول ﷺ في الذهاب إلـى الطائف مع الرجـل الوفي زيد بن حارثة، اختار الرسـول ﷺ ثلاثة نفر من سـادة الطائف وهم من بنـي عبد يا ليل، دعاهم الرسـول ﷺ إلى عبـادة الله وعرض عليهم الإسلام وطلب منهم النصر! لقد اسمعوا الرسول ﷺ كلمات قاسية جدًا، وفوق ذلك لم يتركوه في شـأنه بل تبعه سـفهاء الطائف يسـبونه ويرمون عليه الأحجار وكان زيد بن حارثة يتلقى هذه الأحجار.

من الواضح أن يوم الطائف كان يومًا عصيبًا على الرسول ﷺ، استقر الرسول ﷺ في بستان لعتبة وشيبة، ورفع يده إلى السماء يدعو بهذا الدعاء كما جاء في السيرة النبوية: «اللَّهُمَّ إلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا بِكَ»(١).

ما أجمل هذه الكلمات التي نطق بها الرسول ﷺ في هذا اليوم العصيب، لا أحد يستطيع أن يتصور كم هو العذاب الذي لاقاه الرسول ﷺ في الطائف؟! لكن إذا تمعنا في هذا الدعاء قد نشعر ببعض الشيء مما لاقاه الرسول ﷺ، إنني أقف حائرًا متعجبًا من هذا الصبر، صبره على الحجارة؟ أم على قسوة الكلمات التي سمعها من سادة وسفهاء الطائف التي هي أشد عليه من هذه الحجارة؟!

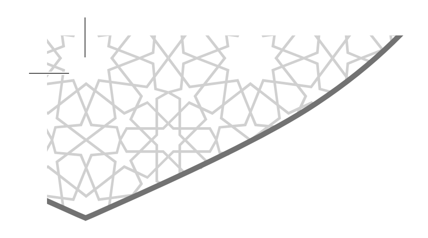
في هذه اللحظات ظهرت وتحركت عاطفة عتبة وشيبة لما يربطهما بالرسول ﷺ من نسب، قالا لغلام لهما اسمه عَدّاس خذ قطفًا من العنب واذهب به إلى ذلك الرجل، سنكمل القصة من كتاب السيرة النبوية لابن هشام: «فَلَمَّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ، وَمَا لَقِيَ،

(١) السيرة النبوية ٢/ ٤٨.

تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، فَدَعَوا غُلامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا، يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ، فَقَالا لَـهُ: خُـذْ قِطْفًا مِنْ هَذَا الْعِنَـبِ، فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ، ثُـمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِـكَ الرَّجُلِ، فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ. فَفَعَلَ عَـدَّاسٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ، فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاَللَّهِ إنَّ هَذَا الْكَلامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَهْـلِ أَيِّ الْبِـلادِ أَنْتَ يَا عَـدَّاسُ، وَمَا دِينُكَ ؟ قَالَ: نَصْرَانِـيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْـنِ مَتَّى، فَقَالَ لَـهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ»[1].

كانـت المسـألة المحيّرة للنصراني كيف عرف الرسـول ﷺ بـ(يونس بن متى)؟ إن أهل نينوى أنفسـهم بالكاد يعرفه القليل؟! كان هذا سـببًا كافيًـا وواضحًا للغلام يسـتنتج أن هذا الرجل الـذي قدّم له العنب هو رسول من الله!

(١)السيرة النبوية ٢/ ٤٩.



خصوم الرسول ﷺ

«نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

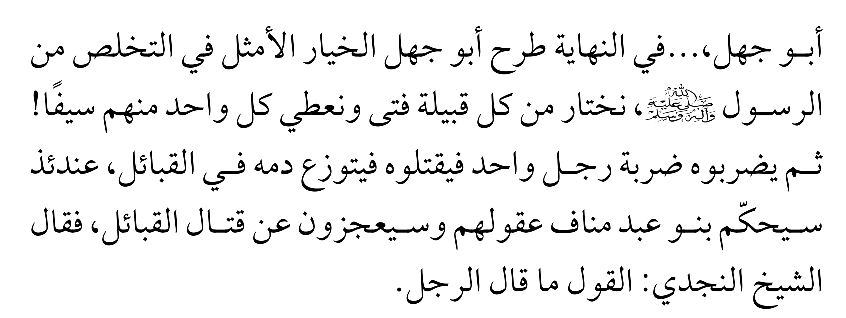
إن خصوم الرسول ﷺ كانوا أقوى بكثير مما يتصوره العقل البشري، ولفهم هذه النقطة أقول: إن هؤلاء الخصوم رغم ما شاهدوه من أفعال خارقة تصدر من الرسول ﷺ كمعجزة الشجرة وانشقاق القمر والمعراج إلا أن هذه الأفعال لم تزدهم إلا قسوة وعنادًا، لقد اجتهد الرسول ﷺ بكل الوسائل والاحتمالات من أجل هؤلاء، يمكن هنا للمرء أن يضع هذا السؤال: لماذا لم يؤمن هؤلاء بالرسول ﷺ رغم ما شاهدوه من أمور تدلُّ على صدق رسالته؟ إنّ الجواب عن هذا السؤال ليس بالأمر السهل، وليس عندي المقدرة على الإجابة

الكاملة عليه.

رجع الرسول ﷺ من الطائف ولم تزده أحداث الطائف إلا قوة، أخذ يدعو الناس كعادته فالتقى بستة أشخاص من سكان المدينة وهم من قبيلتي الأوس والخزرج، كان سكان المدينة الأنصار -سمّوا بالأنصار بعد مدة- منقسمين إلى قبيلتي الأوس والخزرج، قد سمعوا من يهود المدينة بعض الكلام عن الرسول ﷺ. دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام وأسلموا، وبعد هذه الواقعة بسنة وقبل الهجرة بسنتين أتى للرسول اثنا عشر شخصًا من الأنصار وبايعوه بيعة العقبة الأولى، على أن لا يشركوا بالله ولا يمارسوا الزنا ولا يسرقوا...لقد أرسل لهم رسول الله ﷺ السفير العظيم مصعب بن عمير ليعلمهم الإسلام، وبذلك يكون مصعب أوّل سفير في الإسلام! فسلام الله عليك يا مصعب! أتى إلى الرسول ﷺ سبعون أو أكثر بقليل من الرجال مع امرأتين أيضًا وبايعوه بيعة العقبة الثانية على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءَهم وأولادهم وأن يفدوه بأنفسهم!

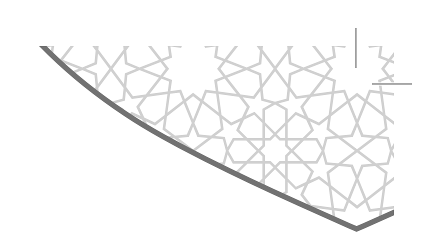
بعد هذه البيعة تفشى الإسلام في الأنصار الذين يسكنون المدينة! لقد اجتمع رؤساء ووجهاء ورؤوس الأموال في قريش ليتخلصوا من الرسول ﷺ وهو لا يزال في مكة، اجتمعوا في دار الندوة ودخل إبليس معهم في صورة شيخ نجدي وهو يخاطبهم: إنني من أهل نجد! سمعتُ بخبركم فحضرتُ وعسى أن لا تعدموا مني رأيًا.

اجتمع أساقفة قريش، شيبة، عتبة، أبو سفيان، أمية بن خلف،



أبـو جهل،...في النهاية طرح أبو جهل الخيار الأمثل في التخلص من الرسـول ﷺ، نختار من كل قبيلة فتى ونعطي كل واحد منهم سيفًا! ثـم يضربوه ضربة رجـل واحد فيقتلوه فيتوزع دمه فـي القبائل، عندئذ سـيحكّم بنـو عبد مناف عقولهم وسـيعجزون عن قتـال القبائل، فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل.

كان الرسول ﷺ يعلم ماذا يحيكه أساقفة قريش، كيف لا يعلم وفي تلك اللحظة بالضبط قال الرسول ﷺ لعلي نم على فراشي؟! إن البشـر ليسوا على درجة واحدة من التضحية؟! لقد أحسن الرسول ﷺ اختيـار علي بـن أبي طالب لينام على فراشـه! حقًـا كان الأمير أوّل فدائيٍّ في الإسـلام! لقد قدم نفسـه من أجل الرسـول ﷺ! نام الأمير على فراش الرسول ﷺ ولم يصبه مكروه كما أخبره الرسول ﷺ سابقًا! يوجد اعتراض يتبادر إلى الذهن، إذا كان الأمير يعلم أنه سينجو فأين التضحية؟! نترك الجواب للقارئ.

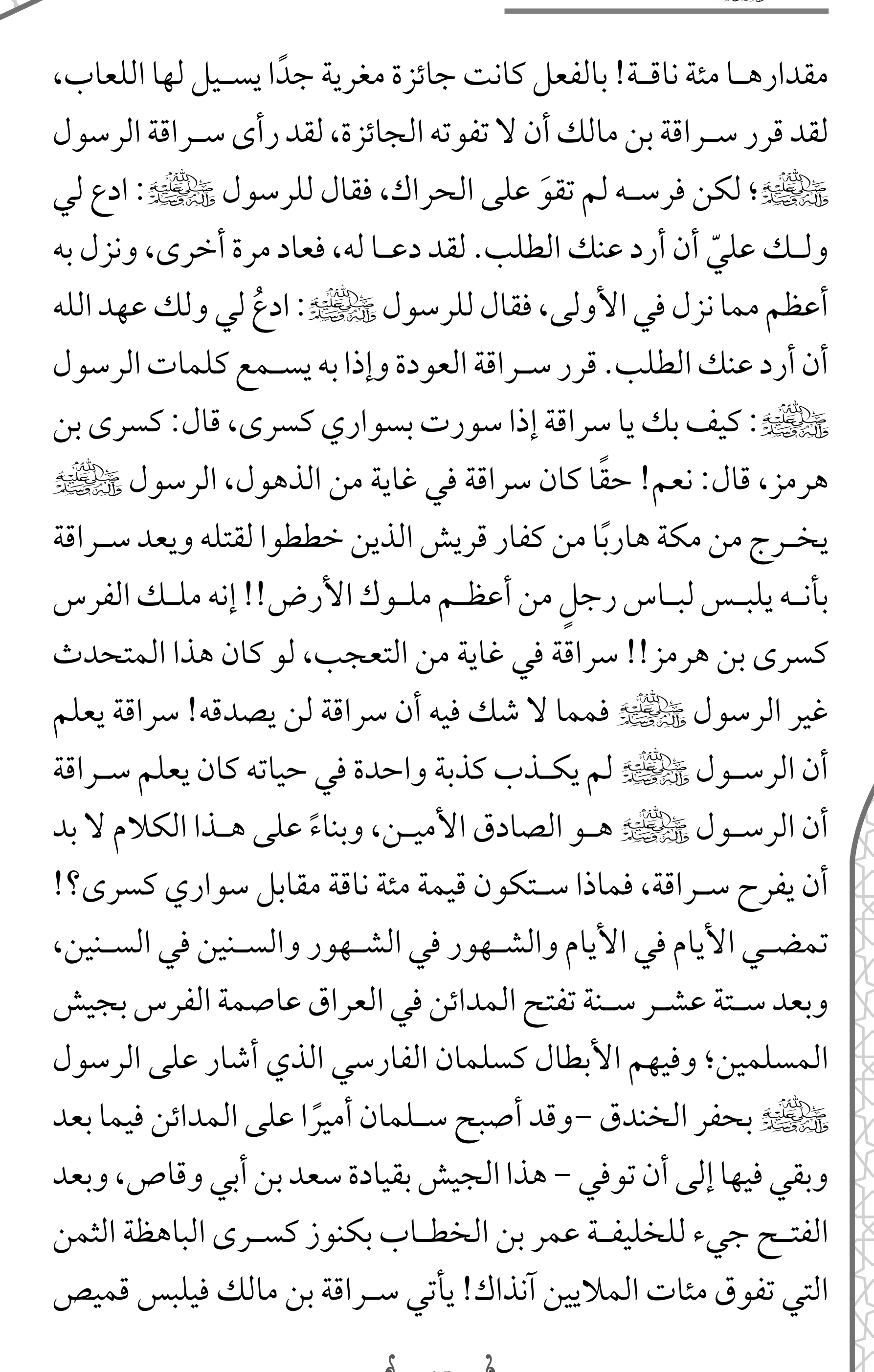


سواري كسرى بن هرمز

«كيف بك يا سراقة إذا سُوِّرْتَ بسوارَيْ كِسْرَى».

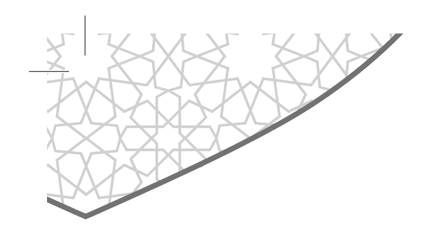
الرسول ﷺ/ الكامل في التاريخ

نعم نام الأمير على فراش الرسول ﷺ مضحيًا بنفسه، يقول تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[البقرة:٢٠٧]، كان الأمير أول شخص باع وضحى بنفسه من أجل الرسول ﷺ! ينام الأمير على فراش الرسول ﷺ، ويذهب الرسول ﷺ مع صاحبه أبي بكر ويختبئان في غار ثور، يقول تعالى: ﴿**إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[التوبة:٤٠]. تضع قريش جائزة قيمة



مقدارهـا مئة ناقـة! بالفعل كانت جائزة مغرية جدًا يسـيل لها اللعاب، لقد قرر سـراقة بن مالك أن لا تفوته الجائزة، لقد رأى سـراقة الرسول ﷺ؛ لكن فرسـه لم تقوَ على الحراك، فقال للرسول ﷺ: ادع لي ولـك عليّ أن أرد عنك الطلب. لقد دعـا له، فعاد مرة أخرى، ونزل به أعظم مما نزل في الأولى، فقال للرسول ﷺ: ادعُ لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب. قرر سـراقة العودة وإذا به يسـمع كلمات الرسول ﷺ: كيف بك يا سراقة إذا سورت بسواري كسرى، قال: كسرى بن هرمز، قال: نعم! حقًا كان سراقة في غاية من الذهول، الرسول ﷺ يخـرج من مكة هاربًا من كفار قريش الذين خططوا لقتله ويعد سـراقة بأنـه يلبـس لبـاس رجلٍ من أعظـم ملـوك الأرض!! إنه ملـك الفرس كسرى بن هرمز!! سراقة في غاية من التعجب، لو كان هذا المتحدث غير الرسول ﷺ فمما لا شك فيه أن سراقة لن يصدقه! سراقة يعلم أن الرسـول ﷺ لم يكـذب كذبة واحدة في حياته كان يعلم سـراقة أن الرسـول ﷺ هـو الصادق الأميـن، وبناءً على هـذا الكلام لا بد أن يفرح سـراقة، فماذا سـتكون قيمة مئة ناقة مقابل سواري كسرى؟! تمضـي الأيام في الأيام والشـهور في الشـهور والسـنين في السـنين، وبعد سـتة عشـر سـنة تفتح المدائن في العراق عاصمة الفرس بجيش المسلمين؛ وفيهم الأبطال كسلمان الفارسي الذي أشار على الرسول ﷺ بحفر الخندق -وقد أصبح سـلمان أميرًا على المدائن فيما بعد وبقي فيها إلى أن توفي - هذا الجيش بقيادة سعد بن أبي وقاص، وبعد الفتـح جيء للخليفـة عمر بن الخطـاب بكنوز كسـرى الباهظة الثمن التي تفوق مئات الملايين آنذاك! يأتي سـراقة بن مالك فيلبس قميص

كسـرى وسراويله وقباءه وخفيه وقد قلده الخليفة سيفه أيضًا ومنطقته ووضع تاج كسـرى المرصع بالدر على رأسـه! وألبسـه سواريه!! إنها نبـوءة الرسـول ﷺ يا سـراقة، هـل تتذكر ذلـك؟! أتتذكر يا سـراقة وأنت تطارد الرسـول ﷺ خارجًا من مكة، من أجل ماذا؟ من أجل مئة ناقة؟! الآن أنت تلبس سـواري كسـرى التي لا تقـدر بثمن؟! ماذا سـتكون نتيجة (سـراقة بن مالك) وهو يتسور بسواري كسرى!! ملك أعظم دولة آنذاك؟! إن الجواب عن هذا السـؤال سـوف يكون بالطبع تحقـق نبوءة الرسـول محمد ﷺ، وهذا من أكبـر الأدلة على صدق رسـالته!! ولكـي نفهم هذه القصـة فإن الرسـول ﷺ يتكلم بحقيقة أبعد من ذلك، هي أن عاصمة الفرس يجب أن تفتح وسـراقة على قيد الحيـاة!! فتحت المدائن فـي العراق عاصمة الفرس وسـراقة لا يزال على قيد الحياة!! سنوات قليلة جدًا بعد فتح المدائن ومات سراقة!



أهل القليب

«فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ! وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ!».

الرسول ﷺ/ نهج البلاغة

تبين للقارئ الوضع المأساوي الذي عاناه المهاجرون في مكة، وهذا هو السبب الرئيس لهجرتهم للحبشة ويثرب، استقبل الأنصار الرسول ﷺ بكل شوق، قام الرسول ﷺ بعدة أعمال كبناء مسجد قباء والمسجد النبوي ولا ننسى الحدث الأكبر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، بالفعل كانت هذه المؤاخاة موفقة جدًا وعوضت المهاجرين عن آلام الغربة وترك العمل والمال هناك في مكة.



ليس هذا بالطبع نهاية القصة فلا يزال هناك الكثير مما يريد أن يفعله الرسول ﷺ في المدينة، نعم كانت قافلة أبي سفيان قادمة من الشام فاقترح عليهم الرسول ﷺ استرداد أموالهم التي نهبت منهم قبل الهجرة. استنجد أبو سفيان بقريش فأتت مسرعة إليه.

في منطقة بدر التقى جيش الرسول ﷺ الذي يبلغ ثلاث مئة وثلاثة عشر مقاتلاً!! وجيش قريش الذي كانت قيادته لأبي جهل يبلغ ألف مقاتل، تقدم ثلاثة من قريش وثلاثة من جيش الرسول ﷺ للقتال، علي مع الوليد بن عتبة، حمزة بن عبد المطلب مع شيبة بن ربيعة، عبيدة بن الحارث مع عتبة بن ربيعة. كان ذلك نكسة كبيرة لقريش عندما قتل أبطالها الثلاثة، إضافة إلى مقتل أساقفة قريش كأبي جهل وأمية بن خلف.

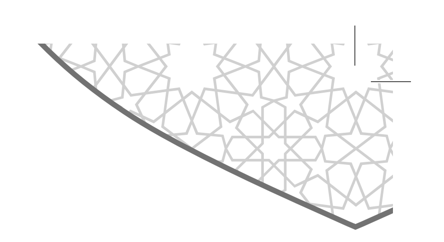
كان ذلك حقًا نصرًا كبيرًا من الله! كيف لجيش عدده ثلاث مئة وثلاثة عشر فقط أن ينتصر على ألف مقاتل! القليب..نعم هذا هو البئر أيها الرسول ﷺ، هذا هو البئر الذي كنت تحذرهم منه أثناء معجزة الشجرة، والمذهل حقًا أنه لم يؤمن هؤلاء، لقد أعلمتهم بهذا القليب.

أمر الرسول ﷺ بوضع القتلى في القليب، وهكذا تحققت نبوءة الرسول ﷺ، إنها أقل من عشر سنوات ما بين معجزة الشجرة ومعركة بدر، بالفعل كانت نبوءة صادقة من رسول صادق.

وكقضية تبدو لي أهم من سـواها عندما خاطب الرسول ﷺ أهل القليب وسوف نناقش هذا المقطع في قسم الأمور العلمية، نختم بهذا المقطع من كتاب الكامل في التاريخ: «ولما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله ﷺ، وقال: يا أهل القَلِيب بِئْسَ عشيرة النـبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدَّقني الناس. ثم قال: يا عتبة، يا شيبة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشـام –وعَدَّد مَنْ كان في القليب– هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا!»(١).

لم نسـمع بإنسـان يتكلم مـع الأموات قبل الرسـول ﷺ؟ إن الرسـول ﷺ يتكلم مع الأموات فـي معركة بدر، وهناك حقيقة أراد أن يوصلها الرسول ﷺ للمستمعين أن الأموات يسمعون؟! إننا هنا لانزال نبحث عن هذه النقطة، وسـوف نناقشـها في القسـم الثاني من الكتاب.

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٦.

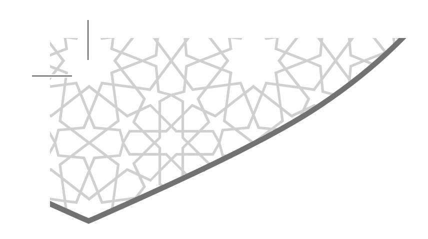


غسيل الملائكة

«إنّه لتغسله الملائكة، فسلوا أهله؟!».

الرسول ﷺ/ الكامل في التاريخ

من المؤكد أن قريش لم تنم بعد معركة بدر وبالخصوص أبو سفيان، فهذا أبو سفيان نفسه نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة!! فليس من المهم أن يغتسل أبو سفيان أو لا يغتسل؟! المهم هو الانتقام من الرسول ﷺ! لا يوجد أي خيار لأبي سفيان سوى الانتقام من الرسول ﷺ والأخذ بثأر أساقفة قريش الذين وضعوا في القليب. قد كفّر عن ذنبه بحرب العصابات في غزوة السويق ومن بعدها معركة يجهزها بأكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، حتى أن النساء قد خرجوا في هذه المعركة! قد خرجت هند زوجة أبي سفيان لتشفي غليلها مما لحق



أخوها الوليد وأبوها عتبة وعمها شيبة!!

عبيدة بن الحارث قد مات بعد معركة بدر مباشرة! ولم يتبق سوى الأمير وحمزة بن عبد المطلب! يجب أن تأخذ ثأرها من أحد هذين الرجلين! اللذين كانا سببًا مباشرًا في موت أخيها الوليد وأبيها عتبه وعمها شيبة! لقد انتصرت قريش على الرسول ﷺ بسبب مخالفة أوامر الرسول ﷺ، بالفعل إن مخالفة أوامره تقود للهلاك، لقد أعطى الرسول ﷺ الأوامر للرماة أن لا يغادروا الجبل، إنها معصية حقًا من يخالف أمر الرسول ﷺ!

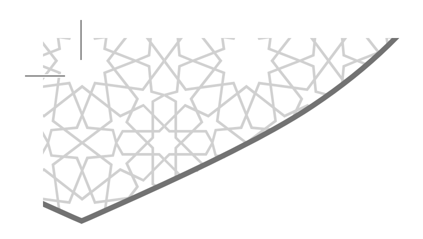
كسرت رباعية الرسول ﷺ وجرح وجهه وخرج منه الدم، كانت لحظات عصيبة تمر على الرسول ﷺ وهي أشبه ما تكون بيوم الطائف! قُتل مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام!-مصعب الشاب الجميل حديث حِسَان مكة!! الذي ترك حب الدنيا، ترك حياة الرفاهية والثراء صار يلبس الثياب البالية الخشنة بدل الثياب الفارهة المعطرة، رآه الرسول ﷺ فقال فيه: «لقد رأيت مُصعبًا هذا وما بمكة فتىً من قريشٍ أَنْعَمُ عند أبويه نعيمًا منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله»[1]- كان المشركون يظنون أنه الرسول ﷺ وهذا أيضًا كان مؤشرًا إيجابيًا لقريش! قتل حمزة وبقرت هند بطنه ولاكت كبده!! جرائم فظيعة جدًا فعلتها هند بالشهداء فقد قطعت آذانهم وأنافهم وعملت بذلك قلائد وخلاخل ! أكان يجب عليك أن تفعلي هذا يا هند؟!

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ٦٧.

الأمير أبلى بلاءً حسنًا في معركة أحد، لقد قال جبريل كما يروي الكامل في التاريخ: (لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتىً إلا علي)[1]. طلحة بن عبيد الله أبلى بلاءً وتضحية في معركة أحد من أجل الرسول ﷺ، لقد أتى للرسول ﷺ سهمٌ فتلقاه بيده فأصاب السهم خنصره!

حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة قتل، لقد قتل حنظلة ولم يغتسل غسل الجنابة، لقد قال الرسول ﷺ في حنظلة كما يروي الكامل في التاريخ: «إنه لتغسله الملائكة، فسلوا أهله؟!»[2]، نعم قد سئلت زوجته هذا السؤال، وأجابت قد خرج وهو جنب!! لهذا السبب غسلته الملائكة! لقد ظهرت ملامح كلمات الرسول ﷺ عن سبب غسل الملائكة لحنظلة بعد أن سألوا زوجته؟! رضي الله عنك يا حنظلة وعلى مصعب بن عمير وعلى حمزة بن عبد المطلب وعلى جميع شهداء أحد!

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٩.
(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٥٢.



صخرة بني النضير

«من يعلو هذا البيت فيُلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه؟».

بني النضير/ الكامل في التاريخ

يبدو أن اليهود عليهم اللعنة كانوا غير راضين بانتصار الرسول ﷺ في معركة بدر! كان الرسول ﷺ قد أبرم مع اليهود العهد، إلا أن اليهود كما في التسلسل التاريخي ليسوا أصحاب عهود.

يهود بني قينقاع قد حاولوا الاعتداء على امرأة مسلمة في سوقهم فحاصرهم الرسول ﷺ وأجلاهم فخرجوا إلى الشام، أما يهود بني النضير فقد اشتدت شوكتهم بعد معركة أحد، وبدأت خيانتهم تظهر من إقدامهم على اغتيال الرسول ﷺ. اليهود أكذب شعب على وجه الأرض ولا عهود لهم ولا مواثيق وسوف نرى ماذا

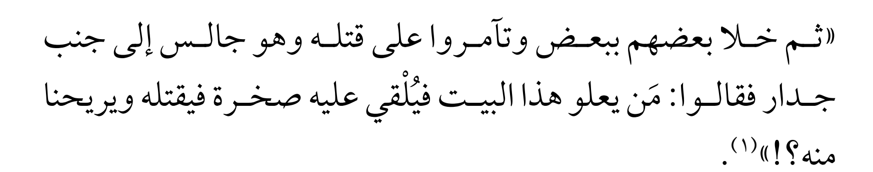
قـال الأمير لمروان بن الحكم في الفصول القادمة، عندما عُرض عليه أن يبايعه، لقد قال الأمير: بأنها كف يهودية!

كان بنو النضير يظنون أنهم سينتقمون من الرسول ﷺ، لكن لم تفلح مكائدهم وخططهم، كيف يمكن لأشخاص ينتمون للإنسانية أن يروا من نقض العهد أمرًا طبيعيًا؟! حقًا اليهود لا وفاء لهم وقد قال هتلر كلمته المشهورة فيهم: «كان بإمكاني أن أقتل جميع يهود العالم، ولكـن تركت بعضًا منهم لتعرفوا لماذا كنت أقتلهم؟!»[(١)]، إننا في هذا اليوم نشـاهد الانحرافات الفظيعة التي تفعلها اليهود بالمسلمين، هذا لدرجـة تطاولهـم على الرسـول ﷺ مـن خلال تقديـم المصاحف للخنازيـر، لقـد قاموا بإحـراق المصاحـف، لقد قاموا بتشـويه صورة الرسـول ﷺ من خلال الرسـوم والأفلام المسـيئة التـي فعلوها؟! حقًا! إن اليهود أنجاس!

في السـنة الرابعـة للهجرة جلس الرسـول ﷺ بجنب حائط، فاتفق يهود بني النضير وتآمروا على قتله وهو جالس، يقول ابن الأثير:

---

(١) من المشهور أن هتلر يكره اليهود كثيًرا، والذي يقرأ كتابه كفاحي يلاحظ ذلك. أنقل مقطعين من الكتاب: قال هتلر في كتابه كفاحي / ١١: ومما زاد في نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية، وقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة. وقال في الكتاب نفسه/ ٤٠: إن إتقان الكذب هو فن يجيده اليهود، لأن كيانهم من أساسه يقوم على كذبة ضخمة ألا وهي زعمهم أنهم طائفة دينية، مع أنهم في الواقع جنس وأي جنس؟ لقد وصف شوبنهاور اليهود بأنهم أساتذة عظام في فن الكذب. ولا شك أن الرجل لم يظلمهم.



«ثـم خـلا بعضهم ببعـض وتآمـروا على قتلـه وهو جالـس إلى جنب جـدار فقالـوا: مَن يعلو هذا البيـت فيُلْقي عليه صخـرة فيقتله ويريحنا منه؟!»(١).

فـي تلك اللحظـة بالضبـط يقوم الرسـول ﷺ! لمـاذا يا بني النضير اتفق قيام الرسـول ﷺ مع إلقاء الصخرة؟ ألا يدل هذا على صـدق رسـالته؟! ألا يـدل هـذا أيها اليهـود أن الرسـول ﷺ يملك اهتمامًا خاصًا من قبل الله؟

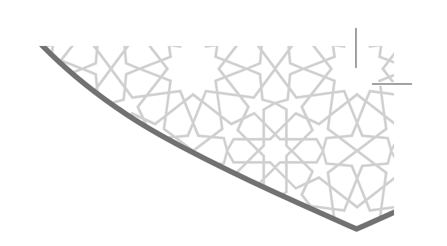
انتصـر الرسـول ﷺ علـى بنـي النضيـر فخرجـوا إلـى خيبر وخـرج بعضهـم إلى الشـام، ومـن الغريب أن بنـي النضير لـم يتأدبوا فذهب بعضهم إلى قريش ليتحالفوا معها على حرب الرسـول ﷺ، ليـس من العجب أن يفعـل اليهود ما فعلوا؟ لقد نكثت بنو قريظة أيضًا عهدها وتحزبت مع جيش أبي سفيان!!

سـار جيش الأحزاب يقـوده أبو سـفيان للمدينة المنـورة، كان استقبال المسلمين لهم أن حفروا لهم الخندق!

انتصر المسلمون في الخندق وعادت قريش خائبة فاشلة لمكة، أما بنو قريظة فقد حاربهم الرسول ﷺ وانتصر عليهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٦٥.



صخرة الأحزاب

«أَمَّـا الأولَى فَـإِنَّ اللَّـهَ فَتَحَ عَلَـيَّ بِهَا الْيَمَـنَ؛ وَأَمَّـا الثَّانِيَـةُ فَـإِنَّ اللَّهَ فَتَـحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّـامَ وَالْمَغْـرِبَ؛ وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَـإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

سـلمان الفارسي اقترح على الرسول ﷺ حفر الخندق، كان سـلمان كبيـرًا جدًا وقـد عاش فترة زمنيـة طويلة في بـلاد فارس، كان سلمان يتبع في حفر الخندق خطة تعلمها من بلاد فارس، لقد أعجب الرسـول ﷺ بفكرة الخندق حيث كان يعمل الرسـول ﷺ بنفسه في حفر الخندق.

يقـول ابـن الأثيـر: «فأخـذ المعـول وضـرب الصخـرة ضربـة صدعهـا، وبرقـت منها برقة أضـاءت ما بين لابتي المدينـة حَتَّى لكأن

مصباحًا في جوف بيت مظلم فكبَّر رسول الله ﷺ والمسلمون، ثم الثانية كذلك، ثم الثالثة كذلك، ثم خرج وقد صدعها! فسأله سلمان عما رأى من البرق فقال رسول الله ﷺ: أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحُمْر من أرض الشام والروم وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا، فاستبشر المسلمون وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يعدكم الباطل! ويخبركم أنه ينظر من يثرب الحيرة، ومدائن كسرى، وإنها تُفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا؟!!!!»[1].

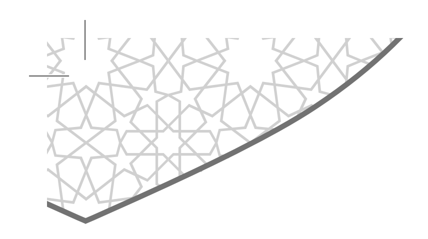
إن المنافقين كانت نظرتهم قصيرة الأمد، ولو كان هؤلاء المنافقون يوجد عندهم بعد نظر لم يستهزئوا بكلمات الرسول ﷺ؟! ألم يكن الرسول ﷺ في مكة وحيدًا؟! ألم ينتصر الرسول ﷺ في معركة بدر وقُتل في تلك المعركة أساقفة قريش؟! لا شك أن المنافقين ينظرون بعيونهم لا بعقولهم؟! تحققت كلمات الرسول ﷺ وفتحت مكة بعشرة آلاف مقاتل! فتحت اليمن والروم وفارس! وصل الإسلام لإفريقيا والمغرب! نعم كان الرسول ﷺ يتكلم من منطق واقعي وليس من الأحلام التي يلجأ إليها الناس الفاشلون.

جاء جيش أبي سفيان من مكة باتجاه المدينة، ففاجأهم الخندق!! مسألة غريبة جدًا لأول مرة تصادفهم كيف يتعاملون مع مثل

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٧١.

هذه المشكلة؟! كيف يمكن للمقاتلين أن يجتازوا هذا الخندق؟! تبدو المسـألة أصعب مما يعتقدون؟! حاول بعضهم لكن هذه المحاولات فشـلت، وعلـى الرغـم مـن هـذه الصعوبـات اسـتطاع أحـد الأبطال العجائز مـع آخرين!! أن يقتحموا هذا الخندق؟! ومن أجل إبراز هذه البطولـة ثانية صرخ الرجل بالمسـلمين يطلب منهـم المبارزة؟! كيف يمكن لهؤلاء المسـلمين أن يقاتلوا رجلاً تقاتل مع عنترة العبسـي في الجاهلية-توفـي قبل البعثة- وهو اليوم يجتاز الخندق، سـوف تكون النتيجـة معروفـة مسـبقًا، ومن السـخافة أن ندخل معركـة نتيجتها أننا مقتولون؟!

من حسن حظ المسلمين في تلك اللحظة أنه يوجد بينهم من له القدرة على قتال عمرو، فمن أجل اسـتمرار الإسـلام يجب أن يموت عمرو؟! نعم! لا بد له أن يموت، في تلك اللحظة برز الإسلام كله إلى الشرك كله!



رؤيا الرسول ﷺ

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

[الفتح:٢٧]

في السنة السادسة للهجرة ذهب الرسول ﷺ إلى مكة معتمرًا، كان في صحبته ألف وأربع مئة رجل، ظنت قريش أن الرسول ﷺ أتى مقاتلاً بخدعة العمرة.

أرسل الرسول ﷺ عثمان بن عفان ليتفاوض مع قريش، كان من المفترض أن يذهب عمر بن الخطاب لكن مكة ليس فيها من بني عدي ليمنعوه من قريش، اعتقد عمر بن الخطاب أن عثمان بن عفان



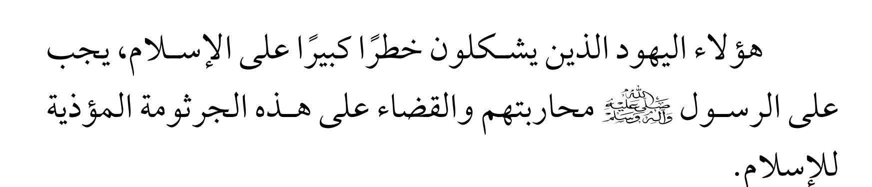
هو أفضل منه في هذا الموقع لأنه من بني أميّة.

هكذا ذهب عثمان بن عفان ليكون رسـول الرسـول ﷺ فما كان من قريش إلا أن تحبسه عندها، ظهرت بعض الإشاعات والأقاويل أن عثمان بن عفان قد قتل! لقد بايع المسـلمون الرسـول ﷺ تحت الشـجرة على أن لا يفروا، كانت بيعـة صادقة أنزل الله فيها قرآنًا، وقد بايع رسول الله ﷺ وضرب بيده نيابة عن عثمان بن عفان.

قـال اللـه تعالى: ﴿**لَقَـدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَـنِ الْمُؤْمِنِيـنَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّـجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّـكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾[الفتح:١٨].

نسـتطيع أن نسـتنتج من هذه الآيـة أنهم كانـوا صادقين حقًا في بيعتهـم، وفـي الحقيقة أن عثمان بن عفان لم يقتل، لقد رجع الرسـول ﷺ والمسـلمون بـدون عمرة، عقدت اتفاقية بين قريش والرسـول ﷺ علـى أن يعتمروا في السـنة القادمة، إضافة إلـى توقف الحرب لمدة عشـر سـنين، إن من يأتي الرسـول ﷺ من قريش من غير إذن وليّـه يـرده عليهم ومـن يجيء قريشًـا من أصحاب الرسـول ﷺ لا يردونـه، وأخيـرًا مبدأ الحريـة في الاختيار للناس بين الرسـول ﷺ أو قريش.

كان هذا الصلح في ظاهره من مصلحة قريش، إن الرسول ﷺ كان يملك بعد النظر، لقد تفرغ الرسول ﷺ لمراسلة الملوك ليدخلوا في الإسلام، أيضًا تفرغ تمامًا لمحاربة مستنقع اليهود الكبير خيبر.

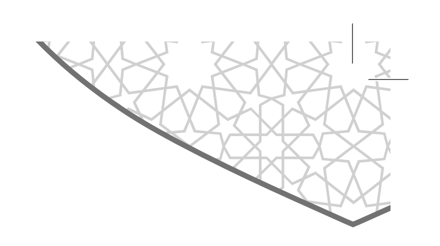


هؤلاء اليهود الذين يشكلون خطرًا كبيرًا على الإسلام، يجب على الرسول ﷺ محاربتهم والقضاء على هذه الجرثومة المؤذية للإسلام.

إن النقطة الجوهرية ماذا لو لم يعتمر المسلمون؟! بالطبع سيشككون في صدق الرسول ﷺ؟! لقد اعتمر المسلمون في السنة القادمة! لقد أثابهم الله أيضًا بغنائم خيبر، ومن بعد خيبر رزقهم الله الفتح الكبير.

في الحقيقة إن هذا الصلح كان ممهدًا لفتح مكة! هذا الفتح العظيم الذي انتصر فيه الرسول ﷺ على قريش، سنتكلم عنه بعد حلقتين.





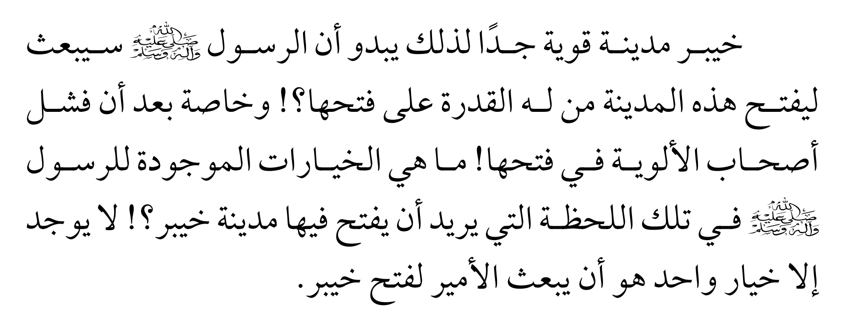
فتح خيبر

«لأعطيـن الراية غدًا رجلاً يفتح على يديه».

الرسول ﷺ/ صحيح البخاري

عارض بعض المسـلمين صلح الحديبية، إلا أن الرسول ﷺ كان يعلم أن هذا الصلح سيمهد له الطريق لمراسلة الملوك والانتصار على اليهود ولفتح مكة وهذا من بعد النظر الذي كان يتميز به الرسول ﷺ وهذه الميزة أساسـية للقائد وللحاكم فإذا لم يكن القائد يملك هذه الميزة وكان ينظر بنظرة قصيرة المدى فهذا مؤشرٌ سلبيٌ جدًا.

لقد سـار الرسـول ﷺ إلى خيبر في السنة السـابعة للهجرة، بعـث الرسـول ﷺ أصحـاب الألويـة الواحـد تلـو الواحـد لكـن المحاولات جميعها كانت فاشلة.



خيبـر مدينـة قوية جـدًا لذلك يبدو أن الرسـول ﷺ سـيبعث ليفتـح هذه المدينة من لـه القدرة على فتحها؟! وخاصة بعد أن فشـل أصحـاب الألويـة فـي فتحها! مـا هي الخيـارات الموجودة للرسـول ﷺ فـي تلك اللحظـة التي يريد أن يفتح فيها مدينة خيبر؟! لا يوجد إلا خيار واحد هو أن يبعث الأمير لفتح خيبر.

إن خبرتنـا التاريخية تشـير أن الأمير له القدرة على فتح حصون خيبر، لقد قتل أساقفة قريش في معركة بدر، أبلى بلاءً حسنًا في معركة أحـد وفي الخندق، لقد قتل هنـاك الفارس البطل الذي اجتاز الخندق عمرو بن عبد ود العامري، لم تنته البطولات أيها الأمير فما يزال هناك الكثير لا زالت هناك خيبر!

قرر الرسول ﷺ أن يعطي الراية غدًا من سيفتح الله على يديه حصون خيبر، رجلاً يحب الله ورسـوله ويحبه الله ورسـوله! سيفتح حصون خيبر.

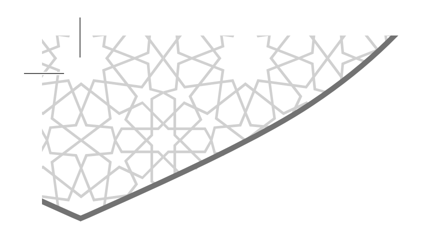
يتسـاءل الكثيـر من هـو الرجل الذي سـيعطيه الرسـول ﷺ والذي سـينال شـرف فتح حصون خيبر؟ هل هناك غير الأمير سـيفتح هـذه الحصون أيها النـاس؟! ربما يكون ثمة أمر يمنع أن يكون الرجل هـو الأمير؟ إن الأمير يشـكو من مرض في عينيه فبالـكاد يرى موضع قدمـه، بصق الرسـول ﷺ في يديه وأخذ يمسـح علـى عيني الأمير حتى شفيت تمامًا! إنها معجزة الرسول ﷺ في يوم خيبر! ومعجزته الأخرى إخباره بما سيكون، بالفعل أعطى الرسول ﷺ الراية للأمير، وفتح بها حصون خيبر! لقد صدق الرسول ﷺ سيعطي الراية رجلا



يفتح على يديه!

طلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصلح فصالحهم بالبقاء في أرضهم شريطة أن يدفعوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم نصف غلالهم، إضافة إلى أن يكونوا تحت حكم المسلمين إلا إذا شاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إخراجهم.

الخوف خيّم على بعض اليهود المجاورين القريبين من خيبر، فصالحوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدون قتال على أرض فدك، لقد رجع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة منتصرًا، ومع ذلك ليست هذه نهاية القصة! فتح مكة، يجب على مكة أن يدخلها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منتصرًا ويكسر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأمير الأصنام التي وضعت حول الكعبة وفوق الكعبة...ويصرخ بلال العبد الحبشي الأسود في وجود أساقفة قريش.. الله أكبر.. الله أكبر... المشكلة كيف يحارب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قريشًا وهناك بند من بنود العقد الذي أجراه مع قريش، فيجب على الحرب أن تتوقف لمدة عشر سنين!!

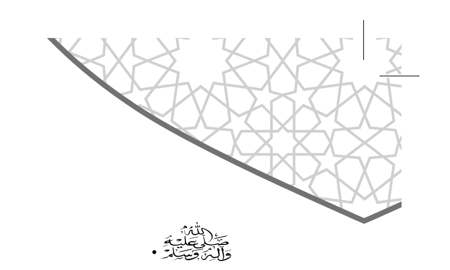


معركة مؤتة

«أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب».

الرسول ﷺ/ صحيح البخاري

على الرغم من اعتراض البعض على صلح الحديبية، إلا أن هذا الصلح كان من صالح المسلمين، انتصر الرسول ﷺ على اليهود في خيبر، وقبل ذلك تفرغ الرسول ﷺ أيضًا لمراسلة الملوك، كتب للنجاشي لقد أسلم النجاشي، ولا ننسى الدور الذي أداه جعفر لمدة أربع عشرة سنة قضاها في الحبشة، هناك عدة ملوك راسلهم الرسول ﷺ. أرسل الرسول ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بُصرى، وفي طريقه إلى الشام نزل مؤتة وتصدى له شرحبيل بن عمرو الغساني فضرب عنقه، وهو الرسول الوحيد الذي يقتل للرسول



ﷺ.

غضب الرسول ﷺ كثيرًا لهذا الحدث الجلل، وبمجرد أن رجع جعفر من الحبشة احتضنه الرسول ﷺ وقبله بين عينيه وكان ذلك في السنة السابعة من الهجرة، ومن ثم أرسله في سرية إلى مؤتة، هذه السرية يقودها زيد بن حارثة الرجل الشهم الذي خرج مع الرسول ﷺ للطائف، يقودها أيضًا جعفر بن أبي طالب بعد مقتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب قد لعب دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في الحبشة لمدة طويلة جدًا، القائد الثالث هو عبد الله بن رواحة. خرجت السرية بثلاثة آلاف مقاتل، استقبلهم هرقل ملك الروم بمئتي ألف مقاتل!! بالطبع لا يوجد تكافؤ في العدد، واحد مقابل ستة وستين!! كانت الشهادة تنتظرهم هناك في مؤتة. أخذ الراية زيد بن حارثة فقتل.. ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل وقتل... ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل ثم قتل!! يقول ابن هشام في السيرة النبوية: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، قَالَ: ثُمَّ صَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُ الأَنْصَارِ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُونَ، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا»(١).

الرسول ﷺ ينظر إلى مصارع القوم وهم في مؤتة وهو في المدينة! ليس من العجب بعد كلِّ هذه النبوءات الصادقة أن يتكلم

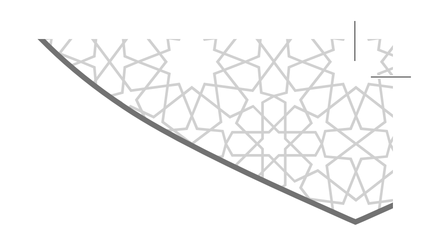
(١) السيرة النبوية ٤/ ١٥.

الرسول ﷺ حول مصارع الأبطال الثلاثة، الشيء المبهر أن الرسول ﷺ يتكلم وكأنه يشاهد المعركة كما نشاهد الآن مباراة على الهواء مباشرة! الرسول ﷺ يصف المعركة لحظة بلحظة! من هذه القصة بدأ يتضح لي بالبرهان التجريبي هذا السؤال هل بالفعل كان يشاهد الرسول ﷺ المعركة عن بعد؟!

خالد بن الوليد الذي شارك في معركة أحد وهو ذو السبب الكبير في انتصار قريش وهزيمة المسلمين في معركة أحد! لقد استطاع خالد بذكائه أن ينقذ جيش مؤتة، استلم الراية بعد عبد الله بن رواحة وأخذ يقاتل الروم بذكاء خارق، لقد استطاع أن يفر بالجيش وهذا هو الحل المناسب، إنه أنقذ بقية السرية من موت محقق،لم يتجاوز قتلى المسلمين الثلاثة عشر رجلاً، وعاد بهم إلى المدينة، ولخالد بن الوليد بطولات كثيرة بعد غزوة مؤتة، لقد أرسله رسول الله ﷺ بعد فتح مكة إلى بني جذيمة داعيًا أو ليستلم الزكاة ولم يبعثه مقاتلاً لكن خالد انتقامًا لعمه الفاكه بن المغيرة وعوف أبي عبد الرحمن اللذين قتلتهما جذيمة في الجاهلية وهما قادمان من تجارتهما من اليمن، لقد قتلهم خالد، ولما سمع الرسول ﷺ بذلك قال كما في الكامل في التاريخ: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد!»[١]، ولخالد بطولات وفتوحات في زمن خلافة الخليفة أبو بكر. مات خالد بن الوليد في زمن الخليفة عمر بن الخطاب في حمص.

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٢٨.



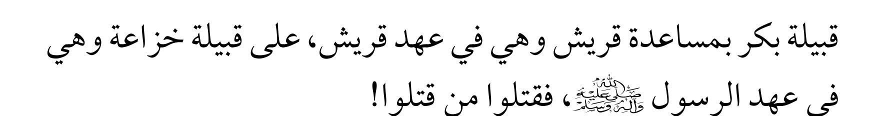
فتح مكة

«كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة».

الرسول ﷺ/ الطبقات الكبرى

وأخيرًا فتحت مكة! ثمان سنوات من القتال حدثت وكانت نتائجها فظيعة جدًا، ورغم تلك النتائج الفظيعة كان لا بد أن تحدث هذه الغزوات من أجل هذا اليوم الذي ينتصر فيه الحق على الباطل، ينتصر فيه الرسول ﷺ على أبي سفيان، لم تكن قريش مقتنعة أن الرسول ﷺ سيأتي لها في يوم ما يفتح مكة، يدخلها منتصرًا، قبل ثمان سنوات كان سراقة بن مالك يطارد الرسول ﷺ!! إنها لمعجزة حقًا أيها الرسول ﷺ ثمان سنوات فقط فيها ينتصر الحق على الباطل!

نقضت قريش بنود العقد الذي أبرمته مع الرسول ﷺ، اعتدت



قبيلة بكر بمساعدة قريش وهي في عهد قريش، على قبيلة خزاعة وهي في عهد الرسول ﷺ، فقتلوا من قتلوا!

كانت هذه شرارة فتح مكة، وأعتقد أن هذا الاعتداء كان في صالح المسلمين رغم ما حدث من قتل في قبيلة خزاعة، كيف يمكن للرسول ﷺ أن ينقض العقد الذي أبرمه مع قريش؟! من المستحيل أن ينقضه الرسول ﷺ وهو الصادق الأمين! عشر سنين كان لا بد للمسلمين أن ينتظروا ليتمكنوا من محاربة قريش، لقد استفاد المسلمون كثيرًا جدًا من هذا الاعتداء إذ به قد نقضت قريش بنود العقد، ومن هذا المنطلق قرر الرسول ﷺ أن يذهب بجيش عظيم لفتح مكة التي ولد فيها، مكة التي طردته وآذته وكذبته!

جاءت خزاعة تشكو للرسول ﷺ ما حصل لها، يقول الكامل في التاريخ: «وكان رسول الله ﷺ قد قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليجدد العهد خوفًا ويزيد في المدة»[1]. أيام قليلة فقط وتتحقق نبوءة الرسول ﷺ، ويأتي أبو سفيان ذليلاً خائفًا، لقد حاول أبو سفيان بكل الطرق أن يرضي الرسول ﷺ بتجديد العقد وزيادة المدة، ذهب لعلي وفاطمة ليتشفعا له عند الرسول ﷺ في هذا الأمر، لكن دون جدوى!

بعد رجوع أبي سفيان إلى مكة خائبًا لأن الرسول ﷺ لم يجبه إلى طلبه، بعد هذا قرر الرسول ﷺ الذهاب إلى مكة فاتحًا

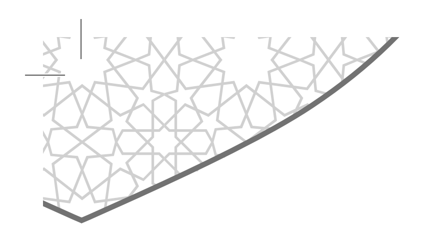
---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١١٧.

بعشـرة آلاف مقاتـل! دخل الرسـول ﷺ مكة.. يا معشـر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟!! لحظات عصيبة جدًا على قريش.. أخ كريم، وابـن أخ كريم!! قال لهم الرسـول ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء!! إنني حقًـا مدهش مـن هذا الموقف، لو كان هذا غير الرسـول ﷺ؟ إنني أقولها بكل ثقة سيحرقهم وهم أحياء، إن هذا الموقف يجسد لنا رحمة الرسول ﷺ الكبرى، لقد عفا عن هؤلاء الذين طردوه وحاربوه!!

لقـد عفا عـن أبي سـفيان الذي اضطهـده قبل الهجـرة وحزب الأحـزاب عليه بعد الهجرة لمدة ثمان سـنوات! هنـد فعلت ما فعلت في يوم أحد ورغم ذلك عفا عنها الرسـول ﷺ، كان الرسول ﷺ يسـتطيع أن يقتل أهل مكة كلهم لكنه لم يفعل! سـعد بن عبادة يمسك الراية ويقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة! سمع الرسول ﷺ فقـال للأميـر: اذهـب وخـذ الراية منـه وكن أنت الـذي تدخل بها!!

مواقف كثيرة جدًا جسـدها الرسول ﷺ في فتح مكة.. اليوم يوم المرحمة!! نعم مواقف كثيرة.. طُهرت الكعبة من الأصنام.. وعند الفجر أذن بلال العبد الحبشي في وجود أساقفة قريش بأعلى صوته.. الله أكبر.. الله أكبر..



رحمك اللّٰه يا أبا ذر

«يرحـم اللـه أبـا ذر يمشـي وحـده، ويموت وحده، ويُبْعَثُ وحده».

الرسول ﷺ/ الكامل في التاريخ

بعـد فتح مكـة قرر الرسـول ﷺ الذهاب لغـزو الروم..نحن نعلـم أنه قُتل زيد بن حارثة، قتل جعفر بن أبي طالب، قتل عبد الله بن رواحة في معركة مؤتة، تجهز الرسول ﷺ لغزو الروم، كانت الأيام حارة جـدًا، الصيف والقحـط والعناء والتعب إنها أيام العسـرة، جهز الرسول ﷺ جيش العسرة لغزو الروم.

علي بن أبي طالب لم يذهب في جيش العسرة لقد خلفه رسول الله ﷺ على المدينة وقال له كما في صحيح البخاري: «ألا ترضى أن تكـون مني بمنزلة هارون من موسـى؟ إلا أنه ليـس نبي بعدي»[1]،

(١) صحيح البخاري ٢/ ٢٠٨.

لقد فرح الأمير بمقولة الرسول ﷺ.

الرسول ﷺ في الطريق إلى تبوك، فجأة هناك من يمشي سريعًا حاملاً زاده على ظهره، إنه أبو ذر يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: «يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»[1].

مات الرسول ﷺ، وأتى من بعده أبو بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، كان أبو ذر غاضبًا على أفعال عثمان بن عفان من إغداقه الأموال على الأمويين، أرسله عثمان بن عفان إلى الشام هناك عند معاوية بن أبي سفيان ليؤدبه قليلاً، لم يكن معاوية بن أبي سفيان أحسن حظًا من عثمان بن عفان! لقد ضاق معاوية بن أبي سفيان بأبي ذر حتى أرجعه للمدينة فنفاه عثمان بن عفان إلى الربذة. لقد كان أبو ذر واعيًا لهذه المشكلة التي وقع فيها عثمان بن عفان والتي انتهت بمحاصرة الثوار له في داره وقتله، هناك رسالة لا بد لأبي ذر أن يوصلها للخليفة عثمان بن عفان، لقد أوصل أبو ذر هذه الرسالة على الرغم من الصعوبات التي تكبدها، إن أعظم صعوبة تكبدها أبو ذر صعوبة النفي والغربة! وهذه تعني الكثير! بقي أبو ذر في الربذة إلى أن مات، لقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ يا أبا ذر، سنكمل القصة من كتاب الكامل في التاريخ: «ووقف بأبي ذر جملُه فتخلّف عليه فقيل: يا رسول الله تخلّف أبو ذر فقال: «ذروه فإن يك فيه خير فَسَيُلحقه الله بكم» فكان يقولها لكل من تخلف عنه، فوقف أبو ذر على جمله، فلما أبطأ عليه أخذ رَحْلَهُ عنه وحمله على ظهره وتبع النبي ماشيًا،

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٥١

فنظر الناس فقالوا: يا رسـول اللـه هذا رجلٌ على الطريق وحده! فقال رسـول اللـه ﷺ: كن أبا ذر!!! فلمـا تأمله الناس قالـوا: هو أبو ذر. فقـال رسـول اللـه ﷺ: يرحـم الله أبـا ذر يمشـي وحـده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشـهده عصابة من المؤمنين. فلما نفى عثمان أبـا ذر إلـى الربـذة فأصابه بها أجَلُه ولـم يكن معـه إلا امرأته وغلامه! فأوصاهما أنْ يغسـلاه ويكفناه ثم يضعاه على الطريق فأول ركب يمر بهمـا يسـتعينان بهم على دفنـه ففعلا ذلـك! فاجتاز بهما عبـد الله بن مسـعود فـي رهط من أهـل العراق فأعلمتـه امرأة أبـي ذر بموته فبكى ابن مسـعود وقال: صدق رسـول الله ﷺ «تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك»، ثم واروه»[1].

إن هذا هو بالضبط ما حصل لأبي ذر، قصة حزينة جدًا، صدقت كلمات الرسول ﷺ فيك يا أبا ذر! تمشي وحدك.. تموت وحدك.. تبعـث وحدك...!! إنه أبو ذر المجاهر بالحـق رغم الأذى الذي لحق بـه، لقد دفعـت ثمن هذه المجاهرة يـا أبا ذر...إنها المنفـى!! كان أبو ذر يقـول كمـا جـاء في صحيـح البخاري: «وَقَـالَ أَبُـو ذَرٍّ لَـوْ وَضَعْتُمُ الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ وَأَشَـارَ إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لأَنْفَذْتُهَا»[2]. وجاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: «حدثني أبو كثير -يعني مالـك بـن مرثد- عـن أبيه قال: أتيت أبـا ذر وهو جالـس عند الجمرة

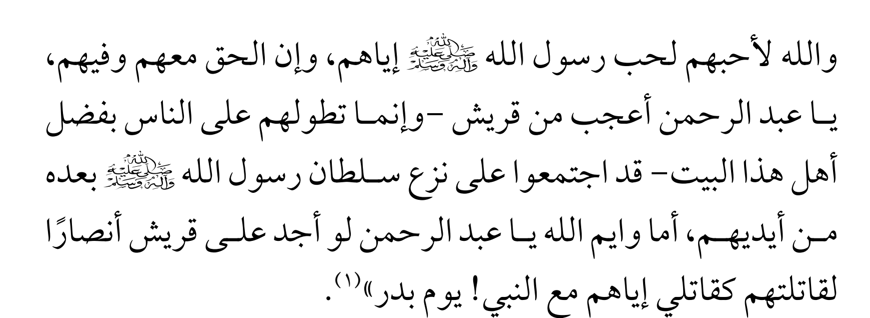
(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٥١.
(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٥.

الوسطى، وقد اجتمع عليه الناس يستفتونه، فاتاه رجل فوقف عليه ثم قال: الم تنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت علي؟ لو وضعتم. ورويناه في الحلية من هذا الوجه، وبين أن الذي خاطبه رجل من قريش، وأن الذي نهاه عن الفتيا عثمان بن عفان»[1]. إن هذا النوع من الأفعال هو الذي أخذ على الخليفة عثمان بن عفان، وهناك أشياء كثيرة بالطبع أدت أيضًا إلى قيام الثوار ومحاصرة الخليفة في عقر داره وقتله. وكمثال أعجب من هذا أيضًا ما حصل لعمار من الضرب.

نختم هذه المقالة بقصة جميلة لعمار بن ياسر، هذه القصة من كتاب مروج الذهب للمسعودي: «وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية، فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عَميَ، قالوا: لا، قال: يا بني أمية، تَلَقَّفُوها تلقُّفَ الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان؟ ما زلت أرجوها لكم! ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة، فانتهره عثمان، وساءه ما قال، ونمي هذا القول إلى المهاجرين والأنصار وغير ذلك الكلام، فقام عمار في المسجد فقال: يا معشر قريش، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله، وقام المقداد فقال: ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو؟ فقال: إني

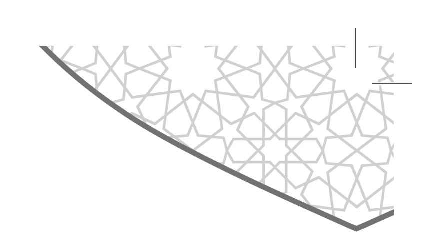
---

(١) فتح الباري ١/ ١٤٤.



والله لأحبهم لحب رسول الله ﷺ إياهم، وإن الحق معهم وفيهم، يـا عبد الرحمن أعجب من قريش -وإنمـا تطولهم على الناس بفضل أهل هذا البيت- قد اجتمعوا على نزع سـلطان رسول الله ﷺ بعده مـن أيديهـم، أما وايم الله يـا عبد الرحمن لو أجد علـى قريش أنصارًا لقاتلتهم كقاتلي إياهم مع النبي! يوم بدر»[1].

(١) مروج الذهب ٢/ ٣٤٣.



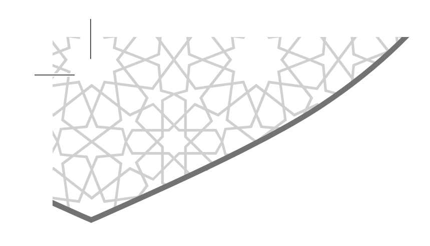
حجة الوداع

«فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

قبل ما يقرب من ثلاثة وعشرين سنة الرسول ﷺ بمفرده في مكة، قريش تضطهده، قريش تستهزئ به وتصفه بالجنون، قريش التي عذبت كل من اعتنق الإسلام، كان المسلمون يخافون من اعتناق الإسلام هربوا للحبشة خوفًا من بطش قريش.

قبل أقل من عشرين سنة يذهب الرسول ﷺ للطائف ليجد من ينصره على قريش يؤمن به وبرسالته، يرجع من الطائف بعد أن رمي بالكلمات البذيئة والحجارة. إنها محاولات كثيرة قام بها الرسول ﷺ وهي ليست من النوع البسيط، كانت تحتوي على مخاطر كثيرة، إنه يجب علينا أن نعرف أن الرسول ﷺ ضحى بكل شيء من أجل



أن يبلغ هذه الرسالة العظيمة.

إن نتائـج الـدروس التـي تعلمناها من كفاح الرسـول ﷺ أنه أعظـم شـخصية وجدت علـى الأرض، كان بمفـرده يحميـه عمه أبو طالـب، واليـوم يذهب للحج بأكثر مـن مئة ألف حاج!! أليسـت هذه الحقيقـة كافية أنه أعظم إنسـان عرفـه التاريخ؟!! فتحـت مكة ودخل الناس في الإسلام أفواجًا أفواجًا، الوفود تأتي للرسول ﷺ وتدخل الإسـلام، نعم هذه الحقيقة الواضحة، كيف يمكن لشـخص واحد أن يحقـق هـذا النصر؟ نعم الرسـول ﷺ قد حقق هـذا النصر العظيم؛ لأن الله معه!

رجـع الرسـول ﷺ مـن حجة الـوداع، لكن ليسـت هذه هي النهاية، هناك أمرٌ مهمٌ كان الرسول ﷺ مهتمًا به كثيرًا، ألا تتذكرون مـاذا قال الرسـول ﷺ قبل عشـرين سـنة عندمـا بدأ يدعو عشـيرته المقربيـن، نريـد أن نسـترجع ذاكرتنا قليـلاً، يوجد أمامـي الآن كتاب الكامـل فـي التاريخ: «يا بنـي عبد المطلب إني والله ما أعلم شـابًا في العـرب جـاء قومـه بأفضل مما قـد جئتكم بـه، قد جئتكم بخيـر الدنيا والآخـرة، وقد أمرنـي الله تعالى أن أدعوكم إليـه فأيكم يؤازرني على هـذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنهـا جميعًا وقلـت -وإني لأحدثهم سـنًا وأرمصهم عينًـا وأعظمهم بطنًا وأحمشـهم سـاقًا-: أنا يا نبي الله، أكون وزيرك فأخذ برقبتي، ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسـمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون فيقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسـمع لأبنك

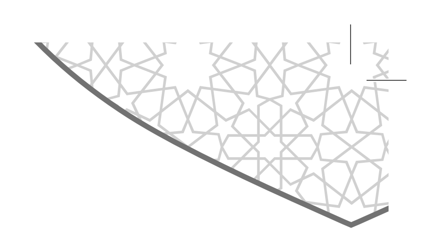
وتطيع»[1]. في تلك المرة قالها الرسول ﷺ بين عشيرته المقربين الآن وبعد عشرين سنة يريد أن يقولها لأكثر من مئة ألف إنسان! قبل أن يفترق الناس ويذهب كل فريق إلى موطنه، في منطقة غدير خم يقف الرسول ﷺ مع الأمير أمام أكثر من مئة ألف! ماذا يريد أن يقول لهم الرسول ﷺ: إنني بشر مثلكم.. يوشك أن أموت.. هناك شيء لا بد أن أقوله لكم؟! ألست أولى بكم من أنفسكم؟! نعم أيها الرسول ﷺ! من كنت مولاه فعلي مولاه! هكذا أكمل الرسول ﷺ تبليغ رسالته، ورغم هذا النداء الواضح إلا أن الناس لا زالت تعيش جاهليتها، حقًا كان الكثير يكره الأمير لقد قتل أساقفة قريش فكيف يصبح أميرها اليوم؟! وهذا أحدهم يدخل للرسول ﷺ في مسجده في المدينة محتجًا على هذا، الصلاة صليناها والصوم صمناه... ثم ماذا؟! تؤمر علينا ابن عمك؟! إنه أمر الله، لكن هذا الرجل أعماه حقده عن هذا الأمر فسأل من الله أن ينزل عليه العذاب إن كان حقًا! نعم قد أنزل الله عليه العذاب! ويبدو أن هناك الكثير لم يكونوا راضين بهذا فالتزموا الصمت في حياة الرسول ﷺ..! إلا أن هذا الصمت لم يدم طويلاً، ومن هذا المنطلق أستطيع أن أقول إن معظم الانحرافات التي حصلت في القرن الأول الهجري وما يليه من قرون سببها الحقد على أهل البيت، ولا عجب إذا كان الأمير يغيّر عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة لأن الكثير من قريش كانوا يسكنون المدينة وكانوا يبغضونه كثيرًا.

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٨٦.

هنـاك قصـص عجيبـة وغريبة قرأتهـا في كتـب التاريـخ، لكن أعجـب قصة هذه التي رواهـا صاحب مروج الذهـب، وهي محاورة بين عبد الله بن عباس ابن عم الرسول ﷺ -حبر الأمة-، وعبد الله بن الزبير: «وذكر سـعيد بن جبيـر أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير، فقال له ابن الزبير: أنت الذي تؤنبني وتبخلني؟ قال ابن عباس: نعم، سـمعت رسـول اللـه ﷺ، يقول: "ليس المسـلم الذي يشـبع ويجوع جاره"، فقال ابن الزبير: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة!!! وجرى بينهما خطب طويل، فخرج ابن عباس من مكة خوفًا على نفسه، فنزل الطائف، فتوفي هناك»(١).

(١) مروج الذهب ٣/ ٨٠.



فاطمة الزهراء

«إِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي».

الرسول ﷺ/ صحيح مسلم

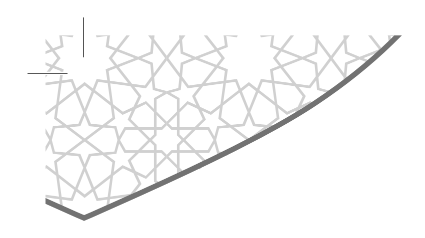
الأوضاع لم تكن جيدة، رجع الرسول ﷺ من مكة مريضًا وما هي إلا أسابيع قليلة وإذا بالمرض يشتد عليه، إنها الأكلة التي أكلها في يوم خيبر، بدأت أعراض المرض تشتد، لقد ضعف الرسول ﷺ كثيرًا لدرجة أنه أصبح غير قادرٍ على المشي! كان يتوكأ على كتفي الفضل بن العباس والأمير. ورغم هذا المرض الذي لحق بالرسول ﷺ إلا أن هناك أمرًا مهمًا جدًا ينبغي عليه فعله، جيش أسامة! نعم إنه أسامة بن زيد الذي لم يبلغ العشرين بعد، يجب عليه أن يذهب لتلك المنطقة التي قتل فيها أبوه هناك لغزو الروم، يبدو أن الكثير غير راضين بهذا التأمير كيف يمكن لأسامة أن يقود هذا الجيش وفيه أكابر الصحابة!! سمع الرسول ﷺ بهذا فصعد المنبر وقال كما في صحيح مسلم: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي

اِمَارَتِهِ – يُرِيدُ أسامة بْنَ زَيْدٍ – فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي اِمَارَةِ اَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللَّهِ اِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا. وَايْمُ اللَّهِ اِنْ كَانَ لاَحَبَّ النَّاسِ اِلَيَّ. وَايْمُ اللَّهِ اِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ – يُرِيدُ أسامة بْنَ زَيْدٍ – وَايْمُ اللَّهِ اِنْ كَانَ لاَحَبَّهُمْ اِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَاِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ»[1]. يوم الخميس قبل وفاة الرسول ﷺ بأربعة أيام هناك قضية مهمة جدًا أراد أن يكتبها، فطلب الورقة والقلم ليكتب هذه القضية المهمة، ماذا يريد أن يكتب الرسول ﷺ في تلك اللحظة، تلك اللحظة الحرجة التي تفصله عن عالم الموت بأربعة أيام فقط؟ يبدو أنه أمرٌ مهمٌ جدًا! تنازع الحاضرون فكانت النتيجة أن الورقة والقلم منعت من الرسول ﷺ! أحداث عجيبة جدًا حصلت في يوم الخميس الذي سبق وفاة الرسول ﷺ بأربعة أيام. جاء في مسند أحمد بن حنبل هذه الكلمات من حديث طويل: «... إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ اَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ»[2]. مات الرسول ﷺ يوم الاثنين من السنة الحادية عشرة للهجرة، وفي هذه اللحظات العصيبة جدًا التي أثقلت الأمير تجتمع الأنصار في يوم الاثنين نفسه في سقيفة بن ساعدة ليرشحوا سعد بن عبادة أميرًا عليهم وهو سيد الخزرج! سمع أبو بكر وعمر فذهبا ومعهما أبو عبيدة بن الجراح!! تفاجأ الأنصار من حضور هؤلاء الثلاثة من المهاجرين!! قامت مفاوضات ونزاعات في السقيفة حول اختيار الخليفة وفي النهاية كانت النتيجة أن أبا بكر أصبح خليفة للمسلمين!

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٣٧.
(٢) مسند أحمد بن حنبل ١/ ٣٥٥.

قام الأمير بتجهيز الرسول ﷺ وتغسيله وتكفينه، وقد تمَّ وضعه في قبره ليلة الأربعاء؟!! أحداث مؤلمة جدًا حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ نتيجة الصراع السياسي، وقد ظهرت نتائج هذه الأحداث على فاطمة الزهراء، أصبحت تذهب للأنصار لكن الأنصار كانت في عنقهم بيعة أبي بكر، مات الرسول ﷺ وكانت ترى الزهراء أن الخلافة من حقوق زوجها لهذا ذهبت للأنصار ليساعدوها في ذلك، حزنت كثيرًا على هذين الأمرين إضافة إلى انتزاع أرض فدك التي كانت ملكًا لها إذ نحلها الرسول ﷺ إياها.

موت الرسول ﷺ، وضياع الخلافة، وفدك، وعما جرى عليها من أحداث مؤلمة! ستكون النتيجة حتمًا.. الهم والحزن والغم والأمراض.. ماتت الزهراء وهي غير راضية عن هذا الصراع السياسي الذي حصل، دفنها الأمير ليلاً في موقع لا يعلمه أحد!! وحتى هذه اللحظة لا يعلم أحد أين دفن الأمير ابنة الرسول ﷺ؟! ماتت الزهراء بعد الرسول ﷺ بفترة قصيرة جدًا!! وهكذا كانت الزهراء أول أهل بيته لحوقًا به، هذه هي الحقيقة إن الزهراء ماتت لأنها أكلت من تلك الثمرة التي أنبتتها شجرة الصراع السياسي!!



قضاء الأمير

«**أقضى أمتي علي**».

الرسول ﷺ/ الرياض النضرة

ماتـت الزهـراء نتيجة أحداث الصراع السياسـي، بايع الأمير أبا بكر خليفة للمسـلمين، إلا أن خلافة أبـي بكر لم تدم طويلاً، مات أبو بكـر ومن الطبيعي أن يعهـد بالخلافة إلى عمر بـن الخطاب لأن عمر بـن الخطاب كان الرجل الأول في عهد أبـي بكر، كان رأي الأمير في خلافـة عمر بـن الخطاب صريح جدًا فـي نهج البلاغـة: «حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ. ثم تمثل بقول الأعشى:

شَـتَّانَ مَـا يَوْمِـي عَلَـى كُورِهَـا
وَيَـوْمُ حَيَّـانَ أَخِـي جَابِـرِ فَيَـا عَجَبًـا!!

بَيْنَـا هُوَ يَسْـتَقِيلُها فِـي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَـا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَـدَّ مَا

تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا ! فَصَيَّرَهَا في حَوْزَةٍ خَشْنَاء، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ فِيهَا وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلّهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ! لكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ. إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجًا حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ»[١].

وبرغم هذه الصراعات السياسية التي حصلت إلا أن الأمير كان يعمل في مصلحة الأمة الإسلامية، فقد جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر، وظل ناصحًا للخليفة وللأمة.

كذلك في عهد عمر بن الخطاب لم يترك الأمير مصلحة الدولة الإسلامية التي أسسها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاجتهد بنصح الخليفة، وكان عمر بن الخطاب يعرف من هو الأمير حق المعرفة، كانت إذا نزلت به شدة ومحنة التجأ إلى الأمير!! إن عمر بن الخطاب نفسه يعترف بهذه الحقيقة فقد قال كثيرًا كما هو متواتر في كتب الحديث: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن»، وقال كثيرًا: «لو لا علي لهلك عمر»، وهذا مسند أحمد

(١) نهج البلاغة/ ١٠٧.

يحكـي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «علي أقضانـا»[1]، إن هذه الكلمة لـم يقلها عمـر بن الخطاب مـن واقع فراغ بـل قالها من خـلال البرهان التجريبـي العملـي، عشـرات القضايا يتعسـر على الكل حلهـا، الأمير يحلها بكل سـهولة!! إن كلمة الرسـول ﷺ في الأميـر أثبتت صحتها بالبرهـان التجريبـي أن أقضى أمتي علي، توجد بين يدي الآن عشـرات القضايا، وهذه القضايا ذكرت معظمها في كتابي الأمير وفي هذه القضايا تتجلى عبقرية الأمير! وسوف نذكر بعض القضايا في نهاية الحلقة.

طُعـن عمر بن الخطاب أثناء الصلاة، طعنه أبو لؤلؤة وهو غلام للمغيـرة بن شـعبة، مات الخليفـة مقتولاً بعد حكم دام أكثر من عشـر سنين توسعت في عهده الفتوحات الإسلامية، فتحت المدائن عاصمة الفرس، فتحت مصر،.. قبل أن يموت الخليفة عمر بن الخطاب هناك مهمـة عظيمـة جـدًا وهي تعييـن الخليفة، لم يـوصِ الخليفـة عمر بن الخطاب بالخلافة إلى أحد رغم ما أنجزه من عشر سنين في خلافته؟! حصر الخلافة في سـتة أشـخاص طلحة بن عبيد الله من بني تيم التي منهـا الخليفـة أبو بكـر، عثمان بـن عفان وهو مـن بني أميـة وبالتأكيد سـيجتهد معاوية أمير الشـام على مناصرته، وعلي بن أبي طالب وهو من بني هاشم وكان يعلم عمر بن الخطاب أنه الأحق بالخلافة! وسعد بن أبي وقاص والزبير وابن عوف!! لقد رمى الخليفة الكرة في ملعب هؤلاء السـتة وانتقل إلى الله!! نعم انتقل الخليفة إلى الله.. انتقل قبل قيـام الثورات والفتـن والحروب... بايع عبد الرحمـن بن عوف وهو

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥/ ١١٥.

رئيس لجنة التحكيم عثمان بن عفان ليكون خليفة للمسلمين...!

ختاماً نذكر هذه القضايا من كتابنا الأمير: «جاء في كتاب تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي هذه القصة: جلس رجلان يتغذيان، مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغذاء بين أيديهما مر بهم رجل، فسلم، فقالا: اجلس وتغذَّ، فجلس وأكل معهما، واستووا في أكلهم الأرغفة الثمانية. فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم، وقال: خذاها عوضًا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما، فتنازعا، فقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاثة، وقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليٍّ، فقصا عليه قصتهما، فقال لصاحب الثلاثة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض، وخبزه أكثر من خبزك، فارض بالثلاثة، فقال: والله لا رضيت عنه إلا بمر الحق، فقال علي: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد، وله سبعة دراهم! فقال الرجل: سبحان الله! قال: هو ذلك، قال: فعرفني الوجه في مر الحق حتى أقبله، فقال علي: أليس لثمانية الأرغفة أربعة وعشرين ثلثًا؟ أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل؟ فتحملون في أكلكم على السواء، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث، وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث، وله خمسة عشر ثلثًا أكل منها ثمانية، وبقى له سبعة أكلها صاحب الدراهم، وأكل لك واحدًا من تسعة، فلك واحد بواحدك، وله سبعة، فقال الرجل: رضيت الآن»[1].

(١) الأمير/ ٢٣٢.

جاء في كتابنا الأمير أيضًا نقلاً عن كتاب الشمس للبوني، هذه القصة: «روي عن الإمام علي سلام الله عليه، أنه سأله رجل من اليهود عن عدد بجميع الكسور من النصف إلى العشر من غير كسر، فقال له الإمام: إن أنا أخبرتك عن ذلك تسلم؟ قال: نعم! فقال له الإمام: اضرب أيام جمعتك (أسبوعك) في أيام شهرك، والحاصل في شهور سنتك يظهر لك الجواب عما سألت»[1]. حقًا إنها عبقرية يطأطئ الرأس لها خجلاً، لو طلب من عباقرة الرياضيات أن يستخرجوا القاسم المشترك الأصغر لهذه الأعداد سيحتاجون إلى تحليل الأعداد ومن التحليل يستخرجون القاسم المشترك الأصغر، سيحتاجون إلى سبع دقائق على الأقل، الأمير يحلها بشكل بسيط جدًا! وجاء فيه عن كتاب جواهر الفقه للقاضي عبد العزيز الطرابلسي: «أن رجلاً مقيدًا حلف أن لا يقوم من مكانه حتى يعرف وزن قيده، أمر عليه السلام بإحضار جفنة وشد القيد بخيط فرفعه حتى أخرجه من الماء، ثم دعا ببرادة الحديد فألقيت في الماء حتى عاد إلى حده الأول، ثم قال: زنوا هذا ففيه وزن القيد»[2]، وهنا أيضا تطبيق لقاعدة أرخميدس.

وجاء في كتب شتى هذه القصة أن رجلاً حضرته الوفاة فأوصى لأولاده الثلاثة بسبعة عشر بعيرًا، للأكبر نصفها، وللأوسط ثلثها، وللأصغر تسعها. ذهبوا إلى الأمير فوضع بعيرًا ليكون العدد ثمانية عشر بعيرًا، إذ إن العدد سبعة عشر، لا يقبل القسمة إلا على نفسه لأنه

---

(١) الأمير/ ٢٤٦.
(٢) الأمير/ ٢٤٣.

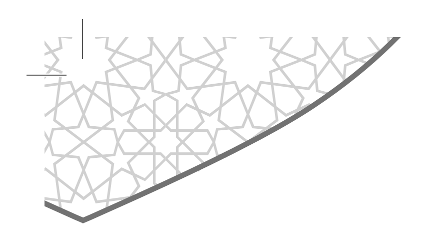
مـن الأعـداد الأولية، فلا يوجد لـه نصف ولا ثلث ولا تسـع، «أقصد لا يوجد عدد صحيح من الجمال يكون نصفًا للعدد سـبعة عشـر»[1]، أصبح العدد ثمانية عشـر، أعطى الأول نصفها تسـعة، والأوسط ثلثها ستة، والأصغر تسـعها اثنين، لقد أرجع البعير الذي حلّ لنا المشكلة! وهنا يتجلى لنا مفهوم المتسلسلات الحسابية والهندسية.

لقد ذهب الأمير إلى همدان في اليمن بعد أن أتت الوفود، ذهب قاضيًا هناك، يحدثنا ابن ماجه في سـننه: «عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ بَعَثَنِي رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبْعَثُنِي وَأَنَا شَابٌّ أَقْضِي بَيْنَهُمْ وَلاَ أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ؟ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَثَبِّتْ لِسَانَهُ». قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ بَعْدُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ!»[2].

---

(١) الأمير/ ٢٣٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٧/ ٩٧.



كلاب الحوأب

«ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب؟!».

الرسول ﷺ/ الكامل في التاريخ

مات عثمان بن عفان مقتولاً بتجمعات هائلة من مصر والعراق أمام أعين المهاجرين والأنصار، يوجد أسباب لمهاجمة الثوار لعثمان بن عفان، كان أهم هذه الأسباب تولية الخليفة لصغار السن غير القادرين على تحمل المسؤولية كالوليد بن عقبة عندما ولاه الكوفة، إضافة إلى معاملة الخليفة لبني أمية معاملة خاصة فقد أغدق عليهم الأموال وخراج الدول كما فعل مع مروان بن الحكم -لهذا كان مروان غاضبًا جدًا من قتلة عثمان بن عفان وقد قام بقتل طلحة بن عبيد الله في معركة الجمل، ولو ظفر بالزبير بن العوام أيضًا لقتله- وبطبيعة الحال الناس تكره التمييز الذي كسره الرسول ﷺ، لقد أعطى لنا

الرسول ﷺ المثال الأعظم في سواسية الناس كأسنان المشط لا فرق لأبيضهم على أسودهم ولا لغنيهم على فقيرهم، الناس سواسية لا يميز بينهم إلا التقوى.

بايع الناس الأمير بعد امتناع شديد منه، فهو أزهد الناس بهذه الخلافة، وعلينا أن نعترف جميعًا أن الأمير لم يرد من هذه الدنيا لا خلافتها ولا أموالها ويكفينا هنا أن ننقل هذا المقطع من نهج البلاغة الذي يصف فيه الأمير طريقة مبايعته، ولا شك ولا ريب أن الأمير يتكلم من منطق واقعي، والواقعية يجب علينا أن نتعامل معها باحترام ونحملها محمل الجد، قال الأمير: «فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ. فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ: كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[القصص:٨٣]، بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلكِنَّهُمْ حَلِيَتَ الدُّنْيَا في أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا! أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»[1].

طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام هما أول من بايعا الأمير

(١) نهج البلاغة/ ١٠٨.

وهما أول من نكثا بيعته، لقد وصف الأمير هذا الموقف بهذه الكلمات من نهج البلاغة: «فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلاَدِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا. اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ؛ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلاَ تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلاَ وَعَمِلاَ، وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ»[1].

لا عجب إذا كان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام يصدر منهما هذا الموقف لأنهما يطمعان بالخلافة وخاصة أنهما من ضمن الستة الذين اختارهم الخليفة عمر بن الخطاب، إضافة إلى أن معاوية نفسه كان يطمع بالخلافة وربما قد حانت الفرصة المناسبة في ذلك، ومعاوية آنذاك كان أميرًا على الشام، ولا ننسى بما في نفس معاوية تجاه الأمير لكونه سببًا مباشرًا في قتل عتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

كان معاوية ذكيًا جدًا فقد أرسل إلى عمّال الولايات وهم كما نعلم معظمهم أمويون أو على الأقل ممن يحبهم من الدرجة الأولى، ولم ينس معاوية طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وهما يقطنان في المدينة مع الأمير أن يضمهما إلى صفه.

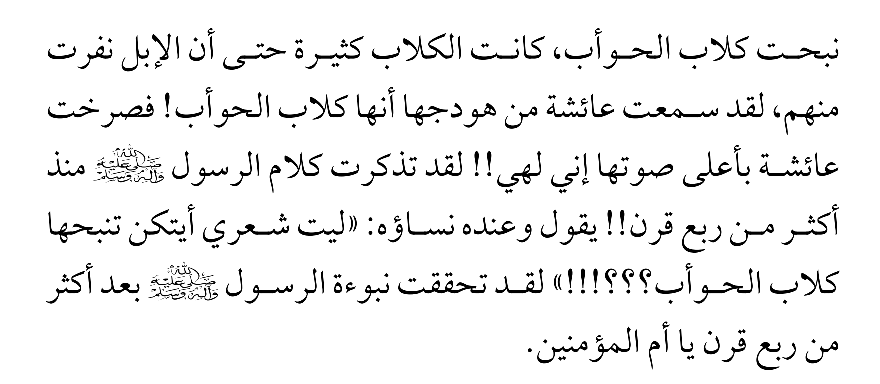
معاوية لم يبايع عليًا لأنه يريد قتلة عثمان بن عفان أولاً ثم يبايع، كيف يقتل الأمير هذا العدد الضخم الذي يربو حسب المصادر

(١) نهج البلاغة/ ٣٤٢.

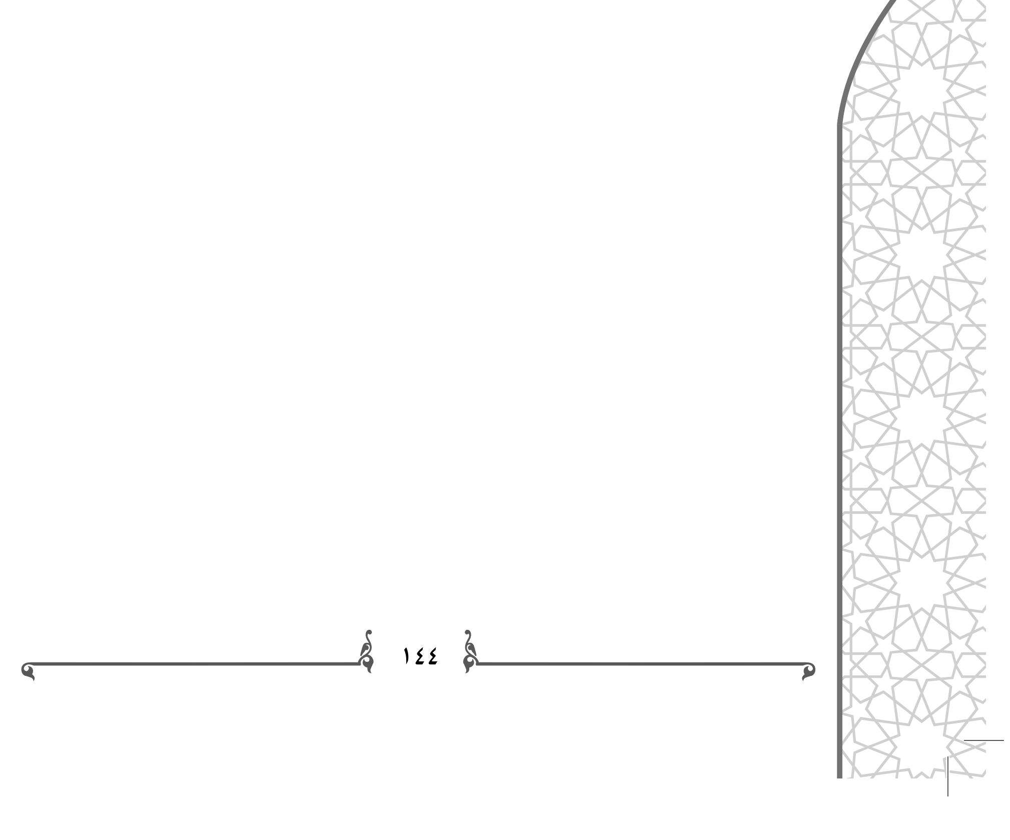
التاريخية على ستة آلاف؟! كان معاوية ذكيًا في طلبه، لكن الأمير قال له بايع ثم تقدم بطلبك فالعاصي لا ينظر في أمره! غضب معاوية كثيرًا وأصبح يطالب بدم عثمان بن عفان، كذلك طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام تركا المدينة لخيبة مطامعهما في الخلافة أولاً وفي ولاية البصرة والكوفة ثانيًا! ذهبا إلى عائشة بنت أبي بكر في مكة بحجة العمرة والأمير كان يعلم ما يخفيا في نفسيهما، ومن مكة خرج الجيش الذي يقوده طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة بنت أبي بكر يطالبون بدم عثمان بن عفان والكل يعلم أن الأمير ليس له علاقة بدم عثمان بن عفان، وإنها لمغالطة منطقية أن يتَّهم الأمير بدم عثمان بن عفان وهو الذي أرسل ولديه الحسن والحسين ليدافعا عنه! وكان عثمان بن عفان فترة حصاره يستعين بالأمير ولا يستعين بطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، بل كان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام من أشد المحرضين على مقتل عثمان بن عفان ويكفينا للاستشهاد مقولة الأمير لطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام في نهج البلاغة: «وَاللهِ مَا أَنْكَـرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَـفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَـرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ»[1].

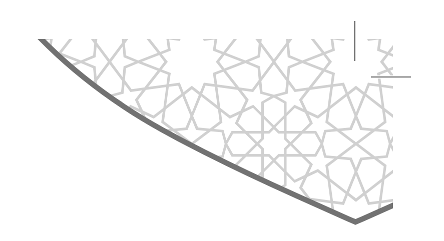
خرج الجيش الذي يقوده طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام من مكة وعائشة بنت أبي بكر في هودجها على الجمل! كان شعارهم المطالبة بدم عثمان بن عفان. توجه الجيش إلى البصرة وفي الطريق

(١) نهج البلاغة/ ٣٤٠.



نبحت كلاب الحوأب، كانت الكلاب كثيرة حتى أن الإبل نفرت منهم، لقد سمعت عائشة من هودجها أنها كلاب الحوأب! فصرخت عائشة بأعلى صوتها إني لهي!! لقد تذكرت كلام الرسول ﷺ منذ أكثر من ربع قرن!! يقول وعنده نساؤه: «ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب؟؟؟!!!» لقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ بعد أكثر من ربع قرن يا أم المؤمنين.





أتحبه يا زبير؟ إني والله لأحبه!!

«**إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم**».

الرسول ﷺ/ مروج الذهب

لقد بدأت الصورة تتضح لعائشة أنها هي المعنية بكلمات الرسول ﷺ! لقد قررت الرجوع! لكن قوة الحب التي تربط عائشة بعبد الله بن الزبير تغلبت على تلك الصورة التي تصورتها قبل أكثر من ربع قرن! بالطبع عائشة كانت تحب عبد الله بن الزبير وكانت تكنى به ويدعوها يا أمّاه! عائشة لم تنجب الأولاد وعبد الله بن الزبير هو ابن أختها أسماء، فلا عجب أن تحبه هذا الحب.

لقد شهد عبد الله بن الزبير أول شهادة زور في الإسلام مع خمسين رجلاً، كلهم قالوا أن هذه ليست كلاب الحوأب!

على الرغم من معرفة عائشة أنها كلاب الحوأب استمرت في

الذهاب للبصرة وهناك حدثت أحداث شغب مات فيها الكثير، سار الأمير للبصرة ليرجع المياه إلى مجاريها، في الحقيقة لم يكن الأمير يريد القتال، سار الأمير نحو معسكر الجمل وتقدم إليه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، لقد نصحهما وذكرهما بحديث الغدير! كان هناك حدث لا بد أن يقوله الأمير ويذكر به الزبير بن العوام فلربما ربع قرن من الزمن كفيل بأن يمحو هذه الذاكرة! لقد نشّط الأمير ذاكرة الزبير بن العوام بموقف قديم، هذا الموقف أنقله نصًا من كتاب الكامل في التاريخ:

«فقال علي للزبير: يا زبير ما أخرجك؟ قال: أنتَ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً!!!!!! ولا أولى به منا!!! فقال له علي: ألستُ له أهلاً بعد عثمان؟ قد كنّا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنُك ابنُ السوء ففرّق بيننا، وذكّره أشياء، وقال له: تذكرُ يومَ مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه فقلتَ له: لا يَدَع ابن أبي طالب زَهْوَه. فقال لك الرسول ﷺ: ليس بِمُـزْهٍ! لتقاتلنّه وأنت ظالمٌ له!»[1].

إن التخلي عن المعركة ليس بالأمر السهل يا زبير؟ لكنها نبوءة الرسول ﷺ تتحقق في هذا اليوم!! لقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ بعد أكثر من ربع قرن يا زبير؟!

هرب الزبير بن العوام من المعركة إلى عذاب الضمير! أما

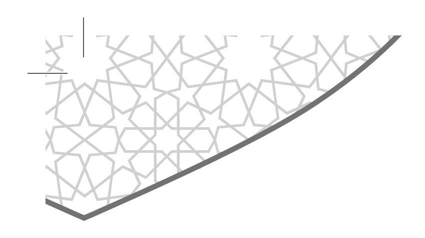
(١) الكامل في التاريخ ٣/ ١٢٨.

طلحة بن عبيد الله فقد قتله مروان بن الحكم انتقامًا لعثمان بن عفان، لقد رأى الأمير طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال هذه الكلمات من نهج البلاغة: «لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا! أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كَنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دونَهُ»[1].

أما مروان بن الحكم فقد وقع أسيرًا مع ابنه عبد الملك وتشفع له الحسن والحسين فأطلق سراحه هو وابنه، فقالا له: ألا يبايعك يا أمير المؤمنين، فقال الأمير: «أَفَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لاَ حَاجَةَ لِي في بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ. أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ!»[2].

هذه الكلمات ذات أهمية كبرى إذ فيها يتكلم الأمير عن أمور غيبية، حقًا كان الأمير يتكلم عن المغيبات كما كان يتكلم الرسول ﷺ! لقد صدقت نبوءة الأمير في مروان وابنه عبد الملك، في تلك الدماء التي سالت في عهدهما! عبد الله بن الزبير عفا عنه الأمير، وعائشة بنت أبي بكر أرجعها الأمير للبصرة بصحبة أخيها محمد بن أبي بكر مع نسوة من البصرة.

(١) نهج البلاغة/ ٥٠٨.
(٢) نهج البلاغة/ ٢٠٠.



الزبير بن العوام

«قاتل الزبير في النار».

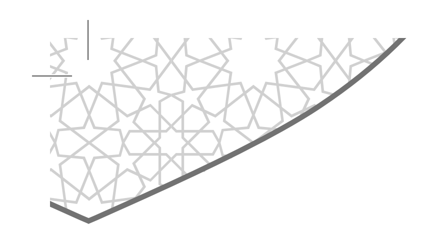
الرسول ﷺ/ تاريخ دمشق

توجد قاعدة سياسية في نظام الحكم وهي كيفية التصرف مع الأعداء: أن تشتريهم بالمال أو تقتلهم شرَّ قتلة!

وهنا يذكر ماكيافلي هذه القاعدة في كتابه الأمير ويقول فيه: «إنك إذا أردت أن تريح نفسك من رجل فاعمد إلى إحدى طريقتين. الأولى أن تملقه وتحسن إليه، والثانية أن تخمد أنفاسه وتنتهي من أمره. وفي طبيعة البشر عادة تساعد على تقرير تلك القاعدة، وهي أنهم يحاولون دائمًا أن ينتقموا من أعدائهم لما ينالهم من الأضرار التافهة؛ ولكنهم لا يقدرون على الانتقام لأنفسهم ممن ينالهم بأضرار كبيرة. فخير وسيلة لمن يريد إيصال الأذى الحقيقي بعدوه أن يصبَّ

عليـهِ مـن جامِ غيظهِ قـدرًا يعجزه عـن الانتقـام»[1]. كان الأميـر قادرًا على أن يحكم الشـعب بنظام الاسـتبداد ونظام الفساد؛ لكن الأمير لا يفعـل ذلك، وكيف يفعل والخلافة بأكملها لا تسـاوي نعله الذي كان يخصفه في ذي قار؟!! إن الناس كرهت الأمير لأنه كان يعمل بالحق! وهـو الـذي قال: ما ترك لـي الحق من صديق! علي مـع الحق والحق مـع علـي! هكذا قـال لنـا الرسـول ﷺ، إن موقف الأمير مـع أخيه عقيـل يكفي هنـا أنه لم يكن يميز أحـدًا في بيت مال المسـلمين حتى لو كان هذا أخاه عقيلاً! إنها روعة جمال العدل تتجسـد في الأمير فلو كان غيـره لأغدق على إخوته المال، والتاريخ مشـبع بهذه الأحداث، الحلوى وما أدراك ما الحلوى رشـوة يجلبهـا أحدهم للأمير! مواقف كثيرة جسّد فيها الأمير الحق، لأنه هو الحق! ربما يكون أفضل موقف شـدني في حياة الأمير تصرفه مع (عمرو بن جرموز) قاتل الزبير! لقد قرأنا في التاريخ أيها القرّاء كيف تصرف الأمويون ضد العلويين وضد من تسـبب في قلقلـة ملكهم كالمختـار الثقفي، وعبد الله بـن الزبير، ومصعـب بـن الزبيـر وغيرهـم، قتلوهم وفـوق ذلك أمـروا أن يطاف برؤوسـهم في البلاد، ليرهبوا بها جميع من تسـول له نفسـه أن يخرج على نظام الحكم! العباسـيون فعلوا ما فعلوا ببني أميّة؛ حتى الأموات لم يسـلموا منهم أخرجوهم من قبورهم!! وهكـذا دواليك فقد علمنا الملك أن الملك عقيم! لا شـك ولا ريب في أن الملك هو المسؤول عـن هذه الويلات والحروب التي حلت بالعالـم! فقد علمنا أن نقاتل إخوتنـا وآبائنـا وأمهاتنا وأئمتنـا... لا أدري كيف سـيبرر هؤلاء القتلة

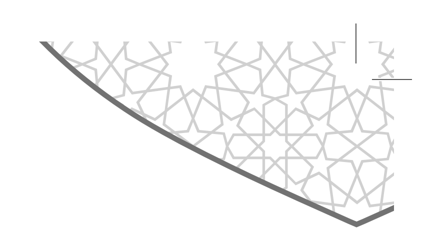
(١) الأمير/ ٦٣.



هذه الجرائم الفظيعة أمام الله في يوم القيامة؟!

هـذا الموقـف العظيم الـذي تتجلى فيـه عظمة الأميـر مع قاتل الزبيـر فـرّ الزبير من المعركة إلـى الندم وعذاب الضميـر بعد أن ذكرّه الأمير بقول الرسـول ﷺ، في الطريق وفي وادي السباع، نزل الزبير للصـلاة فقتلـه عمرو بـن جرموز غـدرًا، كان يعتقد عمـرو بن جرموز أن الأميـر سـيعطيه ولاية أو جائزة عظيمة لأنه قتـل عدوه، لو كان غير الأميـر لفعل ذلك، جاء بسـيف الزبيـر بعد انتصار الأميـر في الجمل، فقـال الأمير: سـيفٌ طالما جلا الكـربَ عن وجه رسـول الله ﷺ، لكنـه الحيْـنُ ومصارع السـوء، وقاتل ابـن صفية في النـار! هرب ابن جرموز وخرج على الأمير في النهروان وقتل فيها.

إن هـذا الموقف من أروع وأجمـل المواقف للأمير، بالفعل إن الأميـر لا يمتلك شـهوة حب الانتقـام، بالرغم مـن أن الزبير هو الذي بايعـه ونكث بيعته وسـار لمكة بنية العمرة وأعد معسـكر الجمل!! لو كان غيـر الأمير لصفق فرحًا وأعطـاه من المال أكثر مما يريد! لم ينس الأمير ما فعله الزبير من تضحيات، لم يكن الأمير حاقدًا، وأقولها بكل ثقـة لـو أن الأمير شُـفي من ضربته لعفـى عن ابن ملجم! إنها مدرسـة الرسول ﷺ التي عفت عن أبي سفيان! عفت عن وحشي الذي قتل عمه الحمزة! إنها المدرسة التي عفت عن هند بنت عتبة..!!



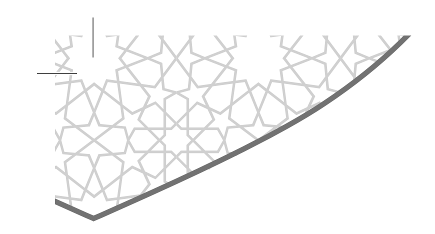
الفئة الباغية

«وَيْـحَ عَمَّـارٍ تَقْتُلُـهُ الْفِئَـةُ الْبَاغِيَـةُ، يَدْعُوهُـمْ اِلَـى الْجَنَّـةِ، وَيَدْعُونَـهُ اِلَـى النَّارِ؟؟؟؟!!!!!!!؟.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم/ صحيح البخاري

لا أريـد أن أترك انطباعًا سـيئًا للقرّاء لكنهـا الأحداث التاريخية يجـب أن نتناولهـا بواقعية والكثير بالطبع لا يحبذ هـذه الواقعية، لكنّ الواقعية يجب علينا أن نتعامل معها باحترام.

انتصر الأمير في معركة الجمل واتخذ من الكوفة عاصمة للدولة الإسـلامية بدلاً من المدينة المنورة لأن أكثر سكان المدينة من قريش وكانوا يكرهون الأمير كما تقدم ذلك، كان معاوية على علم بما حققه الأمير من انتصار على أهل الجمل، كما كان يعلم أن طلحة والزبير قد قتلا، وهذه الأحداث تعتبر مؤشـرًا جيدًا بالنسبة لمعاوية فمقتل طلحة



والزبير سهّل على معاوية الحصول على الخلافة!

الستة المرشحون للخلافة بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب مات أربعة منهم! ولم يتبق إلا اثنان وهما سعد بن أبي وقاص، وعلي بن أبي طالب، كان سعدًا مبتعدًا عن أمور الخلافة فلم يتبق أمام معاوية إلا علي! أرسل الأمير جرير بن عبد الله البجلي ليكون رسولاً له لمعاوية بن أبي سفيان، كتب له عدة كتب من ضمنها: «إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذلِكَ لِلَّهِ رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْبِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَاخَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى. وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلاَمُ»[1]. ذكرنا سابقًا أن عمرو بن العاص ترك القدس استجابةً لرغبة معاوية وذهب إلى الشام، حرك معاوية عواطف أهل الشام بتعليقه لقميص عثمان الملطخ بالدماء، لقد عاهد أهل الشام أن يأخذ بثأر عثمان بن عفان.

خرج الأمير من الكوفة وخرج معاوية من الشام طبقًا لنصيحة عمرو بن العاص، التقى الجيشان في شمال الشام بمنطقة الرقة. مات خلق كثير في معركة صفين وخاصة في ليلة الهرير التي سمع فيها

(١) نهج البلاغة/ ٥٤٥.

صوت للجنود كهرير الكلاب! اشتد البرد في تلك الليلة ويحكي لنا التاريخ أن الأمير قتل في ليلة الهرير أكثر من خمس مئة رجلٍ! استمر القتال للفجر! بعد ذلك اقترح عمرو بن العاص على معاوية رفع المصاحف!

لقد مات عمار مقتولاً في معركة صفين بيد أبي الغازية، لقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ بعد أكثر من خمسة وثلاثين سنة! دعونا نأخذ هذا المقطع ونرجع بالقرّاء إلى السنة الأولى للهجرة عندما كان الرسول ﷺ يبني المسجد النبوي، كان المهاجرون والأنصار يحملون طوبة وعمار يحمل طوبتين!! سأفتح الآن كتاب صحيح البخاري وننقل منه هذه القصة: «...ثُمَّ أنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أتَى ذِكْرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ: (وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إلَى النَّارِ)»[1]. لم يغب عن ذهن المهاجرين والأنصار هذه المقولة التي قالها الرسول ﷺ في عمار، ومن جهة أخرى كان معاوية يبرهن بالبرهان اللا منطقي فيقول: أنحن قتلناه؟ إنّما قتله مَنْ جاء به!! ولا أدري كيف أوّل وشرح معاوية هذا الحديث بهذه الطريقة؟! ولا شك أن هذا التأويل غير صحيح، ومعاوية يعلم ذلك إلا أنه يريد أن يدفع الحقيقة عن نفسه بهذا التأويل!

تحققت نبوءة الرسول ﷺ في عام ٣٧هـ، وختامًا لهذا الموضوع نذكر قصة الحجاج مع أبي الغازية قاتل عمار، كما يذكرها كتاب الكامل

(١) صحيح البخاري ١/ ٩٧.

في التاريخ: «ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له: أنتَ قتلتَ ابن سمية -يعني عمارًا-؟ قال: نعم. فقال من سَرّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية، ثم سأله أبو الغازية حاجته فلم يُجبه إليها. فقال: نوطئ لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم أني عظيم الباع يوم القيامة! فقال الحجاج: أجلْ والله مَنْ كان ضِرْسُهُ مثل أُحُد، وفخذه مثل جبل ورقان، ومجلسه مثل المدينة والرَّبَذَة! إنه لعظيم الباع يوم القيامة. والله لو أنّ عمارًا قَتَله أهلُ الأرضِ كلهم لدخلوا كلهم النار!!»[1]، إن هذا الشرح الذي قاله الحجاج أعجبني كثيرًا، لقد استفاد من حديث الرسول ﷺ ووضعه في مكانه المناسب، نعم..!! لو أن عمارًا قتله أهل الأرض كلهم لدخلوا كلهم النار!! هناك تساؤل أسأله نفسي دائمًا، كيف يتحمل الإنسان وهو بكتلته الصغيرة نار جهنم؟! ربما أكون قد حصلت على جواب عن هذا السؤال وأنا أقرأ هذه القصة، فقد تتبعت كتب الحديث فوجدت أن ضرس الكافر في نار جهنم مثل جبل أحد! سأنقل للفائدة بعض هذه الأحاديث التي نستفيد منها مجملاً أن الذي يتعذب في النار لن تكون بنيته الجسمية كما كانت في الدنيا، يجب أن يكون هناك تناسب طردي بين حجم العذاب وكتلة الجسم!

جاء في سنن الترمذي هذا الحديث: «ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ ثَلاَثٍ مِثْلُ الرَّبَذَةِ»[2]. وجاء في مسند أحمد بن حنبل: «قَالَ يَعْظُمُ اَهْلُ النَّارِ فِي

---

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٨.
(٢) سنن الترمذي ٢/ ١٠٦.

النَّارِ حَتَّى اِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ اُذُنِ اَحَدِهِمْ اِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ وَاِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَاِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ اُحُدٍ»[1].

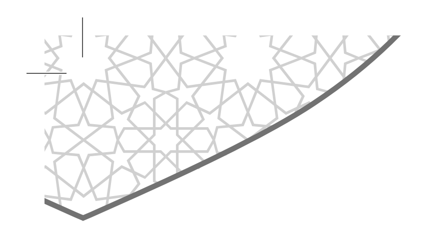
هناك عشرات الأحاديث بين يدي الآن تتكلم حول هذا الموضوع، وفي الحقيقة علي أن أعترف أنه ليس عندي الخبرة الكافية في علم الحديث وأنا هنا أتكلم عن نفسي فقط ولا أدّعي فيها خبرة متميزة، فأنا أستفيد مجملاً من هذه الأحاديث التي أمامي أن كتل وأحجام الأجسام في يوم القيامة ستختلف عن كتل وأحجام الأجسام في هذه الدنيا، وربما تختلف أيضًا الكتلة والحجم في نار جهنم بحسب العذاب الذي يتعذب به كل شخص، فبعضهم ربما يتعذب في نار تفوق هذه النجوم التي نراها الآن بعشرات وربما مئات وربما ألاف وملايين المرات!!

هناك بحوث كثيرة حول موضوع عذاب أهل النار تدرس عذاب الجسد والروح، وقد توحي لنا بعض هذه الأحاديث بتأملات كثيرة، وقد يكون العقل البشري رغم تأملاته هو أبعد من ذلك الواقع، ربما يكون الواقع هو أعظم من هذه التأملات والتخيلات، إنها النار.. أيها القرّاء، إذا كانت الشمس وهي أقرب النجوم إلينا لو اقتربت قليلاً لاحترقت الأرض، وما هذه الشمس إلا شرارة في نار جهنم.

نسأل الله أيها القرّاء بحق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته أن لا يعذبنا في هذه النار، إنه سميع مجيب.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٦.



عبد الرحمن بن ملجم!

«أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال لعلي: (أشقى الناس رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه -يعني قرنه- حتى تبتل منه هذه من الدم -يعني لحيته-».

تاريخ الخلفاء/ جلال الدين السيوطي

ليست هذه نهاية القصة مازال هناك الكثير من الأحداث، اتفق ثلاثة من الخوارج على قتال أئمة الضلال كما هو في نظرهم (معاوية بن أبي سفيان، عمرو بن العاص، علي بن أبي طالب)، تعاهدوا على هذه الجريمة عند الكعبة، اتفقوا على تنفيذها في شهر رمضان في نفس اللحظة! يُقتل الثلاثة، عمرو بن العاص يُقتل في مصر، ومعاوية

يُقتل في الشام، وعلي يقتل في الكوفة!! جريمة خطيرة جدًا!

بعـد هذه المعاهدة الفاسـدة تفرق الثلاثـة، كلٌّ واحد ذهب إلى صاحبه، ذهب عبد الرحمن بن ملجم إلى علي في الكوفة، ذهب عمرو بـن بكير التميمي إلى عمرو بن العـاص في مصر، ذهب البرك بن عبد الله التميمي إلى معاوية في الشـام، انتظروا تسعة أشهر في تلك البلاد ينتظرون اللحظة التي اتفقوا عليها في رمضان لينفذوا جريمتهم!

أثنـاء إقامـة عبـد الرحمن بن ملجم فـي الكوفة تعلـق قلبه بفتاة جميلـة جـدًا قُتل أبوهـا وأخوها فـي النهـروان، تقـدم لخطبتها فكان مهرها ثلاثـة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل علي! نفذ الثلاثة جريمتهم إلا أن تنفيـذ الجريمـة لـم ينجح فيه إلا عبد الرحمـن بن ملجم فقط!! أما معاويـة فضرب على إليته وتعالج بعد ذلك، وعمرو بن العاص لم يخرج للصلاة في ذلك اليوم تذكر كتب التاريخ أنه كان مريضًا فأخرج للصلاة من ينوب عنه؟؟!! فقتل خارجة بدلاً منه!

إن الأمير لم ينم في تلك الليلة يقول المسعودي في مروجه: «إن عليًا لم ينم تلك الليلة، وإنه لم يزل يمشـي بين الباب والحجرة، وهو يقـول: والله ما كذبت ولا كذبـت، وإنها الليلة التـي وعدت فيها»[1]. نفـذ عبد الرحمن بن ملجم الجريمة، وضرب الأمير أثناء الصلاة على قرنه، وسال الدم على لحيته كما أخبره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك!

قبل ثمان وثلاثين سـنة يا أبا تراب كنت مع حبيبك عمار بن ياسر

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٤١٣.

في غزوة ذات العشيرة، سنعود بذكرياتنا إلى تلك اللحظة، أمامي الآن مسند أحمد بن حنبل يقول فيه: «عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ، رَفِيقَيْنِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعُشَيْرَةِ فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقَامَ بِهَا رَأَيْنَا أُنَاسًا مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ يَعْمَلُونَ فِي عَيْنٍ لَهُمْ فِي نَخْلٍ فَقَالَ لِي عَلِيٌّ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ؟ فَجِئْنَاهُمْ فَنَظَرْنَا إِلَى عَمَلِهِمْ سَاعَةً، ثُمَّ غَشِيَنَا النَّوْمُ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ فَاضْطَجَعْنَا فِي صَوْرٍ مِنْ النَّخْلِ فِي دَقْعَاءَ مِنْ التُّرَابِ، فَنِمْنَا فَوَاللَّهِ مَا أَهَبَّنَا إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُنَا بِرِجْلِهِ وَقَدْ تَتَرَّبْنَا مِنْ تِلْكَ الدَّقْعَاءِ، فَيَوْمَئِذٍ قَالَ ﷺ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: يَا أَبَا تُرَابٍ لِمَا يُرَى عَلَيْهِ مِنْ التُّرَابِ قَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ -يَعْنِي قَرْنَهُ- حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ -يَعْنِي لِحْيَتَهُ-»[1]. هكذا مات الأمير نتيجة هذه المؤامرة الفاسدة، لا لجرم إلا لأنه نفذ رغباتهم فقبل بمبدأ التحكيم الذي كان يرفضه، وقبل أيضًا برغبتهم في تحكيم أبي موسى الأشعري وهو يريد عبد الله بن عباس... وبعد ذلك.. قتلوه.. لعنة الله عليكم أيها الخوارج..!!

الأمير على فراش الموت وأمامه ابن ملجم كما يقول الكامل في التاريخ: «أي عدو الله ألم أُحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا وسألتُ الله أن يقتل به شرَّ خلقه!!»[2]، الأمير في هذه اللحظات العصيبة جدًا، يريد أن

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٦٣.
(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٢٥٧.

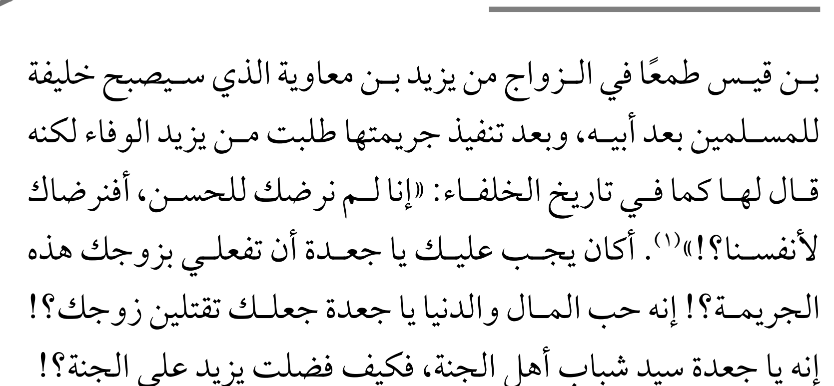
يعطي درسًا للأجيال القادمة، الآن نفتح نهج البلاغة ونرى ماذا يقول الأمير لبني عبد المطلب؟! «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي. انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلاَ يُمَثَّل بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بَالْكَلْبِ الْعَقُورِ)»[1].

إن أول شخص بايع الحسن بعد موت الأمير هو قيس بن سعد الأنصاري وقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين. فقال الحسن: على كتاب الله، وسنة رسوله فإنهما يأتيان على كل شرط.

زحف معاوية من الشام إلى الكوفة، أما الحسن فقد خرج من الكوفة للقاء جيش معاوية، ولما نزل الحسن المدائن عاصمة الفرس، بدأت الخيانة تظهر في جيش الحسن، صالح الحسن معاوية على شروط اشترطها. أهل الكوفة طعنوا الحسن بالخنجر وسرقوا متاعه، وقد فعلوا بأبيه أعظم من ذلك، وغدًا سيفعلون بمسلم بن عقيل وبالحسين وبزيد بن علي بن الحسين، هؤلاء هم أهل الكوفة. رجع الحسن للمدينة وهو يسمع الكلمات القاسية جدًا بعد هذا الصلح، ما أحلمك أيها الحسن!

مات الحسن مسمومًا بسم قدمته له زوجه جعدة بنت الأشعث

(١) نهج البلاغة/ ٦١٥.



بـن قيـس طمعًا في الـزواج من يزيد بـن معاوية الذي سـيصبح خليفة للمسـلمين بعد أبيـه، وبعد تنفيذ جريمتها طلبت مـن يزيد الوفاء لكنه قـال لهـا كما فـي تاريخ الخلفـاء: «إنا لـم نرضك للحسـن، أفنرضاك لأنفسـنا؟!»[١]. أكان يجـب عليـك يا جعـدة أن تفعلـي بزوجك هذه الجريمـة؟! إنه حب المـال والدنيا يا جعدة جعلـك تقتلين زوجك؟! إنه يا جعدة سيد شباب أهل الجنة، فكيف فضلت يزيد على الجنة؟!

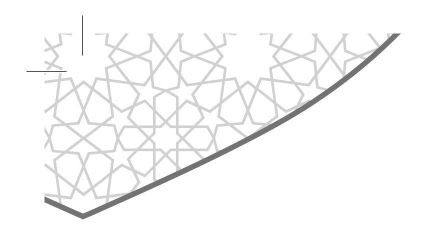
وهـذه الشـهادة التي أذكرها هنا هـي كافية لمن يريـد أن يعرف حلم الحسن، نعم إنه الحليم والكريم، ينقل تاريخ الخلفاء هذه القصة الجميلة: «لما مات الحسـن بكى مروان في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيـه وقد كنـت تجرعه ما تجرعـه؟ فقال: إني كنـت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا! وأشـار بيده إلى الجبل!!»[٢]، وتالله إن شـهادة الأعداء تكفـي لهذا الحلم، يحكي تاريخ الخلفاء أن أصحابه كانوا يقولون له: يـا عار المؤمنين!! فيقول: العار خير من النار! وقال له رجل: السـلام عليـك يا مُذلَّ المؤمنين! فقال: لسـت بمذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكـم على الملك! أما كرم الحسـن فلا يفوقه كرم، وشـهرة كرم الحسـن قـد انتشـرت في كتـب السـير والتاريـخ فأصبحت مشـهورة ومتواترة.

نختـم هذا الموضوع بهذين الحديثين من كتاب تاريخ دمشـق: «دخل رجل على الحسن المدينة وفي يده صحيفة فقال: ما هذه؟ قال:

(١) تاريخ الخلفاء / ١٤٧.
(٢) تاريخ الخلفاء/ ١٤٦.

مـن معاويـة يعد فيهـا ويتوعّد. قال: قـد كنت على النَّصَـف منه. قال: أجل ولكني خشـيت أن يأتي يوم القيامة سـبعون ألفًا أو ثمانون ألفًا أو أكثر أو أقل كلهم تنضح أوداجهم دمًا، كلهم يستعدي الله فيمن أهريق دمه»[1]. الحسـن كان يخاف على دماء المسـلمين وأجمل ما قرأته في هذا الموضوع هذا الحديث الثاني: «لما حُضِرَ الحسـن قال للحسين: ادفنونـي عند أبي يعنـي النبي، إلا أن تخافوا الدمـاء، فإن خفتم الدماء فـلا تهريقوا فيّ دمًا، ادفنوني عند مقابر المسـلمين»[2]. مات الحسـن وظل معاوية متربعًا على عرش الحكم لمدة عشـرين سنة إلى أن مات في عام ستين من الهجرة.. وخلف من بعده ابنه يزيد..!!

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨١.
(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٨.



مقتل الحسين

«يـا أم سَـلَمة إذا تحولت هـذه التربة دمًا فأعلمي أنّ ابني قد قتل».

الرسول ﷺ/ تاريخ دمشق

مات معاوية بن أبي سفيان بعد أن أخذ البيعة لابنه الوحيد يزيد، وبذلـك يكـون معاوية أول خليفـة بايع لابنه يزيـد وأصبحت الخلافة نظامًا ملكيًا يتوارثه الأبناء عن الآباء! هناك ثلاثة أشخاص كان معاوية يتخـوف منهم، الحسـين بن علي، عبد الله بـن عمر بن الخطاب، عبد اللـه بن الزبيـر. كتب يزيد إلى عامـل أبيه على المدينـة الوليد بن عتبة بـن أبي سـفيان أن يأخـذ البيعة من هـؤلاء الثلاثة، لقد قـال: كما جاء في الكامل في التاريخ: «أما بعد فخذ حسـينًا وعبد الله بن عمر، وابن الزبير بالبيعة أخذًا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام»[1].

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٧٧.

عبـد اللـه بن عمر لـم يكن يهدد النظـام الأموي وقـال لهم: إذا بايـع الناس بايعت، فتركوه وكانـوا لا يتخوفونه، أما عبد الله بن الزبير فقـد خـرج من المدينة إلـى مكة مع أخيه جعفر، كذلك فعل الحسـين فـي الليلة الثانية خرج إلى مكة، اصطحب معه إخوته وبني أخيه وجلّ أهـل بيته. لقيه رجـل وقال له: جعلت فداءك أيـن تريد؟ قال: أما الآن فمكة، وأما بعد فإني أسـتخير الله. قال: خـارَ اللهُ لك، وجعلنا فداءك فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدةٌ مشؤومة، بها قُتل أبوك وخُذل أخوك، وأعتل بطعنةٍ كادت تأتي على نفسه!! نزل الحسين مكة فصارت الناس تأتي إليه، أما ابن الزبير فقد لزم الكعبة.

لم يكن ابن الزبير مرتاحًا من وجود الحسين في مكة لأن الناس لن تبايعه في وجود الحسـين. أهل الكوفة وصلهم الخبر فأرسلوا للحسين هذا الكتاب كما جاء في الكامل في التاريخ: «بسم الله الرحمن الرحيم. سـلامٌ عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الـذي قَصَمَ عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرهـا، وغصبهـا فيئها، وتأمَّـر عليها بغير رضًـا منها، ثم قَتـلَ خيارَهَا، واسـتبقى شـرارها، وإنـه ليـس علينا إمـام فأقبـل، لعل اللـه أن يجمعنا بـك على الحـق»[1]. كتبوا إليه الكتاب تلو الكتـاب، كتب إليه جمع من وجهاء الكوفة، شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث... بعد اجتماع الكتب عند الحسـين كتـب إليهم: «أما بعد: فقد فهمتُ كلّ الـذي اقتصصتم، وقد بعثـتُ إليكم بأخي، وابن عمـي، وثقتي من أهل

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٨٥.

بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم، وأمركم، ورأيكم فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأيُ ملئكم وذوي الحجى منكم على مِثل ما قدمتْ به رسلكم أقدم إليكم وشيكًا إن شاء الله. فلعمري ما الإمامُ إلا العامل بالكتاب، والقائم بالقسط، والدائن بدين الحق والسلام»[1].

ذهب مسلم ورأى إقبال ثمانية عشر ألفًا عليه فكتب للحسين يستعجله بالقدوم، إلا أن مسلم لم يكن يعلم ما يخبئه له القدر، ولو انتظر قليلاً ما بعث للحسين بالكتاب، نتيجة استبداد النظام الأموي، وعدم الإصرار على الاستمرار مع الحق، وعدم العزم على الإطاحة بالظلم تفرق الكل عن مسلم، ولجأ إلى بيت امرأة عجوز فأخذوه وقتلوه، وقبل أن يقتل قال لمحمد بن الأشعث: إني أراك ستعجزُ عن أماني، فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالي ويقول له عني: ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؟ فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلنّ! وقد فعلها! ومن ثم قُتل مسلم. لقد سار الحسين إلى الكوفة بكتب أهل العراق، أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكة فقال له: قد بلغني أنّك تريدُ العراق، وإني مشفقٌ عليك. إنّك تأتي بلدًا فيه عماله، وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال. وإنما الناس عبيدُ الدينار والدرهم فلا آمنُ عليك أن يقاتِلك من وعدك نصره ومن أنت أحبّ إليه ممن يقاتلك معه. أما عبد الله بن عباس فقد قال له: فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أنْ يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك.

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٨٦.

بالطبع سينصحه عبد الله بن الزبير بالخروج إلى الكوفة حتى يصفو له الجو في مكة، لقد قال له: لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلتُ عنها!

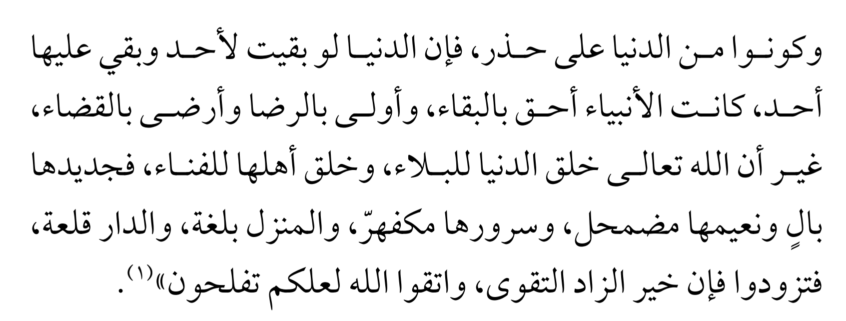
قاتل الحسين في معركة غير متكافئة الأطراف العشرات مقابل الألوف!! أُحتز رأس الحسين ورؤوس أهل بيته وذهبوا بهم إلى الخليفة يزيد في الشام.

يا أم سلمة، قُتل الحسين في كربلاء.. اذهبي إلى القارورة فقد تحولت.... دمًا عبيطًا!! يا أم سلمة، أنت آخر من فارق الحياة من زوجات الرسول ﷺ..لماذا؟ كي تشاهدي القارورة!! لم يتوقف يزيد عند مقتل الحسين وحسب، بل أباح المدينة، ومن ثمّ حاصر جيشه مكة ورماها بالمنجنيق!! فأخذت الحجارة تضرب الكعبة حتى احترقت ستارتها!! كوارث وانحرافات فظيعة جدًا حصلت خلال حكم يزيد الذي لم يدم طويلاً ثلاث سنوات وفعل فيها ما فعل!!

كتاب تاريخ دمشق يذكر لنا قصة جميلة: «أن رجلاً سأل ابن عمر عن دم البعوض؟ فقال: ممن أنت؟ قال: من العراق!! قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله!! وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هما ريحانتاي من الدنيا)»[1].

هذه الكلمات التي خرجت من فم ابن رسول الله ﷺ، وهي من كتاب تاريخ دمشق: «قال الحسين بن علي: عباد الله، اتقوا الله

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ١٢٩.



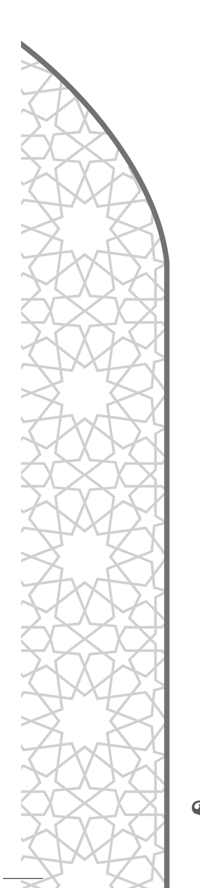
وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت لأحد وبقي عليها أحد، كانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجديدها بالٍ ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهرّ، والمنزل بلغة، والدار قلعة، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون»[١].

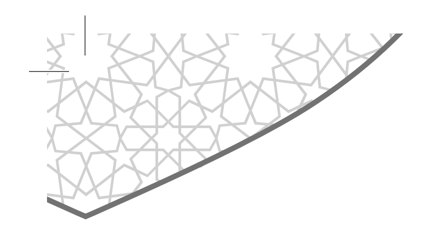
يا أم سلمة قتل الحسين لأن الناس عبيد الدنيا.. والدين لعق على ألسنتهم.. يحوطونه ما درّت معائشهم.. فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون! الحسين بن علي يدعو بهذا الدعاء في أيام المحنة: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، فكم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزلته بك، وشكوته إليك رغبة فيك إليك عمن سواك!! ففرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل غاية»[٢].

إن هذه الكلمات حقًا تذكرني بتلك الكلمات التي نطق بها الرسول ﷺ في الطائف، يوم الطائف ويوم كربلاء!! هذان اليومان من أسوء الأيام التي مرت على الدنيا.. إنني في غاية من العجب كيف لمثل هذه الدنيا لا تزول في يوم الطائف أو يوم كربلاء؟! يمكن للمرء أن يتساءل هذا السؤال؟! إذا كان الله عذّب أقوامًا في الأمم السابقة كقوم عاد وثمود ولوط وغيرهم بجرائم لم ترقَ لهذا المستوى، لماذا

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٨.
(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٧.

ثم لماذا استمرت الدنيا بعد يوم الطائف وبعد يوم كربلاء؟؟ قد نعثر عن جوابٍ لهذا السؤال، إلا أن هذا الجواب ستنبثق منه عدة أسئلة... إلا أنني أقول كما قال الأمير في قضية فدك: ونعم الحكم الله! يوم القيامة سوف نرى الدنيا كأنها ساعة أو أقل من ساعة.. وكل آت فهو قريب..!





مقتل زيد بن علي بن الحسين

«يقتـل رجل من أهل بيتي فيصلب لا ترى الجنة عين رأت عورته».

الرسول ﷺ/ مقاتل الطالبيين

مـات يزيد وجاء ابنه معاوية بن يزيد فـي فترة ثورات حادة جدًا حصلت بعد مقتل الحسـين، لقد زهد في الخلافة وبقي مريضًا إلى أن مات، وجاء من بعده مروان بن الحكم ومن بعده عبد الملك بن مروان، تميز عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بالقضاء على جميع الثورات، قتـل مصعـب بن الزبير، قتل عبـد الله بن الزبير، قتـل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث...ثورات كثيرة حصلت وكان الحجاج له النصيب الأكبر في القضاء على هذه الثورات التي تهدد نظام الحكم الأموي.

مـات عبـد الملـك وجاء مـن بعـده الأبنـاء الأربعـة! الوليد ثم سـليمان ثم استلم الخلافة لمدة سـنتين عمر بن عبد العزيز، بعد عمر

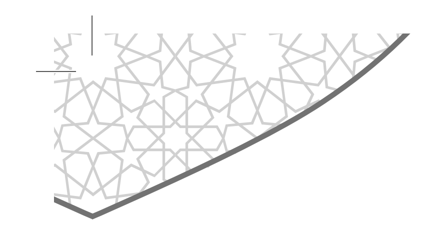
أتى الابن الثالث يزيد ثم هشام بن عبد الملك، وخلال فترة حكم هشام بن عبد الملك ظهر حفيد الحسين ليجدد ثورة الحسين، إنه زيد بن علي بن الحسين.

نعم أهل الكوفة لم يكفهم ما فعلوه بالأمير والحسن والحسين! والآن مع زيد بن علي بن الحسين! يحكي كتاب مروج الذهب أن زيد شاور أخاه محمد بن علي فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة، إذ كانوا أهل غدر ومكر، وقال له: بها قتل جدك علي، وبها طعن عمك الحسن، وبها قتل أبوك الحسين!! وفيها وفي أعمالها شتمنا أهل البيت، وأخبره بما كان عنده من العلم في مدة ملك ابن مروان، وما يتعقبهم من الدولة العباسية، فأبى إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق، فقال له: إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غدًا المصلوب بكناسة الكوفة، وودعه أبو جعفر، وأعلمه أنهما لا يلتقيان.

خدعه أهل الكوفة ونكثوا تلك البيعة، فحاربه يوسف بن عمر الثقفي! قتل زيد ودفن في ساقية ماء، كي لا يُعرف قبره، وضعت جائزة قيمة لمن يشير إلى قبر زيد، ضعاف النفوس ومحبي الدنيا فعلوا ذلك... قطع رأس زيد وبعث به إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وقد صلب عريانًا في الكوفة، وبعد ذلك أحرقوه وذروه في الهواء!!

إنه يوسف بن عمر الثقفي قال كلمته المشهورة: «والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم»[1]. أكان

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩١.



يتحتم عليك أن تفعل هذا يا يوسف؟!

عشر سنوات فقط فصلت عن استشهاد زيد وسقوط النظام الأموي، نعم إن ثورة زيد كانت بمثابة الشرارة لإسقاط النظام الأموي.

يقول الرسول ﷺ كما في كتاب تاريخ دمشق: «المظلوم من أهل بيتي سَمِيّ هذا، والمقتول في الله والمصلوب من أمتي سَمِيّ هذا وأشار إلى زيد بن حارثة، ثم قال: ادن مني يا زيد، زادك الله حبًا عندي فإنك سمي الحبيب من ولدي زيد»[١]. نعم هذا هو زيد الذي يقول فيه جعفر بن محمد في الكتاب نفسه: «كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله»[٢].

نختم هذه الحلقة بدعاء لزيد بن علي بن الحسين، كيف لا يخرج من زيد مثل هذه الأدعية وهو الذي تربى في مدرسة زين العابدين صاحب الصحيفة السجادية: «اللهم إني أسألك سلوًّا عن الدنيا وبغضًا لها ولأهلها، فإن خيرها زهيد، وشرها عتيد، وجمعها ينفذ وصفوها يرنق، وجديدها يخلق وخيرها ينكد، وما فات منها حسرة، وما أصيب منها فتنة، إلا من نالته منك عصمة، أسئلك اللهم العصمة منها ولا تجعلنا كمن رضي بها، واطمأن إليها فإن من أمنها قد خانته، ومن اطمأن إليها قد فجعته، فلم يقم في الذي كان فيه منها،

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ٤٥٨.
(٢) تاريخ دمشق ١٩/ ٤٥٨.

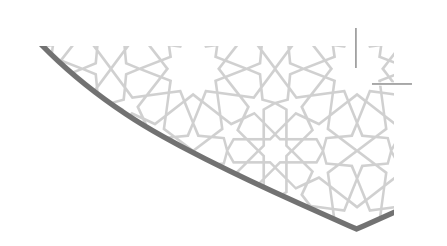
ولم يظعن به عنها، أحصى للعذاب ومنزلته، وموت بالعذاب وشدته، فلا الرضا له بقي، ولا السخط منه نسي، انقطعت لذة الإسخاط عنه، وبقيت شقوة الانتقام منه، فلا خلد في لذة، ولا سعد في حياة، ولا نعشة بموت، ولا نفسه أحببت بشره، أعوذ بك اللهم من مثل عمله ومثل مصيره. كم لي من ذنب وسرف بعد سرف قد ستره ربي، وما كشف، أجل أجل ستر ربي فيه العورة، وأقال فيه العثرة حتى أكثرت فيه من الإساءة، وأكثر ربي فيها من المعافاة وحتى أني لأخاف أن أكون مستدرجًا!! إني لأستحيي من عظمته أن أُفضي إليه بما أستخفي به من عبد له، وبما أنه لينفضح من هو خير مني فيما هو أدنى منه، ثم ما كشف ربي لي فيه سترًا، ولا سلّط علي فيه عدوًا، فكم له في ذلك من يد ويد ما أنا إنْ نسيتها بذكور، وما أنا إنْ كفرتها بشكور، وما ندمت عليها إذ لم أعتبك منها. ربّ لك العتبى بما تحب وترضى، فهذه يدي وناصيتي، مقرّ بذنبي، معترف بخطيئتي إن أنكرها أكذب! وإن أعترف بها أعذب!»[1].

إنها السياسة الأموية المستبدة الظالمة التي قتلت الحسين وقتلت زيد بن علي بن الحسين، إنها الضرائب التي فرضها النظام الأموي وأنهكت الناس، إنه الظلم والجور، إنه عدم المساواة بين الناس، كل هذا وأكثر جعل زيد يدفع دمه ليقول للنظام الأموي: لا يزال هناك أبناء من الحسين لهم القدرة على الوقوف أمام هذا الاستبداد، ستنال يا زيد على كل قطرة دم ما لا يحصى من الثواب في يوم القيامة، لقد

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ٤٥٨.

بشـرك رسـول الله ﷺ بهذا الثواب، يقول الرسول ﷺ للحسين كما روى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: «يخرج رجل من صلبـك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرًا محجلين، يدخلون الجنة بغير حساب»[1].

(١) مقاتل الطالبيين/ ٦٦.



يا جابر...؟!؟

«يا جابر يوشـك أن تلتحـق بولد لي من ولد الحسـين اسمه كاسـمي يبقر العلم بقـرًا -أي يفجره تفجيرًا- فـإذا رأيته فاقرأه عني السلام».

الرسول ﷺ/ الفصول المهمة

إذا كان هناك شخص ينتظره جابر بن عبد الله الأنصاري سيكون محمد بن علي بن الحسين، هناك رسالة وسلام يجب أن يوصلها إليه من الرسـول ﷺ، يقول صاحب كتاب تاريخ دمشـق عن محمد بن علـي: «أتاني جابر بـن عبد الله وأنا في الكتّاب، فقال لي: اكشـف لي عن بطنك، فكشـفت له عن بطني، فألصق بطنه ببطني، ثم قال: أمرني رسـول الله ﷺ أن أقرئك منه السلام»[1]. إنه باقر العلم الذي أسس

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٧٥.

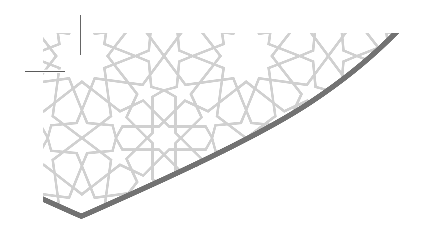
مدرسة الرسول ﷺ وورثها منه ابنه جعفر فوسعها في المدينة أثناء الصراع السياسي بين النظام الأموي والنظام العباسي، خرجت الآلاف كلهم يقول حدثني جعفر بن محمد، إنه محمد بن علي الباقر الذي يقول كما في كتاب الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: «إن الماء الذي يطفئ النار يستطيع أن يوقدها بفضل العلم!» نعم بفضل العلم وليس بالسحر! نعم إنهما الهيدروجين والأوكسجين اللذين يعتبران عنصرين أساسين في تكوين الماء لهم القدرة على إشعال النار! حقيقة علمية واضحة جدًا تطرقنا لها في كتابنا الذرة[1]. يقول صاحب كتاب تاريخ دمشق: «دخل هشام بن عبد الملك بن مروان المسجد الحرام متوكئًا على مولاه سالم، فنظر إلى محمد بن علي بن الحسين، وقد أحدق الناس به حتى خلا الطواف، فقال: من هذا؟ فقيل له: محمد بن علي بن الحسين، فأرسل إليه، فقال: أخبرني عن يوم القيامة ما يأكل الناس فيه وما يشربون؟ فقال محمد بن علي للرسول: قُل له يُحشرون على مثل قرصة النقيّ فيها أنهار تفجَّر؛ فأبلغ ذلك هشامًا، فرأى هشام أن قد ظفر به، فقال للرسول: ارجع إليه فقلْ له: ما أشغلهم يومئذ عن الأكل والشرب، فأبلغه الرسول ﷺ، فقال محمد بن علي: هم والله في النار أشغل، وما شغلهم عن أن قالوا: ﴿**أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٥٠]»[2]. نختم بهذه الوصية التي قالها محمد بن علي لجابر بن عبد الله الأنصاري كما وردت في كتاب تاريخ دمشق: «يا جابر إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب، قلت: وما

(١) الذرة/ ٢٦.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٧٨.

حزنك وشغل قلبك؟ قال: يا جابر إنّه من دخل قلبه صافي خالص، دين الله شغله عمّا سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون؟ هل هو إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؟ يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بأذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، وإنْ نسيت ذكّروك، وإنْ ذكرتَ أعانوك، قوّالين بحقّ الله، قوّامين بأمر الله، قطعوا محبتهم بمحبة الله، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم، وعلموا أنّ ذلك منظور إليهم من شأنهم، فأنزل الدنيا بمنزل نزلت به فارتحلت منه!!! أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء!!!! وأحفظ الله ما استرعاك من دينه وحكمته»[1]. ما أعظم هذه الكلمات إنها مدرسة علي بن الحسين، نعم ورث محمد من أبيه هذه الحكم والمواعظ، وتا الله إنها لهي مدرسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٨١.



واقعة فخ

انتهى رسول الله ﷺ إلى موضع فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنازة ثم قال ﷺ: «يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة».

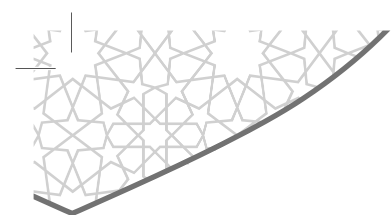
مقاتل الطالبيين/ الأصفهاني

قامت الدولة الأموية بعمل جرائم فظيعة جدًا تجاه ذرية الرسول ﷺ، فقد قتلت الحسين وأهل بيته في عهد يزيد، ومن ثم قتلت زيد بن علي بن الحسين عام ١٢٢هـ، وصلب أربع سنوات في الكوفة في عهد هشام بن عبد الملك، وبعد سنوات بسيطة وفي عهد الخليفة الفاسق الوليد بن يزيد يُصلب ولده يحي بأرض الجوزجان بخراسان

عـام ١٢٥ هـ. نتيجة هذا الاضطهاد قامت دولة بني العباس التي كان شعارها الرضا من آل محمد، كان العباسيون خبثاء بدرجة كبيرة حيثُ استطاعوا أن يستغلوا عواطف الناس تجاه الاضطهاد الأموي لالتفاف الناس حولهم والمباركة بثورتهم.

تأسست الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ، وكان من المقرر أن تتم البيعة إلى إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، لكن إبراهيم الإمام كُشف أمره عند مروان بن محمد أثناء قيام مراسلات بين أبي مسلم الخراساني وبينه، ويعتبر أبو مسلم الخراساني من الأعضاء الأساسيين والرئيسيين في تكوين الدولة العباسية.

قُتل إبراهيم الإمام بواسطة مروان بن محمد في أرض حوران بالشام، لقد وصىّ إبراهيم الإمام بالبيعة إلى أخيه عبد الله بن محمد، لم يكن عبد الله بن محمد أذكى من عمرو بن العاص في مسألة التحكيم عندما أراد عمرو بن العاص أن يقنع الأشعري أن عثمان قُتل مظلومًا وأن معاوية هو وليه وهو الذي يطلب بدمه، استغل عبد الله بن محمد قرابته من رسول الله ﷺ وأخذ يؤول الآيات القرآنية ويسقطها على نفسه فهو من أهل القربى وغير ذلك، لقد أسرف عبد الله بن محمد في قتل الأمويين حتى لقب بالسفاح، هناك أحد الشعراء اسمه سديف بن ميمون المكي كان يهيّج السفاح وعمه عبد الله بن علي على الأمويين بأبيات شعرية يحرك فيهما شهوة الانتقام منهم، لقد نجح سديف بن ميمون في ذلك، لكنه لم يكن أحسن حظًا من أبي



مسلم الخراساني الذي لقي حتفه على يد عبد الله المنصور.

السفاح قتل بني أمية وأخرج الأموات من قبورهم وأحرق هشام بن عبد الملك!! بعد أن مضى على موته سبع سنوات، لقد قال السفاح كما يحدثنا كتاب مروج الذهب: «ما أُبالي متى طرقني الموت؛ قد قتلتُ بالحسين وبني أبيه من بني أميّة مائتين، وأحرقتُ شِلْوَ هشام بابن عمّي زيد بن علي، وقتلتُ مروان بأخي إبراهيم»[١].

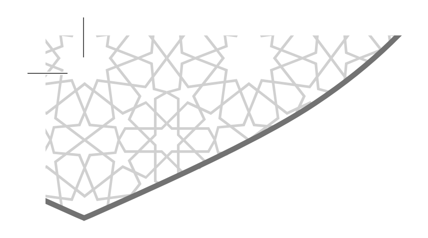
المنصور أصبح يتتبع العلويين الواحد تلو الواحد، لقد سجن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مع جماعة من أهل بيته وهدم عليهم السجن، ومن ثم قتل ابنه محمد الملقب بالنفس الزكية وبعد ذلك قتل أخاه إبراهيم في منطقة (باخمرى) بالقرب من الكوفة، كما أنه بعد تلك الجرائم البشعة تخلص من الإمام جعفر الصادق، لقد أباد المنصور العلويين الواحد تلو الواحد! إن جرائم المنصور أكثر من أن تحصى، لقد مات المنصور واتى من بعده ابنه محمد المهدي وفي عصر المهدي لم تحدث ثورات تذكر لأن المهدي غيّر إستراتيجيته فأطلق سراح السجناء وأرجع إليهم أموالهم، لقد مات المهدي وأتى من بعده أخوه موسى الهادي وهذا كان كيزيد بن معاوية في النظام الأموي، وعلى الرغم أن موسى الهادي لم يدم حكمه إلا سنة واحدة، إلا أنه خلال هذه السنة ارتكب جريمة بشعة أشبه ما تكون بواقعة كربلاء!! لقد وضع على المدينة أحد الولاة الحاقدين جدًا على العلويين، مما اضطر بالحسين بن علي بن الحسن

(١) مروج الذهب ٣/ ٢٥٧.

بن الحسن أن يقوم بثورته، قُتل الحسين بن علي مع أهل بيته في واقعة فـخ بالقرب مـن مكة، وقطعت الـرؤوس وجاؤوا بها وبالأسـرى إلى الخليفة موسى الهادي!! فأعدمهم الخليفة جميعًا.

لم يكن زمن هارون الرشـيد أحسن حظًا من أخيه فقد تبع نفس النهج الذي سـار عليه موسـى الهادي، ويحدثنا التاريخ أن هارون أمر حميد بن قحطبة بقتل سـتين شـخصًا من ذرية الرسـول ﷺ في يوم واحد! وهكذا اتضح للناس أن العباسـيين أشـرس من الأمويين، فإذا كان الأمويـون يقتلـون فـوق الأرض فهـؤلاء يقتلون تحـت الأرض، وصدق الشاعر:

واللـهِ ما فعلـتْ أُميـةُ فيهـمُ
معشـارَ ما فعلـتْ بنـو العبـاسِ



خروج المهدي

«أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلافٍ مِنْ النَّاسِ وَزَلازِل فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا».

الرسول ﷺ/ مسند أحمد

قبل أن يولد الرسول ﷺ، وقبل أن يكون هناك إسلام ومسلمون، وقبل أن يعرف الناس الحلال والحرام، كان الناس يعبدون الأصنام وغيرها من مخلوقات الله ويعيشون في جاهلية، القوي يأكل الضعيف، كان الناس يتعاملون بالربا ويأكلون الميتة.. دعونا نستعيد ذاكرتنا قبل ألف وأربع مئة وثمان وثلاثون سنة! هناك في أرض الحبشة يقف جعفر بن أبي طالب ويقول للنجاشي: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ،

وَنَقْطَعُ الأرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالأوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأمَانَةِ،...»[1]، ولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وولدت معه مسؤولية كبيرة هداية الناس ونهيهم عن الظلم وأكل الربا وأداء الأمانة والكف عن المحارم والفواحش وقول الزور وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم... لقد اجتهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ هذه الرسالة، لا يوجد أحد في مكة آنذاك يعبد الله إلا القليل!! كانوا يضربونه ويشتمونه ويرمون عليه الأوساخ والقاذورات، اجتمع بعشيرته يدعوهم لعبادة الله فاستهزؤوا به ولم يجبه سوى الأمير..!! كان كل من يعتنق الإسلام يضطهد ويعذّب..هكذا بدأ الإسلام أيها القرّاء، بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء؟؟!! هكذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما تذكر كتب الحديث، لقد ذكر مسلم في صحيحه: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[2]، سيعود الإسلام كما بدأ غريبًا يعتنقه القليل وباقي الناس يأكلون الميتة والربا ويأتون الفواحش ويأكل القوي منهم الضعيف سيعودون إلى تلك الجاهلية التي كانت، ليس الآن بل في المستقبل البعيد لا ندري متى؟ ربما يكون بعد مئة سنة أو ألف سنة ستمتلئ الأرض جورًا وظلمًا!! كأني بتلك الجدّة تفتح كتابي (صالة الولائم) وتقرأ منه: «إن ما أخشاه حقًا أيها القرّاء..أن يأتي علينا زمن

---

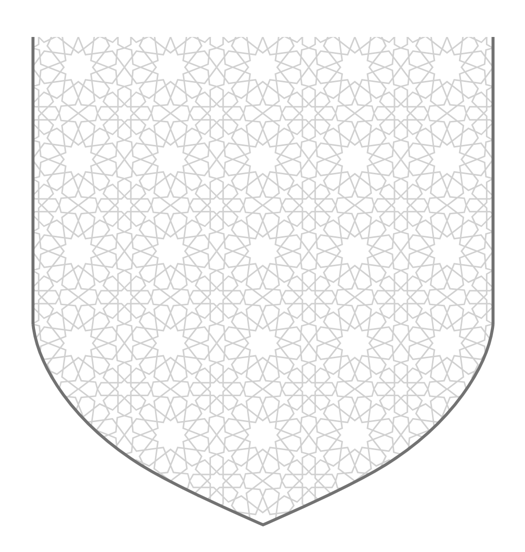
(١) السيرة النبوية ١/ ٢٩٠.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٧٧

يجعـل من هذه العدوانية التي نعيشـها عدالة نتحسـف عليها!! عندما نشهد عدوانية ذاك الزمن»[١]، ستقول الجدة لأحفادها ما أجمل القرن الواحد والعشرين؟! حقًا..!! سيعود الإسلام غريبًا!! ليس هذه الغربة التي نشـاهدها اليوم؟! إن تلك الغربة لأشـد من هذه الغربة بعشـرات وربمـا مئات المـرات!! حقًا سـتمتلئ الأرض جورًا وظلمًـا!! إلا أن الجـور والظلـم ليـس نهاية القصـة!! في ذلـك الزمان هنـاك في مكة سـيخرج رجلٌ اسـمه محمد!! اسـمه كاسم الرسـول ﷺ!! سيملأ الأرض قسطًا وعدلاً!! كما ملئت ظلمًا وجورًا! سـيؤدي الدور الذي أداه الرسول ﷺ وسيقوم بتجديد هذه الرسالة التي ظهر بها الرسول ﷺ في مكة، سيقاتل كما قاتل الرسول ﷺ المشركين في معركة بدر إلى أن ينصره الله كما نصر الرسول ﷺ! ستحدث أحداث كثيرة في ذلك الزمان البعيد؟! سـيظهر الدجال، وسينزل عيسى بن مريم من السماء، وسيخرج محمد المهدي. سيؤسس هذه الدولة العظيمة التي سـتغطي الأرض بأكملها، إنها دولة الرسـول ﷺ، إنها دولة الحق، إنها دولة العدالة.. إنها الدولة المثالية الفاضلة التي لن تجد فيها فقيرًا واحـدًا.. دولة أهـل البيت!! هل تتذكـرون أيها القـرّاء كم عدد جيش المسـلمين في معركة بدر؟ إنه العدد نفسه الذي سيؤسس تلك الدولة التي سينتشر فيها العدل على جميع سكان الأرض!

---

(١) صالة الولائم/ ٩١.

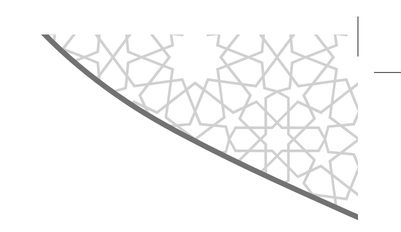


القسم الثالث

حقائق غيبية نطق بها القرآن

يتناول هذا القسم ثمان حقائق
غيبية نطق بها القرآن





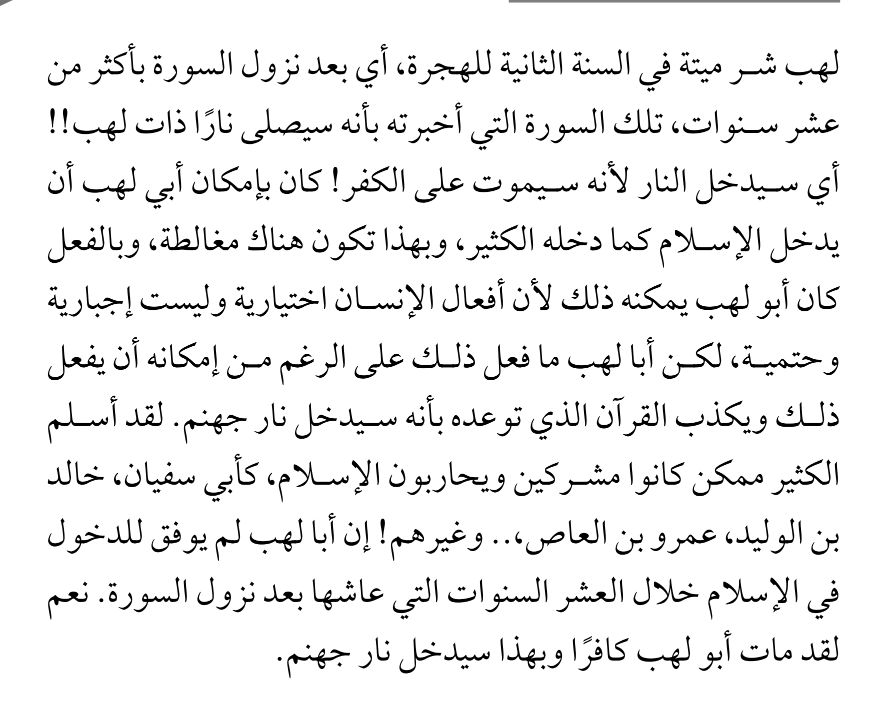
أبو لهب..!!

﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

[المسد:٣]

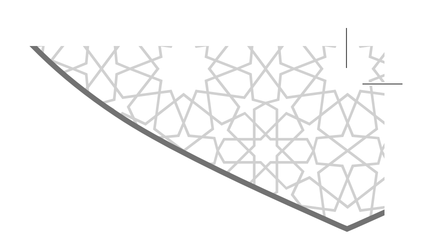
يقـول الكامـل في التاريخ: «قـال ابن عباس لما نزلـت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشـعراء: ٢١٤]، خرج الرسول ﷺ، فصعد علـى الصفا، فهتف: (يا صباحاه) فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان، يا بنـي فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكـم لـو أخبرتكـم أنّ خيلاً تخرج بسـفح الجبل أكنتـم مصدقي؟ قالـوا: نعـم! مـا جربنـا عليـك كذبًـا. قـال: فإني نذيـرٌ لكم بيـن يدي عـذاب شـديد. فقال أبو لهب: تبًا لك أما جمعتنـا إلا لهذا؟ فأنزل الله السورة»[1]. مات أبو لهب بعد معركة بدر بأيام قليلة جدًا بمرض جعل رائحته نتنة جدًا وخشـي النـاس أن يقربوه لرائحتـه الكريهة، مات أبو

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٨٤.



لهب شـر ميتة في السنة الثانية للهجرة، أي بعد نزول السورة بأكثر من عشر سـنوات، تلك السورة التي أخبرته بأنه سيصلى نارًا ذات لهب!! أي سـيدخل النار لأنه سـيموت على الكفر! كان بإمكان أبي لهب أن يدخل الإسـلام كما دخله الكثير، وبهذا تكون هناك مغالطة، وبالفعل كان أبو لهب يمكنه ذلك لأن أفعال الإنسـان اختيارية وليست إجبارية وحتميـة، لكـن أبا لهب ما فعل ذلـك على الرغم مـن إمكانه أن يفعل ذلـك ويكذب القرآن الذي توعده بأنه سـيدخل نار جهنم. لقد أسـلم الكثير ممكن كانوا مشـركين ويحاربون الإسـلام، كأبي سفيان، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص،.. وغيرهم! إن أبا لهب لم يوفق للدخول في الإسلام خلال العشر السنوات التي عاشها بعد نزول السورة. نعم لقد مات أبو لهب كافرًا وبهذا سيدخل نار جهنم.



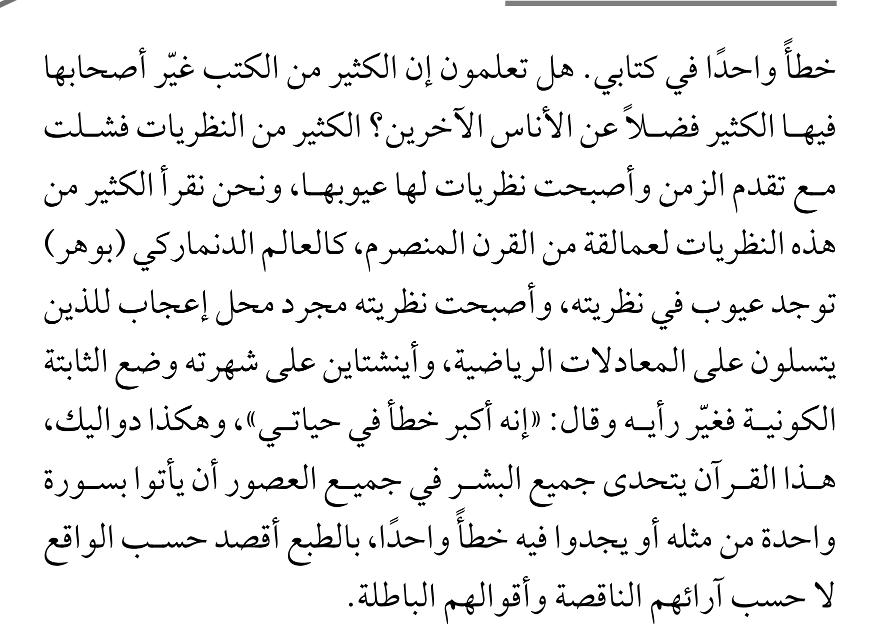


التحدي.. سورة واحدة!!

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

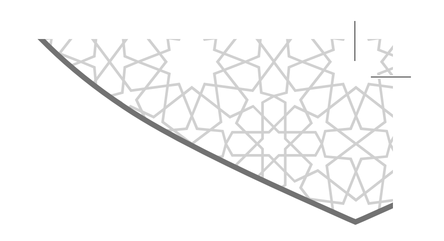
[البقرة: ٢٤]

هـذه اللحظة التـي أكتب فيهـا الآن يوجـد الملايين من البشـر تكتب في شـتى العلـوم، ولا أدري إذا كان أحدهم يكتب في مثل هذا البحـث الـذي أكتبه الآن. هـؤلاء البشـر بطبيعة الحـال يجتهدون في أن يخرجـوا كتابهـم خاليًا مـن الأخطاء وفي أفضل صـورة من جميع الجوانب، هذا ما يسـعى إليه كلُّ كاتب، إن السـبب الذي يدفعهم لهذا الشـيء هو تجنب النقد الناتج عن الأخطـاء التي قد يقع فيها الكاتب، إلا أن هـؤلاء رغـم اجتهادهـم لن تجد أحـدًا فيهم له القـدرة على أن يقول بكل ثقة: أتحدى أن يأتي أحد بمثل كتابي، أتحدى أن يجد أحدٌ



خطأً واحدًا في كتابي. هل تعلمون إن الكثير من الكتب غيّر أصحابها فيها الكثير فضلاً عن الأناس الآخرين؟ الكثير من النظريات فشلت مع تقدم الزمن وأصبحت نظريات لها عيوبها، ونحن نقرأ الكثير من هذه النظريات لعمالقة من القرن المنصرم، كالعالم الدنماركي (بوهر) توجد عيوب في نظريته، وأصبحت نظريته مجرد محل إعجاب للذين يتسلون على المعادلات الرياضية، وأينشتاين على شهرته وضع الثابتة الكونية فغيّر رأيه وقال: «إنه أكبر خطأ في حياتي»، وهكذا دواليك، هذا القرآن يتحدى جميع البشر في جميع العصور أن يأتوا بسورة واحدة من مثله أو يجدوا فيه خطأً واحدًا، بالطبع أقصد حسب الواقع لا حسب آرائهم الناقصة وأقوالهم الباطلة.





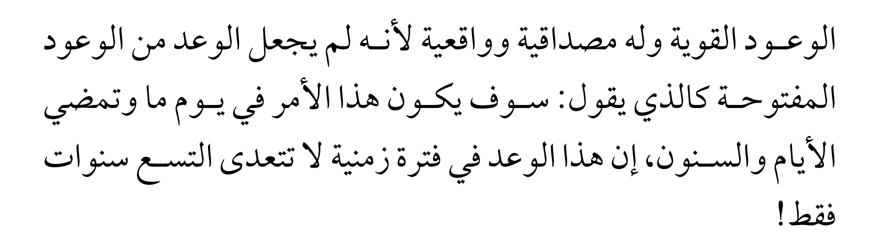
انتصار الروم على الفرس

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

[الروم:٢-٦]

على الرغم من انهزام الروم على يد الفرس إلا أن الله يُخبر عن المستقبل ويقول: إن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين.

إن المزعج حقًا أن الكفار كذبوا هذه النبوءة وهي إمكانية هزيمة الفرس، إلا أن هذا الوعد من الوعود الحتمية التي سينجزها الله في مدة قصيرة بين الثلاث والتسع سنين فقط! إن هذا الوعد من



الوعـود القوية وله مصداقية وواقعية لأنـه لم يجعل الوعد من الوعود المفتوحـة كالذي يقول: سـوف يكـون هذا الأمر في يـوم ما وتمضي الأيام والسـنون، إن هذا الوعد في فترة زمنية لا تتعدى التسـع سنوات فقط!

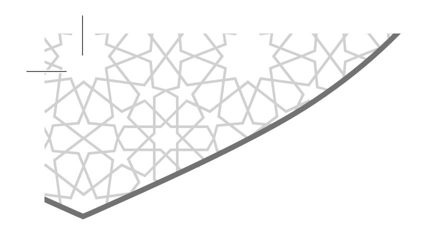
كان المشـركون يحبـون انتصار الفرس على الـروم لأنهم عبدة أوثـان والمسـلمون على العكـس لأن الروم أهل كتـاب. كانت هناك مراهنة بين أبي بكر والمشـركين كما تروي كتب التفسير، سأكتفي هنا بما رواه سـنن الترمـذي: «كَانَتْ فَارِسُ يَـوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الايَـةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ وَكَانَ الْمُسْـلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الروم عَلَيْهِمْ لاَنَّهُمْ وَاِيَّاهُمْ اَهْلُ كِتَـابٍ وَفِـي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّـهِ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَئِـذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُـونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَـاءُ وَهُوَ الْعَزِيـزُ الرَّحِيمُ**﴾. فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ لاَنَّهُمْ وَاِيَّاهُمْ لَيْسُـوا بِاَهْلِ كِتَابٍ وَلاَ اِيمَانٍ بِبَعْثٍ فَلَمَّا اَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَـى هَذِهِ الايَةَ خَرَجَ اَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ: ﴿**الم * غُلِبَـتِ الـرُّومُ * فِي اَدْنَـى الاَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَـيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِـنِينَ**﴾. قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لاَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ زَعَمَ صَاحِبُكُمْ اَنَّ الرُّوم سَـتَغْلِبُ فَارِسًـا فِي بِضْعِ سِـنِينَ اَفَـلاَ نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: بَلَى. وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ فَارْتَهَنَ اَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ وَقَالُوا لاَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ الْبِضْع ثَلاَثُ سِـنِينَ اِلَى تِسْعِ سِنِينَ، فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي اِلَيْهِ. قَالَ: فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِـنِينَ، قَالَ: فَمَضَتِ السِّـتُّ سِـنِينَ قَبْلَ اَنْ يَظْهَرُوا، فَاَخَذَ الْمُشْـرِكُونَ رَهْـنَ اَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّـنَةُ السَّـابِعَةُ ظَهَرَتِ الـرُّوم عَلَى فَارِسَ فَعَابَ الْمُسْـلِمُونَ عَلَى اَبِي بَكْرٍ تَسْـمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ لاَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قَالَ: وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ»[1].

يوجد في الحقيقة روايات مختلفة يستطيع القارئ الرجوع إليها في كتب التفسير لكنها تعطي نفس النتيجة التي أريد أن أصل إليها وهي التنبؤ بهزيمة الفرس، إن ما يهمني هنا أن الآيات تتحدث عن هزيمة الفرس في بضع سنين، وبالفعل قد تحقق وعد الله سبحانه وتعالى، وكيف لا يتحقق وهو الله الذي يعلم بما يكون!

وهكذا اكتسبت هذه النبوءة مصداقيتها مما دفع بالكثير إلى الدخول في الإسلام بعد هزيمة الفرس على يد الروم، وكتفسير لذلك لا يوجد هناك مستحيل أيها المسلمون فكما أن الروم هزمت الفرس، سنهزم هؤلاء المشركين وسندخل مكة وسنفتحها!! نعم هذا هو الواقع بالضبط يراه المسلمون، ويتجلى لهم في هذه النبوءات مصداقية هذه الوعود!! إنه وعد الله والله إذا وعد لا يخلف وعده. نعم تحققت هذه النبوءة وهزمت الفرس!

(١) سنن الترمذي ٢/ ٤٩٦.



معركة بدر

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

[القمر: ٤٥]

كيف يصف المسلمون شعورهم بالنصر في معركة بدر ونسبتهم هي الثلث فقط! واحد مقابل ثلاثة! إنها المعركة التي تفصل الحق عن الباطل؟! سيجدون هذا النصر في وعد الله الذي وعده رسوله، كان الرسول ﷺ يدعو ويقول: «اللهم إنْ تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، اللهم أنجز لي ما وعدتني»[1].

سيهزم هؤلاء الذين وقفوا في وجه الإسلام وأخذوا يستهزؤون به ويفرون منهزمين، سوف يهزمون في معركة يظهر فيها الحق ويزهق الباطل.

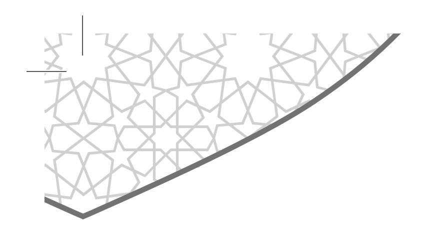
---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣.

إنها معركة بدر التي أنجز الله وعده فيها للرسول ﷺ، لقد تكلمنا في القسم السابق حول معركة بدر. وبالرغم من قلة المسلمين وحضور أساقفة قريش والأبطال كعتبة وشيبة والوليد وأبي جهل وأمية بن خلف، إلا أنهم كلهم قد قتلوا وهزموا وفر من بقى من المشركين على قيد الحياة. ألم تكن هذه النتيجة مفاجئة حقًا أيها المسلمون؟ إذ حتى لو كان المشركون أكثر منكم مالاً وعدة وقوة إلا أن هذا هو وعد الله، ولا يوجد سبب أستطيع أن أعوّل عليه لنصرتكم في يوم بدر إلا أن الله هو الذي نصركم على هؤلاء المشركين.

هذا هو الرسول ﷺ يقول قبل المعركة كما يحدثنا الكامل في التاريخ: «أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»[1].

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٨.



الأبتر.. العاص بن وائل

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

[الكوثر:١-٣]

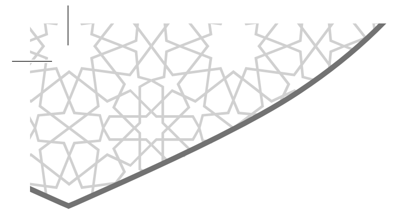
كان يعيب الرسول ﷺ بالأبتر بعد أن مات ابنه عبد الله، كان يظن أن نسل الرسول ﷺ سينقطع دون أن يعلم هذا الغبي أنه هو الذي سينقطع نسله، أما الرسول ﷺ فهذه ذريته تغطي الأرض بأكملها، نعم رزقه الله فاطمة الزهراء، لقد أعطاه الله الكوثر، أعطاه الله الخير الكثير، أعطاه الله فاطمة الزهراء، ومِنْ فاطمة الزهراء خرج نسل الرسول ﷺ الواحد تلو الواحد، وعلى الرغم من المجازر الدموية التي حصلت من قبل النظام السياسي الأموي والعباسي إلا أن ذرية الرسول ﷺ لا تزال تحافظ على كثرتها، فمن هو الأبتر أيها العاص بن وائل؟!

أما بالنسبة إلى عمرو بن العاص فكما قرأت في الكتب التاريخية

أنه اختلف فيه خمسة أشخاص فألحقوه بالعاص بن وائل. وهنا سأذكر هذه القصة من كتاب العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ، وهذه القصة نفسها ذكرتها في كتابي الأمير: «أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة، فلما رآها معاوية قال: مرحبًا بك وأهلاً يا عمة، فكيف كنت بعدنا؟ فقالت: يا بن أخي، لقد كفرتَ يدَ النعمة، وأسأتَ لابن عمك الصحبة، وتسمَّيت بغير اسمك، وأخذتَ غيرَ حقك، مِن غير دين كان منك ولا من آبائك، ولا سابقةٍ في الإسلام، بعد أن كفرتُم برسول الله ﷺ فأتعسَ اللهُ منكم الجدود، وأضرَعَ منكم الخدود، وردَّ الحقَّ إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا ﷺ هو المنصور، فوُلِّيتمُ علينا من بعده،تحتجون بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقربُ إليه منكم وأولى بهذا الأمر؛ فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان علي بن أبي طالب بعد نبينا ﷺ بمنزلة هارون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة، واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك! فقالت له: وأنت يا بن النباغة (الزانية) تتكلم؟! وأمك كانت أشهر امرأة تُغَني بمكة، وآخذهن لأجرة! اربَعْ على ظَلْعِك، واعْنَ بشأن نفسك؛ فو الله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم مَنْصِبها؛ ولقد ادعاك خمسةُ نفر من قريش [كلهم يزعم أنه أبوك]، فسئلت أمك عنهم فقالت: كلهم أتاني، فانظروا أشبهَهُم به فألحِقوه به، فغلب عليك شَبهُ العاص بن وائل فلحِقْتَ به.

فقال مروان: كفَى أيتها العجوز، واقصدي لما جئتِ له، فقالت:



وأنت أيضًا يا بن الزرقاء تتكلم! ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جرّأ عليّ هؤلاء غيرُك، فإن أمك القائلة في قتل حمزة:

نحن جَزيناكم بيوم بدر
والحرب بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ
ما كان لي عن عُتبةٍ مِن صبر
فشُكر وحشيٍّ على دهري
حتى تَرِمّ أعظمي في قبري

فأجابتها بنتُ عمي وهي تقول:

خَزيتِ في بدر وبعدَ بدر
يا بنةَ جبّار عظيم الكفر

فقال معاوية: عفا الله عما سلف يا عمة! هاتِ حاجتَك. قال: مالي إليك حاجة، وخرجت عنه»[1].

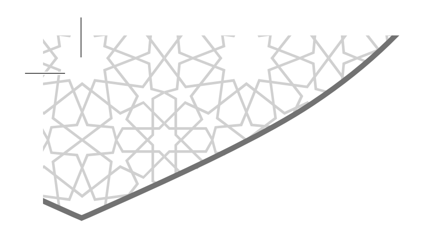
صدقوني إنني في غاية من التعجب، فعلى الرغم من هذه الصعوبات التي اعترضت العلويين والمجازر الفظيعة التي حصلت لهم على مدى أكثر من ألف سنة، إلا أنه رغم ذلك نرى نسل السادة ينتشرون في كل مكان. لم يخطر في بال أحد أن هؤلاء السادة سيكونون بهذه الكثرة! بالفعل لقد خان اعتقاد أولئك الحكام الطغاة من أنهم سيقضون على هذا النسل الطاهر! وهذه الحقيقة هي معجزة في حد ذاتها، فلو كان أولئك الذين يقتلون من غير نسل الرسول ﷺ لانقرضوا كما تنقرض الديناصورات وأصبحوا

(١) العقد الفريد ١/ ٣٥٨.

في صفحات التاريخ فقط! أليست هذه معجزة أيها القرّاء؟!

إن هذا النسل سوف يستمر ويتوسع رغمًا عن أنوفنا جميعًا، لأن الله تكفل بحفظ هذا النسـل الطاهر، سيتوسـع كما يتوسع هذا الكون رغمًا عن أنوفنا جميعًا.

عندمـا أتصفح في كتـب التاريخ وأرى تلك الويـلات والحروب التـي حلـت بهـؤلاء وخاصة أثنـاء الحكم السياسـي للدولـة الأموية في الشام التي استمرت أكثر من تسعين سنة، والدولة العباسية في بغداد التي اسـتمرت أكثر من خمس مئة سـنة، أقف حائرًا متعجبًا كيف لمثل هذا أن يحصل؟ وكيف لمثل هؤلاء أن يستمروا حتى القرن الواحد والعشرين؟! لا يوجد لهذين السـؤالين إلاّ هذان الجوابان، فحيثما كانت هناك سـلطة سياسية كان يجب على هذه السلطة أن تفعل هكذا كي تستطيع المحافظة علـى ديمومتهـا، أما الجواب الثاني فمن الواضـح جدًا أن هناك من يقف وراء المحافظة على هذا النسل وانتشاره، وأنا لا أعتقد أن من الممكن أن تكون الصدفة جعلت هؤلاء يسـتمرون حتى هـذه اللحظة، إلا إذا أردت أن أهـرب من البرهان العقلي والمنطقي إلـى البرهان الذي لا يقبله حتى الأطفال! نحن لا نسـتطيع أن نتجاهـل تلك المجازر التي حصلت والتي لـو حصلـت في عائلة ثانية لمـا بقي منهم إلا الخيـال على وجه الأرض. هنـاك عوائل كثيرة لم تتعـرض للحروب لكن انقطعت مع مرور الزمان؟ أيها الرسول ﷺ ها هي ذريتك تستمر للقرن الواحد والعشرين وسوف تستمر إلى آخر يوم ينبض بالحياة على كوكب الأرض، لقد خاب العاص بن وائل وانقطع نسله!! إنه هو الأبتر...!



وجود الجن

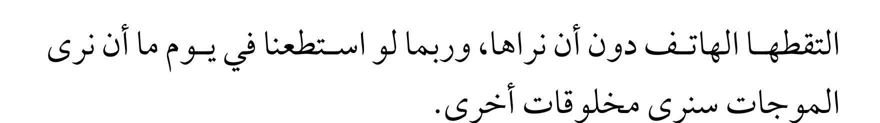
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

[الجن:١]

من الصعب أن نتصور في يوم ما أننا قادرون على التخاطب مع الجن أو الجلوس معهم والتناكح معهم أيضًا، فمن المسلَّم به أن الجن خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التي خلقنا منها نحن البشر، كان الإنسان يعتقد أنه هو الكائن الوحيد الذي يعيش على هذه الأرض ولم يكن يعلم أن النوع البشري هو نوع من عدة أنواع وربما عشرات ومئات وملايين الأنواع التي تعيش في هذه الأرض وهذا الكون الواسع، قد يحسد الإنسان نفسه كثيرًا باعتباره هو الكائن الذكي الذي نشأ في هذه الأرض، وحتى الآن يعتبر الإنسان هو الكائن الذكي الوحيد الذي نشأ في الأرض وقد يكون في الكون بأكمله كما

يعتقد علماء الفلك، إلا أنه للأسف انخدعنا كثيرًا في الوصول لنظرية نهائية قادرة على تفسير كل شيء، لقد أوهم العلماء أنفسهم كثيرًا بأنهم سيتربعون ويصبحون سادة للكون، إن المزعج حقًا أننا لا زلنا لا نعلم من الكون إلا القليل، لا نزال نجهل هل بالفعل هناك كائنات ذكية أخرى تعيش في هذا الكون؟ لا زلنا نجهل كيف كانت بداية الكون؟ من أين أتت البيضة الكونية؟ وكيف تخرج الروح من الإنسان؟ وكيف تخزن المعلومات في الدماغ؟ وكيف..وكيف؟! أسئلة كثيرة تواجهنا دون أن نجد لها أجوبة؟! إنني أعترف أننا لا نزال نجهل الكثير من الظواهر الطبيعية التي تحدث في هذا الكون.

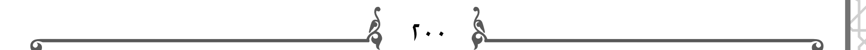
هذا هو القرآن يُخبرنا عن نشوء كائنات ذكية تعيش بيننا قادرة على فهم الكلام، صحيح نحن لا نراهم ولا نسمعهم، لكن لا يعني هذا أنه لا وجود لهم؟! فكما أن الأذن البشرية لها قدرة على سماع الموجات التي تقع بين العشرين والعشرين ألف هيرتز، كذلك العين لها قدرة محددة فقط على الرؤية، أليس هذا بحد ذاته إعجاز غيبي؟! إن النوع البشري ليس هو الوحيد القادر على الفهم والتفكير ورصد هذا الكون، هناك كائنات أخرى قادرة أيضًا، إلا أن الحكمة تقتضي أننا لا نستطيع أن نراهم وربما هم لا يرونا أيضًا وقد يرونا-الجن والشيطان والملائكة قد صرح القرآن برؤيتهم لنا-؟! لا أحد يعلم عن هذا؟ إن عدم رؤيتنا لهم وهم بيننا لا يعني عدم وجودهم؟ أليست لنا القدرة الآن على أن نمسك الهاتف بيدنا ونرى أن الإرسال مقداره درجة أو درجتان أو مكتمل الدرجات، هذا يعني أنه توجد إشارات

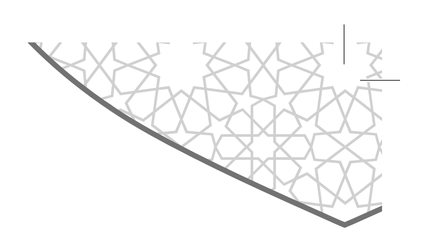


التقطهـا الهاتـف دون أن نراها، وربما لو اسـتطعنا في يـوم ما أن نرى الموجات سنرى مخلوقات أخرى.

إن القرآن أخبرنا عن وجود مخلوقات كالجن والملائكة، نحن الآن فـي القرن الواحد والعشـرين نعجز بالبرهـان التجريـبي العملي على إثبات وجودها، وللأسـف هناك تجارب كثيرة تريد أن تتخاطب مع هذه المخلوقات وترصدها لكنها تجارب فاشلة.

إن القـرآن الكريـم أخبرنـا عن وجـود الجـن والملائكة كذلك الـروح التـي تحرك المخلوقات، نعم إنها الـروح التي مهما حاولنا أن نفهم تركيبها وماهيتها نقف باستسلام أمام هذه الروح التي ينفخها الله في مخلوقاته فتعطيهم الحياة!





نعيم الجنة

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾.

[الغاشية:١٣]

جاء في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ كان يصف الجنة فقال: «فِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١)، بين يدي الآن أكثر من مئة حديث جمعتها من كتب الحديث حول صفة الجنة وهذه الأحاديث بالفعل غريبة جدًا، فعقولنا البشرية ليست لها القدرة على استيعابها، جاء في صحيح مسلم أيضًا: «إِنَّ فِي الجنة شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»(٢)، إن الإنسان البسيط يُصدم بمثل هذه الأحاديث عندما يسمعها وربما يرفضها، لكنه لا يوجد سبب بالنسبة لي يجعلني أرفض مثل هذه

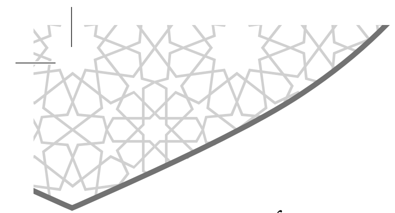
(١) صحيح مسلم ١/ ١٢٩٨.
(٢) صحيح مسلم ١/ ١٢٩٩.

الأحاديث التي تتكلـم حول نعيم الجنة، هذا القرآن أيضًا يتكلم حول هـذا النعيم في عشـرات الآيـات القرآنية، فهل فكرنا أيهـا القرّاء كيف تكـون السـرر مرفوعة؟ إنني فـي حيرة من هذا فهل هـي مرفوعة على أعمـدة طويلة جـدًا، أو أنها مرفوعـة بغير عمد كالسـماء التي قال الله فيهـا: ﴿**اللَّهُ الَّـذِي رَفَعَ السَّـمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَـدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[الرعد:٢]، لا أظـن أنها سـتكون مرفوعـة بأعمدة فلا يوجـد في هذا الرفـع إعجاز، بل سـتكون مرفوعة بغير عمد سـيرفعها الله كما رفع السـماوات بغير عمد؟ إن ما يجعل الكواكب والنجوم مسـتقرة في مساراتها هو قانون الجاذبيـة، بالطبع هنـاك في الجنة سـتكون جاذبية لكنهـا تختلف عن جاذبيتنـا فـي كوكـب الأرض، إن تلـك الجاذبيـة لها القـدرة على أن تجعـل السـرر مرفوعة، وهـذه النتائج ليسـت مفاجئة حقًا بالنسـبة لي فهذه السماوات مرفوعة بغير عمد، وهذا هو القمر في كل ليلة أشاهده وأنا أتناول العشاء في الهواء الطلق، وهو بالطبع معلّق في السماء على ارتفـاع معيـن بغير عمد؟! وهذه هي الشـمس أيضًا أراهـا في كل يوم أذهـب بسـيارتي للعمل معلقة بغيـر عمد، والأرض التـي نقف عليها معلقة بغير عمد؟! ألا يوحي لنا أن من جعل هذه الأشـياء مرتفعة بغير عمد، له القدرة أن يجعل أَسِـرَّتَنَا المصنوعة من مادة لا نعرف ما هي، في يوم القيامة مرتفعة بغير عمد أيضًا؟!

إن القوانين الفيزيائية في الجنة ستختلف عن هذه القوانين التي نتعامل بها في هذه الأرض، ويشير إلى ذلك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصادرة عن رسـولنا الأعظم وأهل بيته الطاهرين.

هـل تصدقـون أنّ كلَّ هذا النعيـم لا يحتاج منا فقط إلا إتباع الرسـول ﷺ!! من يتبع الرسول ﷺ يدخل الجنة، ومن يعصه يدخل النار! إن الله قد بعث لنا الرسول ﷺ ليعلمنا الحلال والحرام، يعلمنا كيف نعبد الله، فإذا أطعناه ندخل الجنة، وإذا عصيناه سندخل النار! كم هي مأساة كبيرة إذا دخل الإنسان النار، فعمر الإنسان على كوكب الأرض بالكاد يصل إلى الستين أو السبعين سنة، فكيف يبيع ذلك العالم الذي ينتظرنا بعد الموت بسـتين سـنة! من يفعل هذا فهو لا يجيد الحساب، إذا كنـا فـي معاملاتنـا التجارية نحاسـب بالريالات والنصـف والربع أيضًا ونحسـبها بدقة، أما إذا تعلق الأمـر بالحياة بعد الموت، لا أدري لماذا لا نجيد الحسـاب جيدًا؟! لا شـك ولا ريب أن هناك ما ينتظرنا بعد الموت، هناك الحسـاب، ولا أدري كم من الوقت سيسـتغرق هذا الحسـاب، وهنـاك أيضًا الجنـة، وهناك النـار أيضًـا. إن الجهل هو ما يجعل الإنسـان يفضّـل اللذات غير الدائمة على اللـذات الدائمة، وما أجمـل ما قاله الأمير في هذا الموضوع: «مـا لعلي ولنعيم يفنى، ولذّة لا تبقى»، نعم! نعيم الدنيا ولذاتها لا تبقى! فدوام الحال من المحال! سـنموت وسـنترك هذا النعيم خلف ظهورنا، هناك في تلك المساحة الصغيرة جدًا سـندفن هناك ونتحلل إلى تراب وبعد ذلك سـنبعث من جديد وسنحاسب على ما فعلناه في الاختبار الكبير.. الدنيا!

تكلمنـا حـول يوم القيامـة في كتابنـا (صالة الولائـم) وقلنا في ذلك: «يسـألني الكثيـر إذا دخل أهل الجنة جنتهم وأهـل النار نارهم، مـاذا سـيكون بعد ذلك؟ مـن الصعوبة جدًا أن نعـرف دور الخالق في



تلك اللحظة، لا ندري ماذا سيحصل بعد ذلك، ربما تستمر الأوضاع على ذلك النحو ونعيش مرحلة الخلود؟!

أصبح يوم القيامة من الأمور التي يثبتها الدين والعلم، ولا غرابة إذا اعتقدت أن يوم القيامة هو العلة التي من أجلها خلق الكون. سوف يأتي يوم القيامة وسيحاسب الناس بأكملهم من خلال ما فعلوه في الامتحان الذي وضعهم الله فيه الدنيا.

إن الله بعث لنا الأنبياء ليعلمونا ماذا يريد الخالق منا؟ وهؤلاء الأنبياء قد شرحوا لنا ذلك المنهج المكتمل الذي ينظم حياة الإنسان في الأرض ويسعى به للوصول إلى النعيم الذي أعده الله له -ولا شك ولا ريب أن معرفة الله وتوحيده وعبادته ومعرفة الرسول ﷺ هي العلة التي من أجلها وجد الكون- إن هؤلاء الأنبياء كانوا يتكلمون مع الله وكان الله يوحي إليهم، وكانوا يتوقون لمناجاة الله! وهؤلاء الأنبياء هم الواسطة بيننا وبين ما يريده الله منا، فمن أطاعهم سيدخل الجنة ومن عصاهم سيدخل النار.

بعد الجنة والنار لا ندري ماذا سيحدث، لكن احتمل أن الكون سيستمر إلى ما لانهاية وفي تلك اللحظة لن تكون للكون نهاية سيستمر للأبد وستستمر مخلوقاته للأبد أيضًا. علينا كبشر في هذه الدنيا أن نعرف ماذا يريد الله منا حتى نصل للجنة، وهذه الجنة تعتبر غاية كل إنسان لأن الحياة فيها هي مرحلة الخلود.

قد تكلمنا بشكل مفصل عن تلك القوانين التي تحكم يوم

القيامـة فـي كتابنـا (الأمير)، وقـد توصلنـا للجاذبيـة ولتبـادل الطاقة ومرحلة الخلود كذلك مرحلة النار أيضًا.

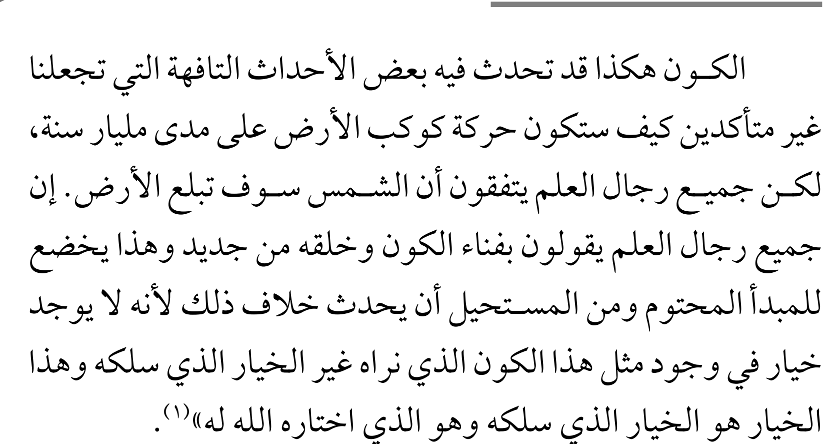
إن يـوم القيامة ما هـو إلا مرحلة يصل لها الكـون بعد أن يخلق ثانية، وفي تلك المرحلة يجب على الكون أن يوفر تلك البيئة والقوانين الأنيقة التي تسـمح للمخلوقات بالعيش في ظروف تتناسـب مع تلك الظروف التي يعيشها أولئك.

ليس مـن الصعوبة علينـا كفيزيائيين نظريـن أن نفهم الخطوط العريضة التي يجب على الكون أن يسلكها في الخلق الثاني.

إن هذه الظروف لا يستطيع الكون أن يخالفها بشكلها الإجمالي وإن كنت أعتقد أن الأشياء الدقيقة أيضًا سيقف الكون كالعاجز الذليل على تغييرها.

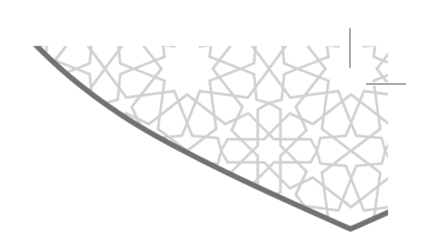
إن هذه الأمور حتمية والكثير يرى أن الكون ليس من المفروض أن يكون مسـتقبله يخضع لأمور حتمية، أو حتى نحن البشر أيضًا يرى الكثير أن تصرفاتنا لم ترسـم لنا مسـتقبلاً، كل هـؤلاء مخطئون فنحن بشكلنا العام، والكون بمستقبله العام محتوم.

إن الإنسـان لا يخضـع لمبدأ الحتمية في عالمه التشـريعي وإلا فـلا نسـتطيع أن نعاقبـه علـى ارتكابه جريمـة الزنا، لأن طبيعـة خلقته حـرة، أما التصرفات العامة فهو يقف أمامها كالأسـير ولا يسـتطيع أن يخالفها، فلا يوجد أحد يسـتطيع أن يهرب من الموت أو الشـيخوخة أو المرض أو...



الكـون هكذا قد تحدث فيه بعض الأحداث التافهة التي تجعلنا غير متأكدين كيف ستكون حركة كوكب الأرض على مدى مليار سنة، لكـن جميـع رجال العلم يتفقون أن الشـمس سـوف تبلع الأرض. إن جميع رجال العلم يقولون بفناء الكون وخلقه من جديد وهذا يخضع للمبدأ المحتوم ومن المسـتحيل أن يحدث خلاف ذلك لأنه لا يوجد خيار في وجود مثل هذا الكون الذي نراه غير الخيار الذي سلكه وهذا الخيار هو الخيار الذي سلكه وهو الذي اختاره الله له»[١].

(١) صالة الولائم/ ١٤٠.

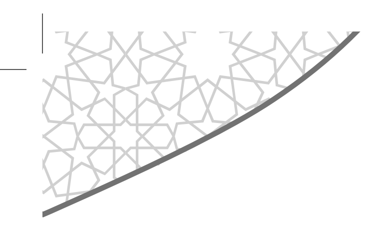


موسى بن عمران

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[القصص:٧]

القصص الغيبية في القرآن كثيرة، ومن يتتبعها يشعر بدهشة كبيرة جدًا، وهذا بالطبع يدل على صدق رسالة الرسول ﷺ، فقصص الرسل والأنبياء التي وردت في القرآن من يتأمل فيها يشعر بعظمة كبيرة في تأملاته، وهنا يكفيني أن ألقي الضوء على قصة نبي الله موسى بن عمران. إنها قصة بالفعل يتعجب منها القارئ، ولا شك ولا ريب أن جميع قصص الأنبياء في حد ذاتها تعتبر من الإخبار بالغيب في القرون الماضية، فكيف عرف الرسول ﷺ بتلك الحضارات

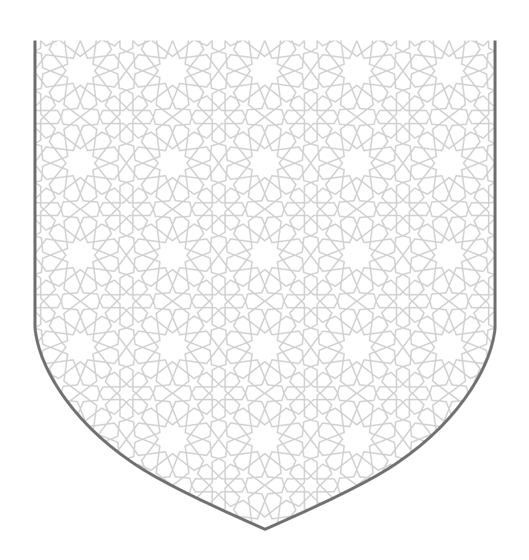


منذ آلاف السنين؟.

لقـد خافت الأم من جنود فرعون، مـاذا تفعل في هذه اللحظة؟ صنعـت صندوقًا ووضعت ابنها موسـى فيـه وألقته في النيـل، إنه أمر اللـه لن يحدث له مكروه. الصندوق يذهـب بقرب قصر فرعون ومن الغرابة أن الذي كان يخشى منه فرعون يتربى في بيته.

ذهبـت الأم لولدهـا لترضعه فـي قصر فرعـون، وبذلك يتحقق وعد الله سـبحانه وتعالى، ورغم ما كان يخشاه فرعون إلا أن ذلك لم يمنع من تحقق هذا الإعجاز الغيبي.

يوجـد الكثير مـن الإعجاز الغيـبي في القرآن وقـد اكتفينا بذكر هـذا العدد لعـدم الإطالة، ومن أراد المزيد فعليـه مراجعة الكتب التي تهتـم بالجانـب الغيبـي في القـرآن، هذا وأسـأل الله تقدس اسـمه أن يوفقنا لطاعته.

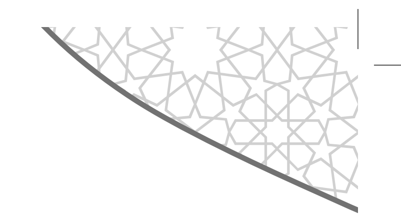


القسم الرابع

حقائق علمية نطق بها الرسول ﷺ

يتنــاول هــذا القســم ثــمان حقائق
علمية نطق بها الرسول ﷺ





تحديد قبلة مسجد صنعاء

«ادعهم إلى الإيمان، فإن أطاعوا لك به، فاشرع الصلاة، فإذا أطاعوا لك بها، فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غُمدان، واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين».

الرسول ﷺ/ تاريخ مدينة صنعاء

بعد فتح مكة عام ٨هـ، تفشى الإسلام في الجزيرة العربية، وأتت الوفود للرسول ﷺ أفواجًا أفواجًا، لقد نجح الرسول ﷺ نجاحًا باهرًا في نشر الإسلام، ولا يمكن أيها القرّاء أن يكون ما نعتبره من هذا النجاح العظيم من ظروف بدائية اعتباطية أو فوضوية أو أشبه ما يكون بالفلتة أو الصدفة، بل على العكس من ذلك من يتعمق في هذا يستنتج في نهاية الأمر أن الرسول ﷺ اجتهد بكل طاقته وضحى بكل ما

يملك من أجل نشر الإسلام، فسلام الله عليك أيها الرسول الأعظم ﷺ. أرسل الرسول ﷺ سفراء يعلموهم الإسلام من ضمنهم علي بن أبي طالب أرسله إلى همدان، كذلك أرسل وَبْر بن يُحنِّس الأنصاري إلي صنعاء! وقال له كما جاء في كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرّازي المتوفى عام ٤٦٠هـ: «ادعهم إلى الإيمان، فإن أطاعوا لك به، فاشرع الصلاة، فإذا أطاعوا لك بها، فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غُمدان، واستقبل به الجبل الذي يقال له ضِيْن»[1].

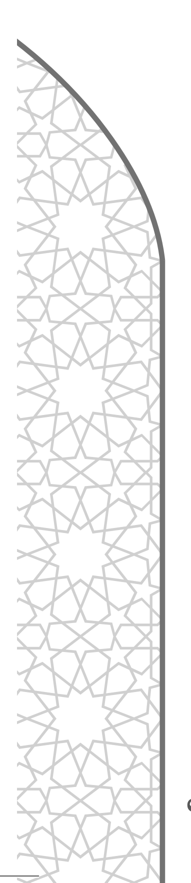
في مثل هذا اليوم نحن نملك خرائط لكل فرسخ من هذه الأرض ونعرف بالضبط أقل التفاصيل عن أية مساحة، لكن نحن نتكلم الآن قبل اكتشاف الخرائط الجغرافية الكروية وقبل ثورة الأقمار الصناعية التي بواسطتها نشاهد الأرض بأكملها ونحن نشرب الشاي! بالفعل ستكون مهمة بالغة الصعوبة وليس لدى الناس في تلك الفترة خبرة في ذلك! فضلاً عن أن الناس لم يكتشفوا كروية الأرض، وخطوط الطول والعرض، وارتفاع اليمن ومكة بالنسبة للبحر! وهذه العوامل مهمة في تحديد القبلة تحديدًا دقيقًا من حيث الاتجاه والانحناء والميل.

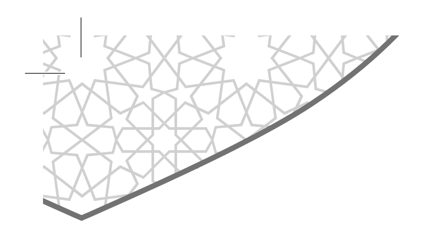
إنني في حديثي عن هذه الواقعة العظيمة تتجلى لي عظمة رسولنا الأعظم ﷺ الذي لم يزر اليمن طوال حياته، ومن ثم يحدد تلك القبلة الدقيقة التي تشكل خطًا مستقيمًا من مسجد صنعاء ويمر

(١) تاريخ مدينة صنعاء/ ١٣٥.

بجبـل ضيـن ومن ثم في وسـط الكعبة! أليس هذا بدليـل صادق على صدق رسالته؟!

لقـد قمت بنفسـي باسـتخدام برنامج جوجل أيرث برسـم خط مستقيم بين الكعبة ومسجد صنعاء فوجدت بالفعل أن الخط يمر على جبـل ضيـن، وجبل ضيـن يبعد أكثر مـن ثلاثين كيلو مترًا عن مسـجد صنعاء، أما بالنسبة للمسافة بين مسجد صنعاء والكعبة فقستها بواسطة البرنامج فوجدتها أكثر من ثمان مئة كيلو مترٍ.





لطول الله ذلك اليوم

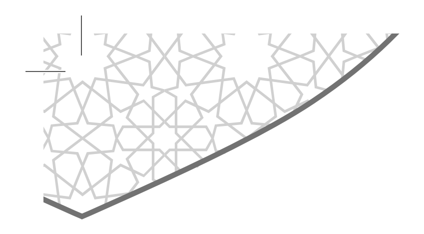
«لَـوْ لَمْ يَبْقَ مِـنَ الدُّنْيَا إِلاَّ يَـوْمٌ لَطَوَّلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلِكُ جَبَلَ الدَّيْلَمِ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةَ».

الرسول ﷺ/ سنن ابن ماجه

بناءً على ما تعلمته في دراسـتي الجامعية وما قبل الجامعية فإن اليوم يعتمد على دوران الأرض حول نفسـها، ويمكن النظر إلى اليوم علـى كوكب الأرض علـى أنه مقدار إتمـام دورة كاملة لهذه الأرض، وهـذا اليـوم ليس ثابتًـا في جميع الكواكـب، فهو يقصـر ويطول على حسـب مدة دوران الكوكب حول نفسـه، أما بالنسبة للسنة فهي تعتمد علـى مقـدار دوران الأرض حـول الشـمس. إن اليوم فـي بداية تكون الأرض لـم يكن بهذا المقدار الذي نقيسه اليوم، لقد كانت الأرض في بدايـة تكونها حـارةً جدًا ثم بردت مع مرور الزمن، إلى أن اسـتطاعت

أن توفر المناخ المناسب لظهور الكائنات تدريجيًا على سطحها فمن الأسماك والزواحف إلى نهاية الجنس البشري.

لم يكن يعتقد أحد أن اليوم بإمكانه أن يطول، فلا شك ولا ريب لو تباطأت الأرض لأصبح اليوم أكثر من هذا القياس الذي نقيسه الآن، وقد يحصل هذا في المستقبل البعيد جدًّا نتيجة جاذبية القمر التي تؤثر على احتكاك المد والجزر بسطح الأرض. إنها نقطة جيدة أن نتكلم حولها، هل بالفعل ستضطر الأرض في يوم ما أن تتباطأ في دورانها ليطول ذلك اليوم؟! إن من الممكن وهو بعيد الاحتمال أن تضطر الأرض لتتباطأ لتنتظر خروج محمد المهدي، وإذا لم تضطر لذلك سوف يخرج أيضًا في يوم ما! وقد تكلمنا في موضوعاتنا السابقة حول خروج محمد المهدي الذي سيملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا.



غدير خم

«مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ».

الرسول ﷺ/ سنن ابن ماجه

إن من المذهل حقًا أن يجتمع مئة ألف إنسان في فراغ شاسع!! ويخطب فيهم الرسول ﷺ وجميعهم يسمع صوته! لا أعتقد أنه من الممكن قبل ظهور المكبرات الصوتية أن يستطيع أي إنسان مهما بلغ قوة صوته أن يتحدث لعشرة آلاف إنسان فضلاً عن مئة ألف.

قد يبدو ذلك مجرد مبالغات وقصص شعبية عندما نسمع مثل هذه القصة، وقد يبدو هذا في عالم المستحيلات إذ أن عقول الكثير من الناس لا تستوعب مثل هكذا حالات.

رجع الرسول ﷺ من حجة الوداع وقبل أن يفترق الناس ليرجع كل إنسان لبلده، يقف الرسول ﷺ على مرتفع ويمسك بيد

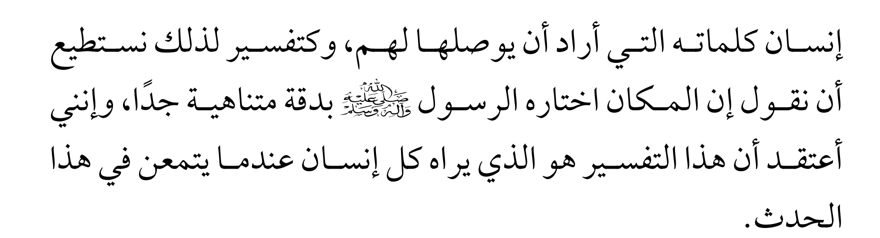
علي ويرفعها وينادي بأعلى صوته من كنت مولاه فعلي مولاه!

رغم أننا لم نعش الحادثة ولم نحضرها، لكن هل بالفعل سمع الناس بأكملهم كلام الرسول ﷺ؟ يمكننا أن نقول بثقة نعم، الناس بأكملهم سمعوا كلام الرسول ﷺ! إذ لا يعقل أن يجتمع بهم الرسول ﷺ ويخاطبهم وهم لم يسمعوا كلامه! صحيح من الممكن أن نتوقع أن البعض سمع كلام الرسول ﷺ ونقله للبعض الآخر، وصحيح أيضًا أن الناس قادرة على تبديل مراكزهم فالمتقدم يتأخر والمتأخر يتقدم، ومع هذه الاحتمالات التي تحتل إمكانية ليست بتلك القوة التي نستطيع أن نعوّل عليها تمامًا فهي احتمالات يشوبها نوعٌ من القلق حول كلمات أراد الرسول ﷺ أن يوصلها للكل.

قد توجد نظرية صحيحة حول هذه المشكلة، وهي المكان الذي اختاره الرسول ﷺ ليقول للناس كلماته المهمة، صحيح أن المكبرات الصوتية لم تكن موجودة، لكن في الوقت ذاته اعتمد الكثير من الأذكياء تصميم المدرجات والأماكن ذات الاجتماع الكثيف بهندسة تسمح بتكبير وتضخيم الصوت وتكرار الصوت أيضًا.

إنني أتذكر عندما ذهبت لزيارة (تدمر) وقفت مع المرشد السياحي على منطقة كان الخطيب يقف فيها وجميع من في المدرج يسمعون كلامه، وقد جربت هذه المنطقة بنفسي، وبالطبع هذه المنطقة تعتمد على الأبعاد الهندسية وعلى أمور أخرى.

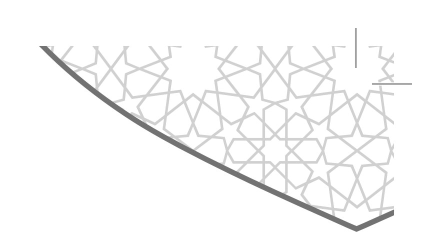
لقد اختار الرسول ﷺ المكان المناسب ليقول لمئة ألف



إنسان كلماته التي أراد أن يوصلها لهم، وكتفسير لذلك نستطيع أن نقول إن المكان اختاره الرسول ﷺ بدقة متناهية جدًا، وإنني أعتقد أن هذا التفسير هو الذي يراه كل إنسان عندما يتمعن في هذا الحدث.

بالفعل كانت حياة الرسول ﷺ مليئة بالأحداث الشائقة والعجيبة، وإن أحد الأسباب التي جعلتني أكتب هذا البحث هو الانبهار الدائم من كلمات الرسول ﷺ التي تجعلنا نشعر بمزيد من الجمال ونحن ننظر لها في هذا القرن.

وهذه المسائل قد أثارت اهتمام الكثير من مسلمين وغير مسلمين، لأنهم شعروا بجمال باهر وهم يدرسون هذه المسائل، وهذا قد أوحى للكثير بصدق رسالته.



الشريان الأبهري

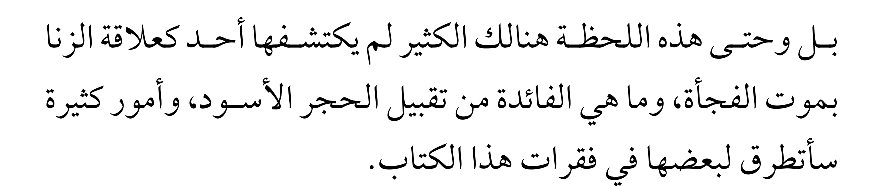
«يَـا أُمَّ بِشْـرٍ، إِنَّ هَـذَا الأَوَانَ وَجَدْتُ فِيـهِ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ الأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ أَخِيكَ بِخَيْبَرَ».

الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

إن النقطة الجوهرية في حديث الأبهر تقودنا إلى انطباع مدهش وربمـا لم يكن غريبًـا لأول وهلة يتكلم بها الرسـول ﷺ، لكن بعد مـرور أكثر من ألف سـنة أعتقد أن هـذه الكلمة تعتبر مـن المعجزات العلمية للرسول ﷺ، إذ تكلم حول الشريان الأبهري في فترة كانت العقول البشـرية ليسـت على تلك المعرفة الدقيقـة بأمور الطب الذي توصلنا لها في هذا القرن.

ليسـت هذه أول مرة يتكلم فيها الرسـول ﷺ عن أمور طبية، وللأسـف لم يكتشـف أحد في تلـك الفترة الكلمـات العلمية الدقيقة

بـل وحتـى هذه اللحظـة هنالك الكثير لـم يكتشـفها أحـد كعلاقة الزنا بموت الفجأة، وما هي الفائدة من تقبيل الحجر الأسـود، وأمور كثيرة سأتطرق لبعضها في فقرات هذا الكتاب.



إن لهـذه المسـائل أهميـة تفوق الجانب العسـكري الـذي قاده الرسـول ﷺ ضد المشـركين، فهـذه الكلمات تنم عـن عقلية فوق عقليـة البشـر، عقلية اعجازية اسـتطاعت أن تأتي بكلمـات لـم نفهمها إلا فـي القـرن الواحد والعشـرين بفضـل تقدم العلـم، وهنالك بعض الكلمات سـنتركها للأجيال القادمة من بعدنا فلربما يكون لهم نصيب في ذلك.

إن المعجزة في اعتقادي ليست الأفعال الخارقة للعادة فحسب، بل يكون منها الإخبار عن أمور تأتي قبل أوانها، وهذه الأمور بلا شك يقف العقل البشري باستسلام أمامها.

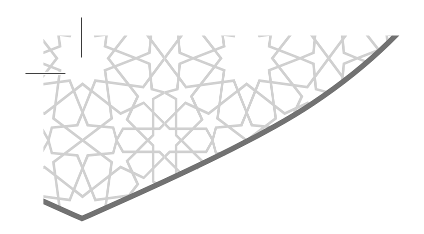
ليس ما أقول مجرد تعاطف يميل إليه كل متدين، وقد أشـار لي الكثير بهذه النقطة، وهذا ما يسبب بعض الكسل لي في كتابة أية مقالة، فقـد أضطر في أكثر الأحيـان إلى هجران الكتابة، لكن بالفعل اصطدم بكلمات ليسـت بكلمات عادية، إن هذه الكلمات يقشعر لها جسدي، وهذا ما يشـجعني أن أبحـث في هذه الكلمات وهـذا البحث يعلمني أشياء جديدة لم أكن أعرفها سلفًا.

علـيَّ أن أعتـرف أن اجتهاداتـي قـد تكـون خاطئـة وهنـاك من ينظـر لهـا بزاوية مختلفـة عن الزاويـة التي أنظـر لها أنا، وفـي الوقت

ذاته أشعر برضا تام عن الذات إذ أن الكثير من هذه الشروح ستفتح باب المناقشات أمام الكثير حول هذه الكلمات التي وضعتها في هذا البحث.

إن من الإنصاف أن نقف باستسلام أمام هذه الكلمات التي نطق بها الرسول ﷺ حول الشريان الأبهري الذي يخرج من القلب ويوزع الدم للجسم، وهذا الشريان عندما ينقطع يسبب الوفاة، ونقف متعجبين أيضًا أن السموم قادرة على قطع هذا الشريان!! وأنا أظن أن الرسول ﷺ علم بدخول السم في جسده، وأنه ترسب في الشريان وهذا بدوره تسبب في قطعه.

صحيح حتى هذه اللحظة لا نعرف نوع السم الذي تناوله الرسول ﷺ لكن من خلال الأعراض التي صاحبت الرسول ﷺ أواخر حياته من ارتفاع في درجة الحرارة والغشيان لدرجة أن الفضل بن العباس وعليًا يحملانه! نعم من المحتمل أن يكون الرسول ﷺ تناول الزرنيخ أو الزئبق أو القصدير فهذه مواد ثقيلة تسبب نفس الأعراض التي اشتكى منها الرسول ﷺ.



لعاب الكلب.. وتطهيره بالتراب

«طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاَهُنَّ بِالتُّرَابِ».

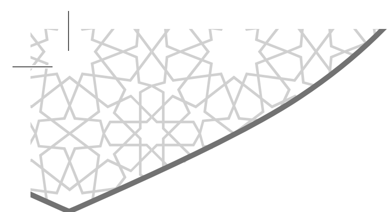
الرسول ﷺ/ صحيح مسلم

هذه القضية لا تقل أهمية عمّا سواها ولم تكن نتيجتها مفاجئة حقًا لإنسان عرف صدق رسالة الرسول ﷺ. فقد تبين للكثير من الباحثين في العصور الحديثة أن لعاب الكلب يحتوي بكتريا وفيروسات وأمراض خطيرة لا يقتلها إلا التراب!

إن من العجب الذي حيّر الكثير من الباحثين هو التوصل لتطهير لعاب الكلب بالتراب، في زمن لم تكن الأجهزة الطبية ولا المجاهر التي من خلالها نستطيع أن نرى أصغر الأشياء التي لا نراها بالعين المجردة.

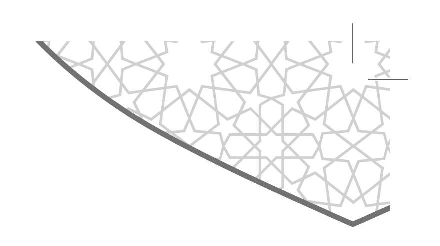
لقد ثبت عندنا بالبرهان التجريبي أن كلمات الرسول ﷺ ذات مصداقية واقعية وذات سحر رائع، إذا ما أردنا تثقيف أنفسنا في التمعن في هذه الكلمات التي بلا شك تعطينا نوعًا من الجمال، الذي من المستحيل أن نراه في تلك الفترة في منطقة ما غير تلك المدينة التي نشأ فيها.

إن العلميين أنفسهم يعيشون في العالم الواقعي، ويستجيبون لدروسه وتجاربه ويقضون عشرات الأعوام بل ومئات الأعوام للتوصل إلى حقيقة علمية بخصوص حالة معينة كمرض معين، ولطالما قرأت عن الكثير من العلماء قضوا حياتهم بين المختبرات للتوصل إلى اكتشاف نقطة معينة وماتوا وهم ما زالوا يبحثون! وهذا أمر طبيعي يحصل في جميع فروع العلم، وأتذكر أنني حكيت في أحد كتبي أنه بعد الحرب العالمية الأولى تعهد الفلكيون باختبار انحناء أشعة الضوء القادمة من النجوم بفعل الشمس، للتحقق من النسبية العامة وذلك في كسوف ١٩١٩م، إن فوتونات الضوء تتعرض للانحناء إذا مرت بالشمس بفعل الجاذبية، وهذا أشبه بمرور مذنب عندما يدخل المنظومة الشمسية فإنه سيتعرض للانحناء بسبب تأثير جاذبية الشمس على المذنب، ومما لا شك فيه أن انحناء الضوء سيكون أقل بكثير من انحناء المذنب، والسبب يعود لسرعة الضوء الكبيرة. كان الفلكيون ينتظرون بفارغ من الصبر عام ١٩١٩م، ليتمكنوا من رؤية كسوف الشمس الكلي الذي سيقودهم إلى التحقق من انحناء أشعة النجوم بسبب تعرضها لجاذبية الشمس، بطبيعة الحال سيكون من الاستحالة رؤية أشعة النجوم إذا لم تكن الشمس في حالة كسوف، وذلك أن



ضوء الشـمس وقتها محجـوبٌ بالقمر، بالفعل لقد اكتشـفوا ما كانت النسبية تتنبأ به.

هكذا يسـير في كثير من فروع العلوم، مـن العلوم النظرية ومن ثم العلوم التجريبية التي تسـتهلك الوقت الكثير للوصول إلى النتيجة المطلوبـة، ولطالمـا ذكرت في كتبي كلمة أديسـون الـذي توصل إلى اختـراع المصبـاح الكهربائي، يقول فيها: «أجريت ألف تجربة فاشـلة قبل الحصول على مصباح حقيقي»، وبالطبع فإن الكثير من التجارب اسـتغرقت عشـرات السـنين وأنفقت الأموال الباهظة فيهـا، ولا يزال العلماء حتى هذه اللحظة يواصلون مشـوار بحثهم! إن الرسول ﷺ لم يجرِ تجربة واحدة ولا أحد يستطيع أن يجريها في تلك الفترة لعدم وجود الأدوات التي تساعد على إجراء التجربة، نعم لم تكن المجاهر والأدوات المخبريـة موجـودة!! ليقول لنا الباحثـون إن التراب يُطهر لعاب الكلب! أليس هذا كافٍ لصدق رسالته؟!



علاقة الصوم بالغريزة الجنسية

«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ اَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَاَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

الرسول ﷺ/ صحيح مسلم

إننا اليوم نواجه أخطر الأسلحة على وجه الأرض، فالأسلحة البيولوجية والأسلحة النووية لا تعطي دائمًا النتائج المطلوبة، لهذا كان لا بد من تفعيل أسلحة تفوق جميع أنواع الأسلحة التي استخدمت في الماضي وبالفعل نجح الغرب في استخدام الأسلحة الجنسية للقضاء على شباب العرب، فمن الأفلام المدبلجة إلى ملكات الجمال إلى الراقصات والمغنيات إلى حانات الدعارة تنتشر في بلادنا العربية التي فتكت بالشباب، لقد نجح الغزو الفكري نجاحًا باهرًا في استخدام

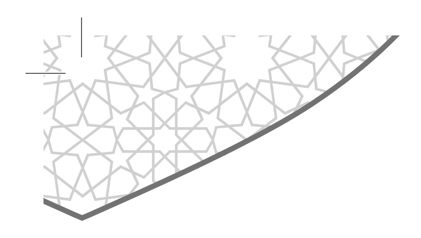


الأسلحة الجنسية للقضاء على الشباب، بالفعل نجح الغزو الفكري في ذلك والمعركة لم تنتهِ حتى هذه اللحظة فلا يزال هناك الكثير مما ينتظرنا. أنا لا أريد أن أترك لديك انطباعًا سيئًا حول حجم المأساة التي نعانيها في هذا الخصوص، إن ما يهمني هنا هي تلك الوسيلة التي قد تكون الوحيدة آنذاك لاجتناب وكبح الغريزة الجنسية وهذه الوسيلة وضعها الرسول ﷺ في كلمات قصيرة حيث قال لنا: من لم يستطع الزواج فليصم. لقد أثبتت الأبحاث والتجارب أن الصوم له القدرة على تهدئة ثورة الغريزة الجنسية وبذلك يجعل الإنسان في حالة سوية، من خلال الاتزان في الحالة النفسية والجسمية، التي قد تلعب فيها الغريزة الجنسية انحرافًا كبيرًا، إن الصوم يلعب دورًا كبيرًا في تهبيط الشهوة وهذا ما نستطيع أن نفهمه من عبارة: «فإنه له وجاء»، وبالاعتماد على وجهة النظر هذه التي من خلالها نفهم الوجاء أنه رض خصيتي الفحل رضًا شديدًا يذهب هذه الشهوة، فالصوم له الدور الأكبر في تهبيط الهرمونات التي تنتج في الخصيتين والتي تساهم في تحريك الرغبة الجنسية، لقد أثبتت الأبحاث أن الإكثار من الصوم يهبط مستوى هرمون الذكورة، ومن هذا نستنتج أن الصوم يساعد في كبح الرغبة الجنسية. إن من سوء الحظ أن العلاج الذي وضعه الرسول ﷺ لا نعمل به وهو أفضل علاج، وخاصة في هذا الزمن الذي أصبحت تكاليف الزواج فيه أشبه ما تكون برحلة فضائية، إن الكثير من الذين أجلس معهم والذين تقع متوسط رواتبهم في العشرة آلاف يتشكون من مسألة الزواج، ولا أدري حقيقة أولئك الذين تقل رواتبهم عن هذا المستوى كيف استطاعوا أن يجابهوا الحياة؟! إن

البرهان على صعوبة الزواج في هذا القرن لا يبدو لي شيئًا صعبًا عندما أريد أن أثبت ذلك، لكن لسوء ابتعاد الناس عن مدرسة الرسول ﷺ خلق لهم الكثير من هذه المشاكل، ومن أعظم هذه المشاكل تناسب الزنا اطراديا مع الزمن! ألم يزوّج الرسول ﷺ بلال العبد الحبشي الأسود من أخت عبد الرحمن بن عوف، وهي من أثرى عوائل مكة؟! وكم سيكون غريبًا ومزعجًا عندما نرى الكثير تنظر لمفهوم الكفاءة مستخدمة الدين في مصالحهم الشخصية، فالدين لعق على ألسنة الناس. إنني أرى أن خير ما آمله هو الابتعاد عن التنظير والكلمات التي نسمعها بين التارة والأخرى، وهي لا تعدو عن مبادئ بسيطة ذات جمال جذاب ينخدع بها المستمع، إن تاريخ الحياة علمنا أن ننفذ ببصيرتنا إلى أعماق الأمور سوف نرى هناك المزيد من الجمال والقوة الإيمانية المتماسكة، وهذا هو ما سيزيد من قوة إيماننا فـ«العلم الناقص أضر من الجهل الكامل»، يجب علينا أن نبدأ الحياة العملية بدلا من التنظيرات والندوات والكلمات الأنيقة التي ضررها أكثر من نفعها.

وفي الخاتمة جاء في مسند أحمد: «قَالَ جَاءَ شَابٌّ اِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: اَتَأْذَنُ لِي فِي الْخِصَاءِ؟ فَقَالَ ﷺ: (صُمْ وَسَلْ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ)»[1].

(١) مسند أحمد ٣/ ١٥٠



الزنا وموت الفجأة

«إذا ظهر الزنا ظهر موت الفجأة».

الرسول ﷺ/ السنن الواردة

إننـا مع الأسـف حتى هـذه اللحظة لـم نبصر العلاقة بيـن الزنا وموت الفجأة، لكن ورغم ذلك فقد أثبتت هذه العبارة صحتها بالبرهان التجريبي والعملي. لقد ظلت مسألة موت الفجأة التي ازدادت اطرادًا في هذا القرن مسـألة مهمة تناقش على مدى هذه السـنوات، للتوصل إلى نتيجة مرضية حول هذا المرض الذي لم يكن معروفًا في العصور القديمـة. هل موت الفجأة يكثر في نفس الفترة التي ينتشـر فيها الزنا؟ أم أن الزنا يسبب موت الفجأة؟!

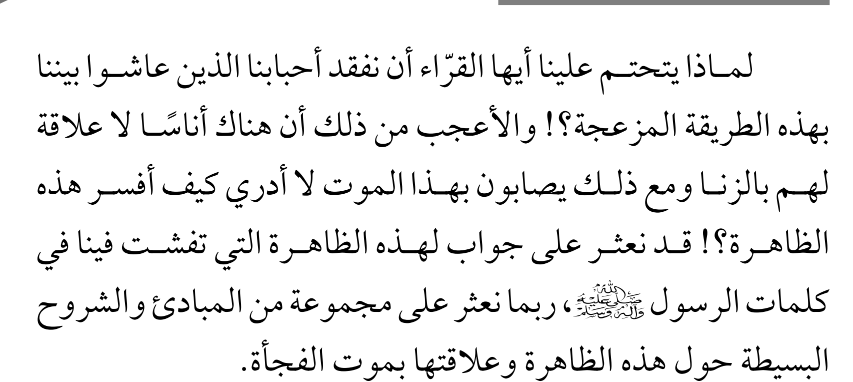
لقد اكتشفنا فعلاً أن موت الفجأة يتناسب اطرادًا مع الزنا! لكننا إذا كنا محظوظين بما فيه الكفاية سنعرف إذا كان الزنا له علاقة بموت الفجأة أو لا؟! فمن خلال خبرتنا البسيطة نعرف أن الزنا يسبب الكثير

مـن الأمراض الجسـدية والأوبئة الخطيرة جدًا، فضـلاً عن الأمراض النفسية التي قد تكون لها صلة مباشرة بموت الفجأة، وخاصة أن الذين يمارسـون الزنا لا يشعرون برضا عن الذات وهذا هو ما قد يخلق لهم مشـاكلَ نفسـيةً كثيرةً فضلاً عـن الخوف الذي يلاحقهـم أثناء العملية الجنسية وبعدها.

فكمـا أن الزنا يـورث الفقر ويجعل صاحبه فـي حالة من ضياع الأموال، فهو نفسه يسبب الأمراض الجسدية والنفسية وهذه الأمراض في اعتقادي لها علاقة مباشرة بموت الفجأة.

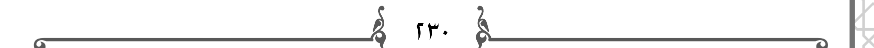
أعتـرف أنني أجد هـذا الموضـوع بالغ الصعوبـة وليس عندي خبـرة خاصـة وكافية بـه أو بأمثالـه، لكننـي أعتقد أنه مـن الواضح أن هناك ما يسـميه الفلاسـفة الوجدان أو ما يسميه نقاد الأدب الإحساس الموضوعـي بالوعـي، وهنـا تبرز نقطة مهمـة حول الإعجـاز العلمي لكلمـة الرسـول ﷺ الدقيقة، فالرسـول ﷺ قد تنبـأ بكثرة موت الفجـأة فـي فترة لـم يكن أحد يسـمع بهذا الاسـم، إلا أن تجاربنا دلت علـى أرقام مذهلة حول موت الفجأة ويكفيكم أن تقرؤوا في الشـبكة سـتبهرون من كثرة هـذه الأرقام وهـي كافية لصدق كلمات الرسـول ﷺ.

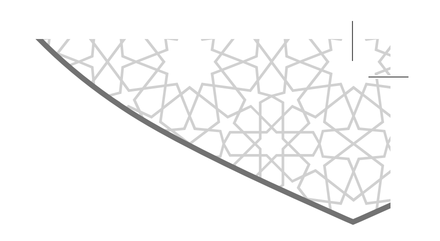
لقـد قمـت بالكتابـة فـي محـرك البحـث جوجل كلمـة (موت الفجـأة) فظهر لي في البحث أكثر من نصف مليون موقع تتحدث عن مـوت الفجـأة، لقد أطلعـت على بعض هـذه المواقع فوجـدت أرقام مخيفة جدًا حول هذا الموت الذي لا نعرف سببه الحقيقي.



لمـاذا يتحتـم علينا أيها القرّاء أن نفقد أحبابنا الذين عاشـوا بيننا بهذه الطريقة المزعجة؟! والأعجب من ذلك أن هناك أناسًـا لا علاقة لهـم بالزنـا ومع ذلـك يصابون بهـذا الموت لا أدري كيف أفسـر هذه الظاهـرة؟! قـد نعثر على جواب لهـذه الظاهـرة التي تفشـت فينا في كلمات الرسول ﷺ، ربما نعثر على مجموعة من المبادئ والشروح البسيطة حول هذه الظاهرة وعلاقتها بموت الفجأة.

إلا أنه يجب علينا كمسـلمين أن نبتعد عن الزنا، لا لأنه يسـبب مـوت الفجـأة، لكـن لأن اللـه ورسـوله نهانا عـن ذلـك، وبالطبع من يخالـف كلام اللـه والرسـول ﷺ ويعاندهما سـيكبه الله على وجه في النار.





الرسول ﷺ يخاطب قتلى بدر

«يَا أَهْـلَ الْقَلِيـبِ، يَا عُتْبَةُ بْـنَ رَبِيعَةَ، وَيَا شَـيْبَةُ بْـنَ رَبِيعَةَ، وَيَا أُمَيَّةُ بْـنَ خَلَفٍ، وَيَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَـام، فَعَدَّدَ مَـنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلِيـبِ: هَـلْ وَجَدْتُمْ مَـا وَعَدَ رَبُّكُـمْ حَقًّا، فَإِنِّي قَدْ وَجَـدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا؟ فَقَالَ الْمُسْـلِمُونَ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي».

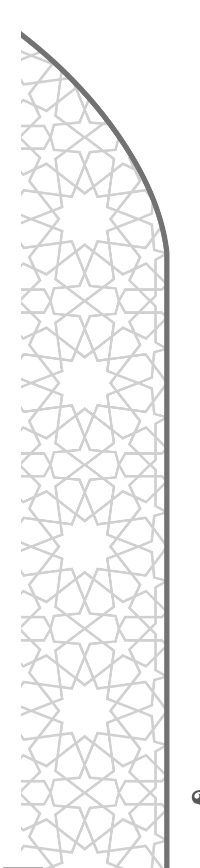
الرسول ﷺ/ السيرة النبوية

إن الحلـم الحديـث بالوصول إلـى طريقة نسـتطيع من خلالها التحـدث مـع الأموات -هـذا ما يراود علمـاء هذا القـرن- ولا أدري إذا كان هذا الحلم سـيتحقق بالفعل أو لا؟ ليس الأموات وحسـب بل

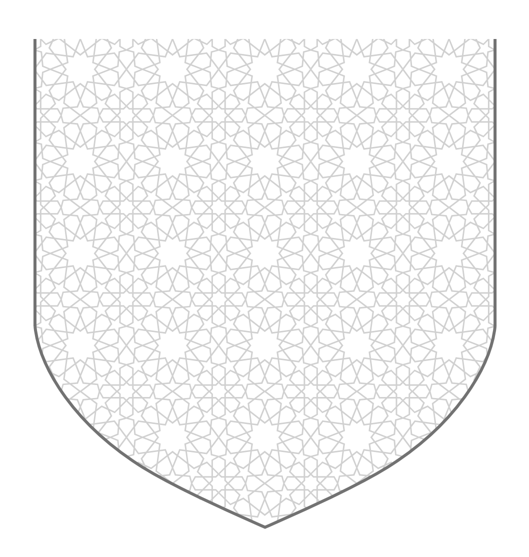
ربما يكون هناك مخلوقات تعيش في أرضنا دون أن نراهم أو حتى نسمع كلامهم، ولا أدري إذا كانوا هم بالفعل لا يرونا ولا يسمعون كلامنا؟ وعلى الرغم من ضعف البرهان التجريبي حول سماع الأموات، أو وجود كائنات تعيش بيننا، إلا أن هذه المسألة أخذت مكانة كبيرة بين الباحثين وأوجدوا عدة طرق يحاولون من خلالها الاتصال بعالم الأموات، لكن مع كل الأسف جميع هذه الطرق لم تعطِ النتائج المطلوبة. وقد جرب الكثير من المهتمين بمسألة تحضير الأرواح على الأقل مثل هذه الأمور لكن النقطة الأساسية في هذه التجربة أيضًا كانت ضبابية ولم تكن واضحة. وإنني أميل إلى التمسك ببعض النظريات التي تكون عندنا أدلة على صحتها ويمكن تجربتها في معاملنا وهذا أفضل من اللجوء إلى نظريات قد لا توجد عندنا أدلة على صحتها، وهذا هو منهجي في جميع الكتب والأبحاث التي كتبتها، فلماذا نتمسك بمعتقدات لا توجد عندنا أدلة عليها؟ لماذا لا نقصر اعتقادنا على تلك التي يوجد لدينا أدلة عليها بالفعل؟ إن هذا الانطباع هو الذي أعمل به وأفكر فيه، لكن الأهم من هذا الانطباع هي مقولة رسولنا الأعظم ﷺ التي يخاطب بها أهل بدر؟؟!! ولا أظن أن أحدًا تجرأ أن يخاطب الأموات قبل الرسول ﷺ؟؟ ومن خلال خبرتنا التاريخية نجد أن الرسول ﷺ لا يفعل الأشياء غير الواقعية، فمن المستحيل أن يخاطب أناسًا لا يسمعون كلامه؟!

من يموت قد مات جسده فقط، أما روحه فلا تزال موجودة دون أن نعلم أين هي، لا عجب إذا كان الميت يسمع كلامنا، ولا عجب أيضًا إذا كان يرانا، لا ندري كيف؟ لأنه من الصعوبة علينا

كبشـر أن نستطيع فهم ذلك العالم الذي يعيشه الميت، إن أقرب تشبيه أسـتطيع أن أشـبه بـه الميت هو النائـم، إن النائم ينام ويـرى في المنام أحداثًـا وحروبًا ومن بجنبه لا يبصر ما يراه النائم ولا يشـعر به إطلاقًا، إن عالـم الأحلام هو أقوى الأدلة الموجودة بيننـا والعملية أيضًا على استمرار الحياة بعد الموت.







القسم الخامس

حقائق علمية نطق بها القرآن

يتنـاول هـذا القسـم ثـمان حقائق علمية نطـق بها القرآن الكريـم (المعجزة الحية للرسول الأعظم ﷺ)



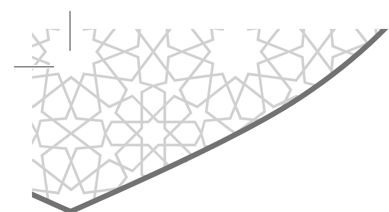


مواقع النجوم

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾.

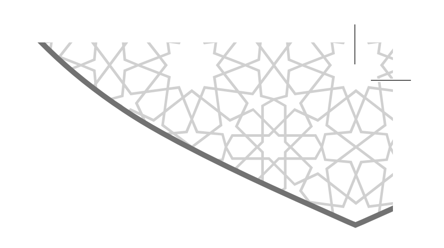
[الواقعة:٧٥]

عندما أرجع بذاكرتي إلى أيام الصغر، كنت أنظر للسماء كثيرًا وأتأمل النجوم وأقول: ما أصغرك أيتها النجوم، لقد كنت أجهل في تلك اللحظة أن الذي أراه ليس النجوم! لم أكن أعلم بهذه الحقيقة إلا في المرحلة الثانوية. هذه النجوم الحارقة جدًا التي نشاهدها في هذه السماء ما هي إلا جزء صغير من نجوم مجرتنا، ولا يزال هناك المليارات من النجوم لا نستطيع مشاهدتها، إن أقرب النجوم إلينا بعد الشمس يبعد عنا أكثر من أربع سنوات ضوئية، إذ سوف نحتاج لثمان سنوات على الأقل لمركبة تسير بسرعة الضوء لنقوم برحلة ذهابًا وإيابًا لهذا النجم الذي يسمى (ألفا قنطورس)، هناك نجوم بالطبع تبعد عنا أكثر من هذه المدة بكثير وبملايين من السنوات الضوئية. لقد عرفت



الآن أنني كنت أشاهد نجومًا مضى عليها الكثير من السنوات، فنجم (ألفا قنطورس) سوف يصل لنا الضوء الذي يبعثه لنا بعد أربع سنوات، وهناك من سيصل لنا ضوءه بعد ألف سنة ومليار سنة، لقد عرفت الآن أننا نشاهد صورًا لنجوم ربما تكون قد انقرضت. إضافة إلى أن الضوء الذي يأتينا من بعيد لا يسير في خطوط مستقيمة، لقد نجحت النظرية النسبية العامة في نبوءتها بحيود مسار الضوء عندما يمر بالقرب من الأجسام كبيرة الكتلة كالشمس، فالضوء القادم من النجوم عندما يمر بالقرب من الشمس فإنه سينحرف! على صعيد الواقع التجريبي العملي أجريت هذه التجربة في كسوف كلي للشمس عام ١٩١٩م، لقد أثبتت النظرية صحتها أن الضوء ينحرف عندما يمر بالشمس.



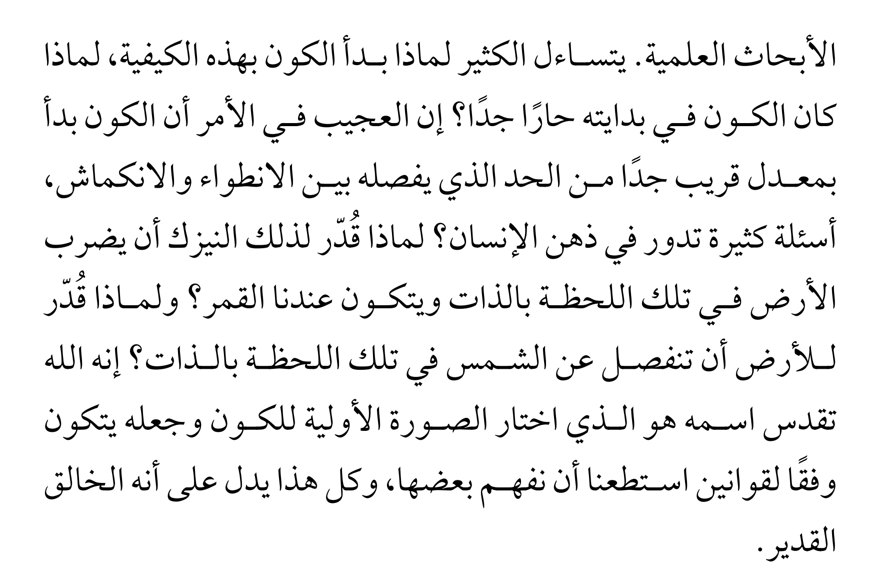


الانفجار الكبير

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

[الأنبياء:٣٠]

إن البحث عن ولادة الكون لم ينشأ إلا في القرن المنصرم، كان الناس يعيشون في هذا الكون دون أن يسألوا أنفسهم كيف ولد الكون؟ لم يكن يعلم الناس أن الكون بأكمله كان محشورًا في بيضة صغيرة جدًا كانت ذات كثافة عالية وحارة جدًا، وهذه البيضة نشأ منها هذا الكون! صحيح قبل أكثر من ثلاثة عشر مليار سنة لم يكن أحدٌ موجودًا ليشاهد هذه البيضة، إلا أن هذه النظرية تتوافق مع توسع الكون الذي اكتشف في القرن المنصرم. نظرية الانفجار الكبير أخذت شعبيتها في الأوساط العلمية وانتشرت بسرعة كبيرة، لما يميزها من توافق مع



الأبحاث العلمية. يتساءل الكثير لماذا بدأ الكون بهذه الكيفية، لماذا كان الكون في بدايته حارًا جدًا؟ إن العجيب في الأمر أن الكون بدأ بمعدل قريب جدًا من الحد الذي يفصله بين الانطواء والانكماش، أسئلة كثيرة تدور في ذهن الإنسان؟ لماذا قُدّر لذلك النيزك أن يضرب الأرض في تلك اللحظة بالذات ويتكون عندنا القمر؟ ولماذا قُدّر للأرض أن تنفصل عن الشمس في تلك اللحظة بالذات؟ إنه الله تقدس اسمه هو الذي اختار الصورة الأولية للكون وجعله يتكون وفقًا لقوانين استطعنا أن نفهم بعضها، وكل هذا يدل على أنه الخالق القدير.

تكلمنا في كتابنا (صالة الولائم) عن نظرية الانفجار بالتفصيل وقلنا حول ذلك: «توجد عندنا الآن نظرية تتوافق مع العقل وهي نظرية الانفجار العظيم، تفترض هذه النظرية أن أجزاء الكون بأكملها كانت منحسرة في كثافة لا متناهية ودرجة لا متناهية أيضًا وتحدب الزمكان لا نهائيين.

قبل نظرية الانفجار كان معظم الناس يعتقدون أن الكون أزلي بمعنى أنه متواجد في اللانهائي من الزمن، بتبسيط أكثر لا توجد له بداية، بمعنى أنه ليس مخلوقًا.

إن هذه الفكرة هي الفكرة المادية، وقد لاقت قبولاً جيدًا من قبل المثقفين؛ ذلك نتيجة إعجاب الناس بالفلسفة المادية.

لقد لاقت الفلسفة المادية بعض مؤيديها من أمثال (كانت)

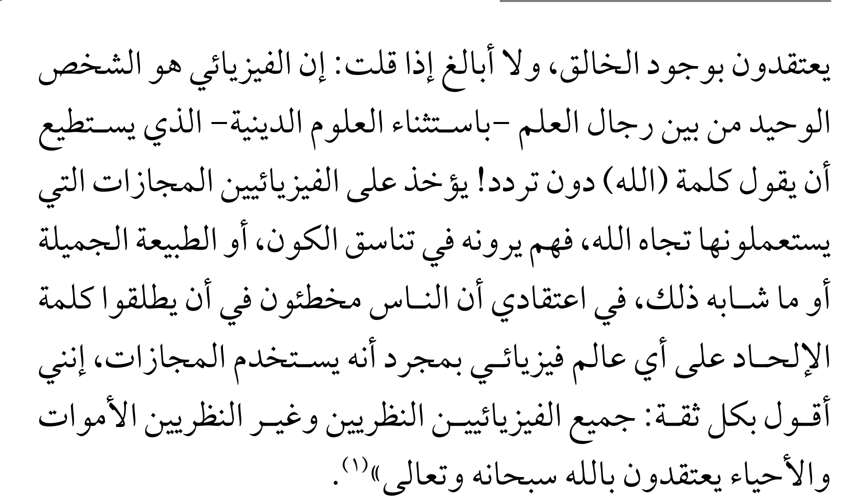
الـذي عبـر بصراحـة علـى أن الكـون موجود فـي كل الأزمـان! وكل احتمالية ينظر إليها ممكنة!!

بداية القرن التاسـع عشـر انتشـرت الفلسـفة الماديـة وصارت مقبولـة بشـكل أكبر من ذي قبـل في البـلاد الأوروبية، وصـار الناس يعتقـدون أن الكـون موجود فـي اللانهائي من الزمن، قد أوجد نفسـه بنفسه، وانتقلت هذه الأفكار إلى القرن العشرين، من خلال الدعايات التي قام بها مؤيدو المادية من أمثال (ماركس) و(فريدريك).

كان الهدف الذي يسـعى إليه الماديون هو غرس غريزة الإلحاد في نفوس البشـر، لكن بطريقة مقننة وأنيقة! قد تكلمنا في كتابنا الأمير بشكل مفصل حول الفلسفة المادية ونقلنا مقولة (جورج بوليتزر) في كتابه المبادئ الأساسـية في الفلسـفة: «الكون ليس شيئًا مخلوقًا، فإذا كان كذلك فهذا يقتضي أنه خلق في لحظة ما من قبل إله، وبالتالي ظهر إلى الوجود من لا شـيء، ولقبول الخلق يجب على الإنسـان أن يقبل في المقام الأول أنه كانت توجد لحظة لم يكن فيها الكون موجودًا، ثم انبثق شيء من العدم، وهذا أمر لا يمكن للعلم أن يقبل به».

اعتقـد جـورج أن العلـم يقف بجانبـه، وما هي إلا فترة بسـيطة والفيزياء قد وضعت الأسـس الكونية للكون، وظهرت عندنا الحقيقة وهـي أن للكـون بداية، مما جعـل من جورج يغير رأيـه وقال: إذا كان الأمر كذلك فيجب أن نعتقد بفكرة الخالق!

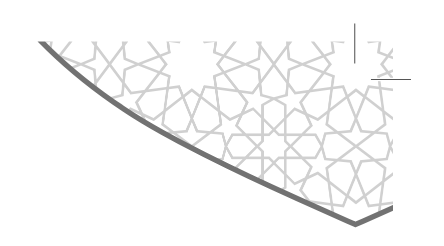
لقد محت الفيزياء خزعبلات الماديين، فعلماء الفيزياء بأكملهم



يعتقدون بوجود الخالق، ولا أبالغ إذا قلت: إن الفيزيائي هو الشخص الوحيد من بين رجال العلم -باستثناء العلوم الدينية- الذي يستطيع أن يقول كلمة (الله) دون تردد! يؤخذ على الفيزيائيين المجازات التي يستعملونها تجاه الله، فهم يرونه في تناسق الكون، أو الطبيعة الجميلة أو ما شابه ذلك، في اعتقادي أن الناس مخطئون في أن يطلقوا كلمة الإلحاد على أي عالم فيزيائي بمجرد أنه يستخدم المجازات، إنني أقول بكل ثقة: جميع الفيزيائيين النظريين وغير النظريين الأموات والأحياء يعتقدون بالله سبحانه وتعالى»[1].

---

(١) صالة الولائم/ ٤٤.

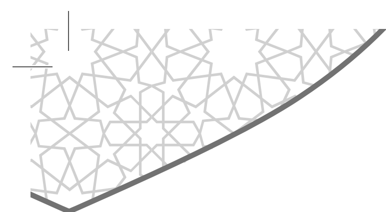


انطفاء النجوم

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾.

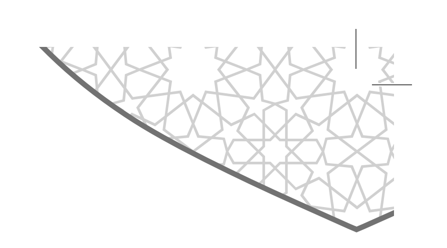
[المرسلات:٨]

النجوم مظهر جميل يزيّن السماء، ومن ينظر لها يرى الشموخ في هذه النجوم، لقد كانت الحضارات قديمًا تعتقد بأزلية الشمس والنجوم، وللأسف بعض الحضارات اتخذتها آلهة تُعبد لكن هذه الشمس وهذه النجوم أصبحنا ننظر لها نحن أبناء القرن الواحد والعشرين على أنها كتلة غازية متماسكة بفعل الجاذبية ومحمية من التقلص بفعل الضغط الناشئ من الحرارة المنبعثة من التفاعلات النووية داخل النجم! ها هي النجوم كرة غازية فقط! هذه الكرة تولد وتكبر وتهرم وتموت! فهي ليست أحسن حظًا من الإنسان! فكما أن الإنسان يولد طفلاً ويكبر ويشيب ويموت، وهكذا هي دورة كل المخلوقات في هذا الكون، والكون بنفسه سوف يموت أيضًا!



شمسـنا هـذه ولدت منذ ما يقرب من خمسـة مليارات سـنة! شمسـنا تعطينـا طاقة ناتجة عن التفاعـلات الهيدروجينية تقـدّر بأربعة ملايين طـن فـي الثانيـة، إلا أن ذلك لن يسـتمر ففي غضون خمسـة مليارات سـنة سيكون وقودها النووي قد استنفذ، ستنتفخ الشمس لتتحول إلى مـا يدعى العملاق الأحمر وسـوف تبلـع الأرض والكواكـب القريبة منها، ليسـت شمسـنا التي سـينفذ وقودها بل جميع نجـوم الكون في غضون عشرة مليارات سنة ستفقد هذا الوقود، نعم سوف تُطمس هذه النجـوم ويذهب ضوءها. جميع نجوم الكون سـوف تُطمس ويذهب هذا الضوء الذي تشـع به، نعم هذه حقيقة علمية قرآنية نطق بها القرن الكريم منذ أكثر من ألف سنة!



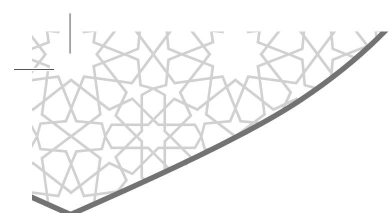


أهل الكهف

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾.

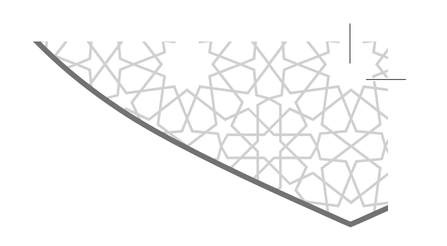
[الكهف:١٨]

كان الفراعنة يتفننون بتحنيط الجثث، نعم! آلاف السنوات وحضارة الفراعنة لا زالت تبهرنا بخصوص هذا التحنيط الذي لا زلنا نجهله، إلا أن ما يدهش أكثر ليس التحنيط الذي تفنن فيه الفراعنة، بل قصة أصحاب أهل الكهف، ثلاث مئة سنة بقوا في كهفهم محفوظين وهم أحياء، إننا في هذا الزمن الذي تقدمت فيه العلوم الطبية نعجز عن هذا الحفظ لهذه المدة رغم وسائل الحفظ والتبريد الموجودة لدينا. أحب أن أتصور أن أهل الكهف كانوا نائمين في غرفة تبريد وهي الكهف، وقد ضرب الله على آذانهم وتعطلت هذه الأذن وانقطع سمعهم فهم بذلك لا يسمعون الأصوات الخارجية التي قد



توقظهم، نعم حاسة السمع تعطلت، ومن المعلوم أن حاسة السمع تكون نشطة أثناء النوم، لهذا إذا أراد الإنسان أن يوقظ النائم فيعمد إلى إحداث أصوات توقظه كساعة المنبه على سبيل المثال. كذلك تقليب أهل الكهف لا أدري لماذا؟! هل للتخلص من حرارة الأرض للقسم المتأثر بحرارة الأرض كي لا تفسد عملية التجميد، أو لكي تبقى الأجساد على حالتها ولا تتعرض للتقرحات أو حتى الجلطات في الأوعية الدموية! أمور علمية كثيرة ودقيقة في قصة أصحاب الكهف أنصح بالبحث حولها! إنها معجزة علمية بالفعل تجميد فتية لأكثر من ثلاث مئة سنة؟! وبعد عملية التجميد والحفظ يخرجون من كهفهم؟!! وكأنهم لم يناموا إلا ليلتهم واستيقظوا في صباحهم.





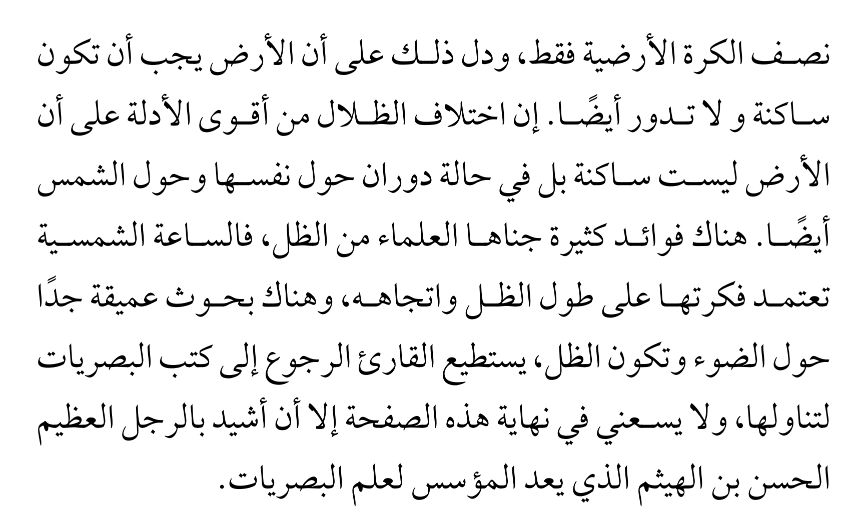
ظلال الأجسام

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلا﴾.

[الفرقان:٤٥]

لا زالت طبيعة الضوء غامضة ما بين الحالة الجسيمية والحالة الموجية، الضوء سريع جدًا يبلغ ما يقارب ثلاث مئة ألف كيلو مترٍ في الثانية، عندما يسقط ضوء الشمس على جسم فإنه يتكون منه ظل للجسم ويختلف طول هذا الظل باختلاف زاوية سقوط ضوء الشمس. فإذا كانت الشمس عمودية سيكون سقوط هذه الأشعة عموديًا وعند هذه اللحظة لا يتكون للجسم ظل، ويقال عندئذ إن الظل قد لبس الشخص نفسه.

إن اختلاف أطوال الظلال هو من أقوى الأدلة العلمية على أن الأرض ليست ساكنة، فلو كان الظل ساكنًا فهذا يعني أن الشمس تضيء



نصف الكرة الأرضية فقط، ودل ذلك على أن الأرض يجب أن تكون ساكنة و لا تدور أيضًا. إن اختلاف الظلال من أقوى الأدلة على أن الأرض ليست ساكنة بل في حالة دوران حول نفسها وحول الشمس أيضًا. هناك فوائد كثيرة جناها العلماء من الظل، فالساعة الشمسية تعتمد فكرتها على طول الظل واتجاهه، وهناك بحوث عميقة جدًا حول الضوء وتكون الظل، يستطيع القارئ الرجوع إلى كتب البصريات لتناولها، ولا يسعني في نهاية هذه الصفحة إلا أن أشيد بالرجل العظيم الحسن بن الهيثم الذي يعد المؤسس لعلم البصريات.

هذه اللمحة اقتطفتها من كتابي (صالة الولائم): «لقد درست البصريات عند أستاذنا البروفسور فتحي عبد الوهاب، وكانت بمعدل ثلاث ساعات، كانت المادة ممتعة جدًا، ولا زلت أتذكر تلك اللمحة التي حكاها أستاذنا عن ابن الهيثم. سوف نتكلم عن الحسن بن الهيثم، وبعض ما قدمه من علوم.

ابن الهيثم هو الحسن أبو علي بن الحسن بن الهيثم، وهو من علماء النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي.

ولد عام ٣٥٤هـ، أي حوالي عام ٩٦٥ ميلادي، لقد بدأ حياته في أزهى عصور الحضارة الإسلامية من الناحية العلمية، لقد ترجمت كتب الفلسفة والطب والرياضيات ومعظم العلوم من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية «لقد ابتدأت الترجمة الفعلية في زمن هارون الرشيد وولده المأمون».

نريد أن نقول خلال تلك الفترة الزمنية وما قبلها ظهر مجموعة من

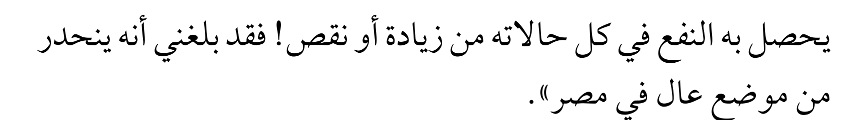
العلماء، كالكندي في الفلسفة، أبي بكر الرازي في الطب، الخوارزمي في الرياضيات، جابر بن حيان في الكيمياء، أبي معشر البلخي في الفلك.

إذا كان هكـذا العصـر الذي ترعرع فيه ابن الهيثم، فما المانع أن يصـل إلى ما وصـل إليه، دعونا نتخيل طفلين، أحدهمـا كان أبوه يقرأ القـرآن دائمًا وأمه كذلك، أما الآخر فـكان أبوه يغني وأمه كذلك. فما المانـع أن يحفظ الأول القرآن وهو في سـن السـابعة؟ ومـا المانع أن يحفظ الطفل الثاني المقاطع الغنائية وهو في السابعة أيضًا؟

كان يحكـى عـن أحد العلماء أنـه وصل إلى مرتبـة علمية دينية عظيمة قبل سـن البلوغ (الشـيخ الأعظـم الأنصاري)، ذهبـوا إلى أمه ليخبروهـا بذلك، فلم تسـتغرب؛ بل قالت: والله مـا أرضعته إلا على طهـارة! إذا كانـت الأم هكذا، فمـا المانع أن يصل إلى مـا وصل إليه، أمـا إذا كان شـغل الأم الزينة والموضة والرقص فقـط، فماذا تتوقعون مـن الجيل الذي سـتخرجه؟ نصيحة لكل شـاب يريـد أن يتزوج، قبل أن تختار أي امرأة، تذكر أنها سـتصبح أمًّا لأبنائك! نشـأ ابن الهيثم في هذا العصر العلمي، فقد درس منذ الصغر هندسـة إقليدس، ومقالات أرخميدس...، وغير ذلك الكثير.

لقد امتاز ابن الهيثم بفكر مجدد، فقد اسـتطاع بواسطة الهندسة استخراج البعد بين بلدين، كما حسب مساحة الدائرة والكرة.

لقد اشـتهر ابـن الهيثم حتـى وصل أمـره إلى الحاكـم بأمر الله الفاطمـي، لقد قال ابن الهيثم: «لو كنت بمصر، لعملت في نيلها عملاً



يحصل به النفع في كل حالاته من زيادة أو نقص! فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال في مصر».

استدعى الحاكم بأمر الله الحسن بن الهيثم، وقد خرج الحاكم بنفسه مع جمع من العلماء ليستقبل ابن الهيثم!

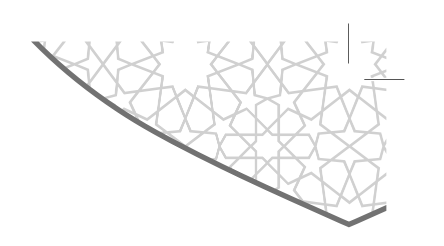
كان الخليفة متلهفًا لمشروع ابن الهيثم، فجهز له العمال والبنائين ورصد له أموالاً طائلة، لكن ابن الهيثم حينما وصل إلى جنوبي أسوان في مصر العليا، تلفت من حوله ولم يجد المكان المرتفع الذي ينحدر منه النيل! لقد عرف استحالة إقامة المشروع، فما كان منه إلا أن يعترف بخطئه، لأنه اعتمد على النقل ولم يعتمد على المشاهدة.

درس ابن الهيثم الضوء وكان أمام نظريتين: إن رؤية الأجسام تتم بخروج شعاع من العين إلى الجسم الذي تبصره، أما الأخرى أن صورة الجسم تنتقل إلى العين.

لقد استنتج ابن الهيثم أنه لا توجد أشعة تنطلق من العين، بل الأجسام هي التي تعكس الأشعة على العين، فتبصرها العين بواسطة العدسة.

وهذه النظرية هي أساس علم الضوء التي قام عليها العصر الحديث!! وكتاب المناظر بين يدينا يستوفي فيه ابن الهيثم بحوثه حول الضوء، ويعرض بأسلوب علمي كيف تتكون الصور على شبكية العين، كل هذا قبل أكثر من ألف سنة!! رحمة الله عليك يا بن الهيثم وأسكنك فسيح جنانه»[1].

(١) صالة الولائم/ ١٠٦.

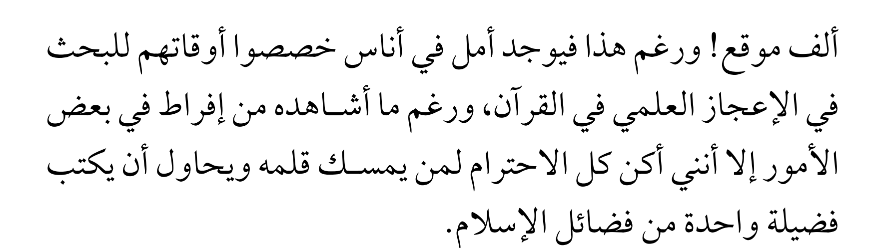


الضغط الجوي

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾

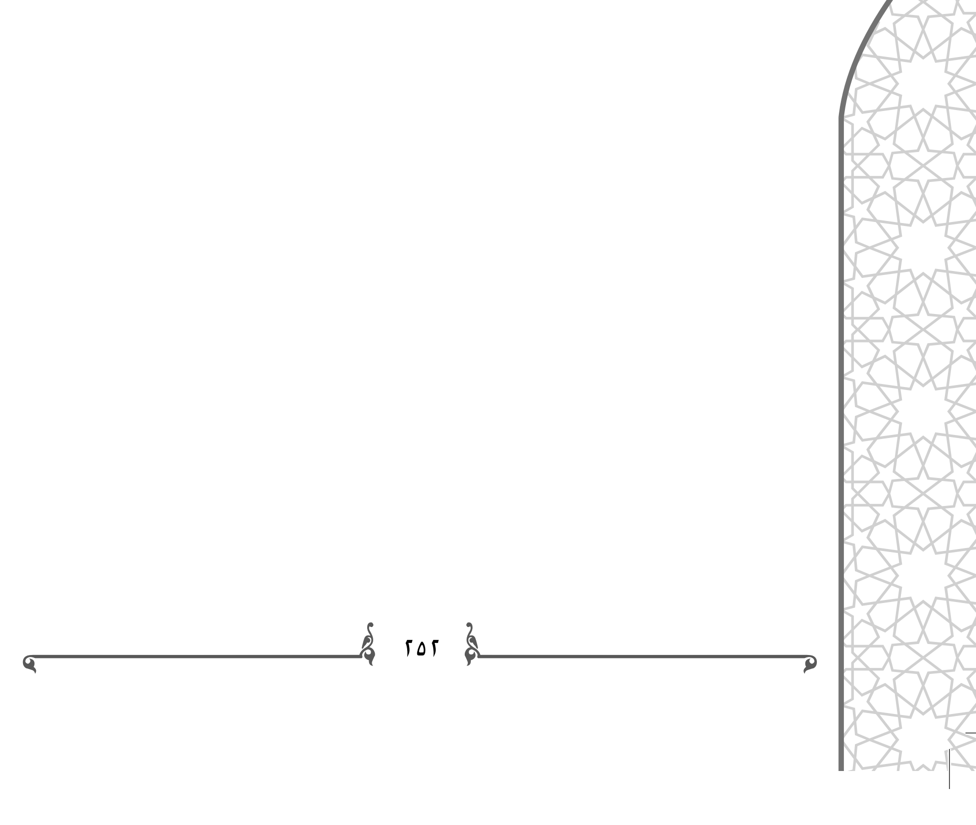
[الأنعام:١٢٥]

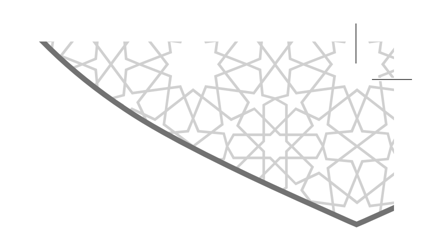
إنني حقًا مُدهش من حقائق هذه الآيات التي تحتوي على حقائق علمية لم نكتشفها إلا منذ فترة لا تزيد عن المئة عام، ويبدو أننا سوف ننصدم بحقائق أخرى في السنين القادمة، ولا أظن أن البحث سوف يتوقف عند هذه الحقائق. عندما أتصفح الشبكة أجد هناك اجتهادات كثيرة حول الحقائق العلمية في القرآن وقد كتبت هذه العبارة (الإعجاز العلمي في القرآن) في محرك البحث جوجل فظهر لي مليونان وثلاث مئة وأربعون ألف موقع، وللمقارنة فقط فلو كتبت كلمة الأغاني الجديدة لوجدت سبعة ملايين وسبع مئة وخمسون



ألف موقع! ورغم هذا فيوجد أمل في أناس خصصوا أوقاتهم للبحث في الإعجاز العلمي في القرآن، ورغم ما أشـاهده من إفراط في بعض الأمور إلا أنني أكن كل الاحترام لمن يمسـك قلمه ويحاول أن يكتب فضيلة واحدة من فضائل الإسلام.

لقد أثبتت الفيزياء أن الضغط الجوي يقل كلما ارتفعنا عن سطح الأرض، وبالتالي فإن الأوكسـجين الضروري لتنفس الكائنات الحية يقل أيضًا. إن هذا النجاح هو دليل معقول في فترة لم يكن يعرف أحد عن الضغط الجوي وتأثره بالارتفاع عن الأرض.



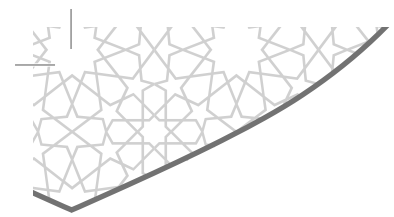


نهاية الكون

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

[الأنبياء:١٠٤]

هل سيستمر الكون في التوسع إلى ما لا نهاية؟! بالطبع سيكون مملاً جدًا أن يتوسع الكون إلى ما لانهاية، ربما يظل الكون في توسع إذا كانت كثافة الكون المتوسطة أقل من القيمة الحرجة سيستمر في التوسع فعلى المدى الطويل من الزمن ستنخفض هذه الكثافة إلى حد يجعل من قوة الجاذبية ضعيفة جدًا على إبطاء التوسع، ستستمر المجرات بالتباعد عن بعضها البعض، أما إذا كانت كثافة الكون المتوسطة أعلى من القيمة الحرجة سينقبض ويعود كما بدأ في بيضته الكونية! إن علماء الفيزياء يقفون حائرين؛ إذ أن الكثافة الحالية للكون



قريبة جدًا من الكثافة الحرجة التي تفصل بين الانقباض والتوسع.

إن الكون كما يقال يقف على حد السيف ربما يستمر في توسعه ويكون الكون مفتوحًا للأبد، وقد ينقبض وسيكون مغلقًا، وهذا هو ما أتوقع أن يحصل في هذا الكون، سوف ينقبض الكون ثانية على نفسه ويعود في بيضته من جديد -تكلمنا في كتابنا الأمير عن نظرية الأمير الرائعة في فناء الكون وخلقه من جديد- وأظن أنه يمكنني أن أتصور أن الكون سيولد من جديد ثانية، وربما تكون الولادة الثانية هي يوم الحساب الذي ينتظرنا؟!

إن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن توسع الكون من أكثر من ألف سنة، إنها حقيقة يجب أن نحترمها جدًا، ففي فترة ما لم يكن الناس يعلمون شيئًا عن المجرات، كان الناس يعتقدون اعتقادات خاطئة بالنسبة للكون، كانوا يعتقدون بمركزية الأرض في الكون، وثباتها أيضًا، ولم نكتشف المجرات إلا من فترة لا تزيد عن المئة سنة!!

جميع نجوم الكون سوف تموت، جميع ذرات الكون سوف تموت، الكون بأكمله سوف يموت، سوف يموت كل شيء في هذا الكون، لن يبقى إلا الذي كان قبل أن يوجد الكون، إنه الأول قبل كل شيء ولا شيء قبله، والآخر بعد كل شيء ولا شيء بعده... إنه الله!

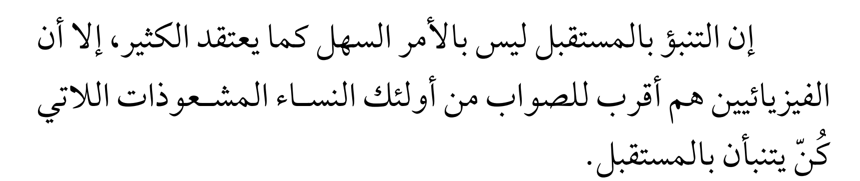
إنها ليست النهاية بالطبع، لا زال هناك الكثير مما ينتظرنا، لا ندري كيف ستكون أوضاعنا؟ وكيف سنخرج من جديد؟ وكيف وكيف؟! إلا أنه من المؤكد أننا سنخلق من جديد وسنحاسب على

أفعالنا، بل سنشاهد جميع ما فعلناه في هذه الدنيا، لا أدري أين تخزن هـذه الأفعال والأعمـال التي نفعلهـا، هل في مكان ما في الجسـم أو خارجـه؟ بالطبـع أسـئلة محيرة جـدًا، إن جميع ما نقوم بـه من أعمال وأقـوال مخـزون بطريقـة ما، وسـوف نشـاهدها كما فعلناهـا في هذه الدنيا.

لا يوجد سـبب علمي يحملنـا على افتراض أن أعمالنا ليسـت محفوظـة، كما أننا أيضًا لا زلنا نجهل الطريقة التي تحفظ فيها أعمالنا وأقوالنـا، لكن لمـاذا يتعين علينـا الظن باحتمـال أن أعمالنا لا تحفظ وأننـا لـن نخلق مـن جديد؟! لمـاذا لا نقصـر اعتقادنا على مـا جاء به الرسـول ﷺ من الله عز وجل، وإذا كان الرسـول ﷺ قد أخبرنا عن عشـرات الأشـياء وصدقت بالفعل، فهـذا يقتضي أن يـوم القيامة سيكون بالفعل، والحساب سيكون بالفعل، والجنة والنار أيضًا...

تكلمنـا فـي كتابنا (صالة الولائـم) حول نهاية الكـون وقلنا في ذلك: «إن الفيزياء شـهدت توسـعًا مذهلاً خلال القرن العشـرين، ولا زالت تتوسـع خلال القـرن الواحد والعشـرين، لقد أصبـح بالإمكان أن نتنبأ بمسـتقبل الكون وكيف سيسـير خلال المستقبل مع نسبة خطأ لا نسـتطيع أن نتجاهلها، هذه النسـبة هي مبدأ الفوضى الذي تتمتع به المعادلات الفيزيائية.

هذا أشبه بجدول المعلمين، فإدخال تغير قد يؤدي إلى اختلاف كلـي في الجـدول وهذا معـروف لدينا نحـن المعلمين، نحن نسـميه تبديلاً مركبًا أو معقدًا.



إن التنبؤ بالمستقبل ليس بالأمر السهل كما يعتقد الكثير، إلا أن الفيزيائيين هم أقرب للصواب من أولئك النساء المشعوذات اللاتي كُنّ يتنبأن بالمستقبل.

صحيح أننا نستطيع أن نجزم أن الكون سوف يتلاشى بشكل عام، أما التفصيلات الدقيقة فنحن لا نستطيع أن نعرفها بشكلها التفصيلي، على سبيل المثال، جو الأرض هو من رتبة خمسة أيام، وهو الزمن اللازم ليدور الهواء حول الأرض، نحن يمكننا أن نقوم بتنبؤات مقبولة للطقس خلال الخمسة الأيام المقبلة، أما إذا زادت عن ذلك تتعقد الأمور أكثر وأكثر، نحن نستثنى الطقس العام الذي نستطيع أن نلخصه في مملكتنا على سبيل المثال حار جاف صيفًا ودافئ ممطر شتاءً.

كل شيء في الكون يتصرف على مبدأ الفوضى، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، إننا نسمع بين تارة وأخرى عن زلزال يضرب دولة معينة مما يؤثر على حركة الأرض، ومهما كان مقدار الفوضى في المنظومات الكونية فستؤدي إلى اختلاف كبير في النتائج النهائية، إننا لو رسمنا مستقيمين يميل كل واحد منهم مع المحور الصادي بدرجة واحدة فقط وفي اتجاهين مختلفين، وقسنا المسافة سنجدها صغيرة جدًا، أما لو مددنا المستقيمين سنجد الاختلاف الكبير بين البداية والنهاية.

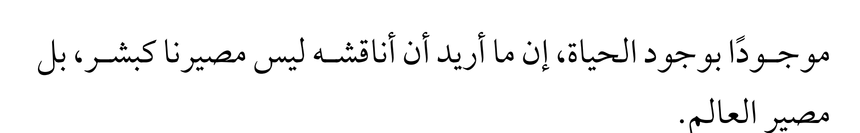
إذا كان الكون يتصرف بمبدأ الفوضى، فمن باب أولى أن جميع ما يحويه الكون ينطبق عليه حالة الفوضى، إننا لا نستطيع أن

نتنبأ بالتفصيلات الدقيقة لأي مجتمع بشري، وكيف سيتغير خلال المستقبل، إن العلم يفشل بالتنبؤ لأي إنسان خلال أيام حياته، حتى إن الإنسان نفسه قد يفشل بالتخطيط إلى مستقبله، لأن الفوضى كامنة في أي لحظة، فالخطر قائم على الإنسان وعلى المجتمع البشري، فحادث سيارة قد يجعله مشلولاً طوال حياته.

إن هدفي هنا ليس مناقشة مصيرنا كبشر، ولو أني قلت لكم كيف سيكون مصيرنا، سأكون أكذب الكاذبين، فربما ينتهي نسلنا البشري خلال المئة السنة القادمة أو خلال الخمس السنوات أو الخمسين سنة أو المليون سنة، إننا لا ندري إلى أين ستأخذنا عدوانية البشر، إن العدوانية أصبحت تتزايد يومًا بعد يوم، لا يكاد يأتي يوم إلا ونرى العشرات يصلبون والعشرات يُقتلون... إن هذه العدوانية ربما تجعل من نهاية الجنس البشري قريبة جدًا، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم أن العدوانية كافية للقضاء على جميع البشر، فبقاء رجل واحد وامرأة يكفي لإنتاج سلالة بشرية جديدة.

إنني أستبعد أن تكون العدوانية كافية للقضاء على الجنس البشري، حتى لو اندلعت حربٌ عالمية ثالثة واستخدمت فيها القنابل الهيدروجينية، إنه من اليقين عندي أن البشر سيتناقص بشكل كبير خلال القرن الثاني والعشرين إذا بقينا على قيد الحياة، لأن حروب القرن الواحد والعشرين سوف تقلص العدد البشري إلى المليار فقط، أو أقل من ذلك! وربما قد تختفي الأرض من المجموعة الشمسية!

لا أريد أن أكون متشائمًا فمهما بلغت العدوانية سيبقى الأمل



موجـودًا بوجود الحياة، إن ما أريد أن أناقشـه ليس مصيرنا كبشـر، بل مصير العالم.

إننـا كبشـر بكوكبنا الأرضي لا نشـكل في الكون إلا السـراب، فمهمـا حصـل لكوكـب الأرض مـن دمـار سيسـير الكون غيـر متأثر بذلـك، حتى لو اختفـت الأرض مـن المجموعة الشمسـية كتدميرها بقنابل هيدروجينية أو اصطدامها بجرم سـماوي، ستستمر بقية الكون غير آبهة.

إننـا مخلوقات تافهة فـي هذا الكون، وإذا ازددنـا تمعنًا في هذا الكون سـوف نعـرف أننا مخلوقات تافهة جدًا، قبـل فترة قصيرة كنت أفكـر في هذا السـؤال الضبابي: هـل فعلاً أن الكـون بأكمله وجد من أجلنـا نحن البشـر؟ إن الجـواب عن هذا السـؤال الضبابي هو: لا، إن الكون لن يذرف دمعة عين واحدة ولو انقرضنا بأكملنا نحن البشر.

إن التاريـخ أثبـت أن اللـه عـذب مجتمعـات بشـرية بأكملهـا، فالمجتمـع الـذي كان يعيش فيه نوح عليه السـلام، أغرقـه الله بأكمله ما عدا من ركب السفينة، صحيح أننا نملك اهتمامًا من الله عز وجل، لكـن هـذا الاهتمام لا يكفي أن نقول إن الله خلق الكون من أجلنا، إن الله يهتم بجميع مخلوقاته وليس بنا فقط.

إن الله غير محتاج لنا، إن هذا يكفي أن نعتقد أن الكون لـم يخلق من أجلنا، إن هذا الكون الواسـع إذا كان فعلاً خُلق من أجلنا فهذا أمر يُصعب تصديقه، كما أني أقول إن مجرتنا تكفي أن نعيش فيها، فلماذا

الملايين من المجرات؟

مرة أخرى أقول لو مات جميع البشر من كوكب الأرض، سوف تستمر بقية مخلوقات الكون غير آبهة لذلك، إن الكون بجميع أسدامه وأجرامه ليس إلا منظومة فيزيائية.

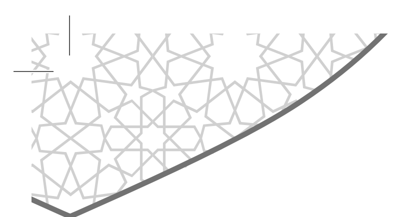
لا ندري حتى هذه اللحظة كيف ستكون حركة مجموعتنا الشمسية، إلا أنه من المؤكد بين العلميين أن الشمس سوف تبلع الكواكب القريبة منها، مما سيؤدي إلى اختفائها من مجموعتنا الشمسية.

جميع نجوم الكون سوف تفقد وقودها الهيدروجيني في غضون الخمسة مليارات إلى العشرة مليارات سنة، بالتأكيد لن تكون هناك نجوم بعد عشرة مليارات سنة تضيء الكون.

هناك بحوث عملاقة تدرس مستقبل الكون حول توسعه للأبد أو انقباضه ثانية، إن التوسع أو الانقباض يعتمد على كثافة الكون الحرجة ولا زال علماء الفيزياء غير متأكدين من كثافة الكون الحرجة.

إذا كان الكون سوف يستمر في التوسع سيكون مملاً للأبد؛ لأنه لا توجد فيه كائنات حية، وهذا يتنافى مع المبدأ البشري ولا يستطيع أي عاقل أن يقبله، إنني لا أحتاج أن أخوض في لغة الفيزياء حول توسع الكون للأبد لأن هذا الشيء لا يقبله العقل.

يبقى عندنا انقباضه ثانية كما بدأ بدايته الأولى، هذه النظرية أقرب إلى المبدأ البشري من نظرية التوسع، بعد عودة الكون ثانية



وهو ما يعرف بالانطواء العظيم سيتكثف في حيز ضيق جدًا، ثم سيبدأ بالانفجار ويعيد الكرة مرة أخرى ويتكون عندنا يوم القيامة.

إننا لا نعرف متى سيحصل هذا، لكن من المؤكد سوف يحتاج لفترة طويلة جدًا لا تقل عن العشرة مليارات سنة التي تحتاجها نجومنا للاحتراق، كما لا أتوقع أن يبدأ الكون في الانقباض في أقل من العشرة مليارات سنة، إلا إذا كانت هناك مداخلة ربانية تغير في حالة المنظومة الفيزيائية لهذا الكون.

لماذا لا يكون ذلك، من أن هناك جرمًا سماويًا تلقى دفعة صغيرة من مداخلة ربانية تجعل منه يغير حسابات كثيرة في منظومتنا الفيزيائية، لا سيما أن التاريخ قد أشار لنا أن هناك مداخلات ربانية حصلت على كوكبنا الأرض أو حتى في السماء، فانشقاق البحر لموسى عليه السلام، هو مداخلة ربانية، وانشقاق القمر للرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، هو مداخلة ربانية أيضًا.

إنني لا أقول هذا الكلام من مبدأ أن الكون يتصرف بورقة اليانصيب أو بلعبة النرد، إن الله حكيم وهو يعلم ماذا يفعل؟ إن الكائن البشري لم يظهر لهذه الأرض منذ تكون الأرض، كان من الواجب أن تهيئ الأرض البيئة المناسبة لاحتضان هذا الكائن، بعد أن أعدت الأرض البيئة المناسبة ظهر فيها هذا الكائن البشري.

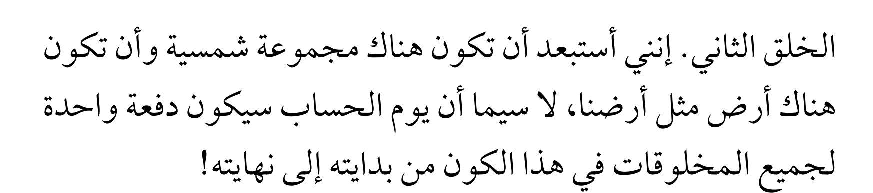
إن جميع ما في الكون يدل على قوانين محكمة ومعادلات فيزيائية يتصرف وفقها، إلا أنني احتملت أن تكون هناك مداخلة ربانية

وهـذا الاحتمال ضعيف جدًا عندي؛ لأن الله حكيم، ويعرف كيف ما يريد أن يخلق قبل أن يخلقه؟

قـد أشـرنا فـي كتابنـا (الصعود إلـى القمـر)، إلى هذا السـؤال الضبابي: هل يسـتطيع الله أن يخلق حجرًا لا يسـتطيع حمله؟ إن هذا السـؤال لا يصـدر من العقلاء؛ لأن الله حكيـم وكان يعرف ما يريد أن يخلق قبل أن يخلق. مهما اختلفنا في التوقيت الزمني لانطواء الكون، ففي النهاية نتفق أنه سيتلاشـى سـواء كانت هنـاك مداخلة ربانية أو لم تكن، إلا أن السؤال هنا: ماذا سيحدث بعد ذلك؟

سيتكون عندنا يوم الحساب، وأنا أريد أن أشير إلى أن الكثير قد وقَّـت لنهايـة العالم ويوم القيامة، إن الكثير من هؤلاء فشـل في ذلك، لقد ذكرنا في كتابنا (الصعود إلى القمر) أن ويليام ميللر، وهو مؤسس حركة سبتيي اليوم السابع، تنبأ أن يوم القيامة سوف يحصل ما بين ٢١ آذار مـن عـام ١٨٤٣ و ٢١ آذار مـن عـام ١٨٤٤، وعندمـا لم يحصل شيء، عدل التاريخ ليصبح ٢٢ أيلول من عام ١٨٤٤. وعندما مر ذلك الموعد دون حادث، تم تقديم تفسـير جديـد مفاده أن عام ١٨٤٤ هو بدايـة المجيء الثاني، حيث يتم أولاً تعداد الأسـماء الواردة في كتاب الحياة، وبعدئذ فقط يأتي يوم الحسـاب مـن أجل أولئك الذين لم ترد أسـماؤهم في الكتاب. ولحسـن الحظ، يبدو أن التعداد يستغرق وقتًا طويلاً!!

إن يوم الحساب سيأتي لنا شئنا أم أبينا، لا بد للكون أن يتلاشى ثـم يخلـق من جديـد، إلا أننـا لا زلنا نجهـل كيف سـتكون الحياة في



الخلق الثاني. إنني أستبعد أن تكون هناك مجموعة شمسية وأن تكون هناك أرض مثل أرضنا، لا سيما أن يوم الحساب سيكون دفعة واحدة لجميع المخلوقات في هذا الكون من بدايته إلى نهايته!

سوف نحتاج لأرض أكبر من أرضنا بملايين المرات حتى تستوعب هذه المخلوقات، كما أن القوانين التي تحكمنا هناك سوف تختلف عن هذه القوانين التي نعرفها في كوكبنا الأرض.

إن الهدف من يوم الحساب هو أن الله عادل وهو يريد أن يحقق العدالة، لذلك من أطاعه سيدخله الجنة يتنعم فيها بين الأنهار، أما أولئك الظلمة فسيبقيهم في النار يتعذبون فيها.

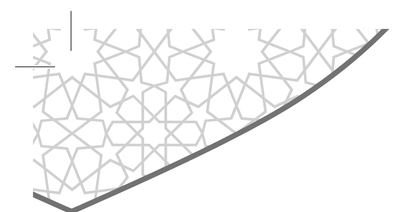
إننا لا نعرف كيف سيكون يوم الحساب، إلا أن الأنبياء قد أشبعوا رغبتنا في ذلك، ومن المعلوم أن الأنبياء كانوا يتوقون لمناجاة الله، ووجود هؤلاء الأنبياء هو نوع من الأمل الذي زرعه الله فينا للاستمرار بعد الموت، إن الكثير يعتقد أن الأنبياء قد زودونا بنوع من الأماني والأحلام التي لا تمحى، إنني أقول لكم حتى لو كان ذلك فهذا أفضل من الذي يعتقد أن الموت هو نهاية الحياة، لذلك فهو سيقتل ويسرق ويفعل ما يفعل دون أن يكون عنده خوف من الاستمرار بعد الموت لذلك لن يكون لوجوده أي هدف، أما الذي يعتقد بالاستمرار بعد الموت فهذا يجعله يخاف القتل ويخاف السرقة ولا يمارس الظلم، لأنه يعتقد أن هناك يومًا الحساب. إن التجربة الدينية تختلف عن التجربة العلمية، والأنبياء لم تكن عندهم معامل فيزيائية أو كيميائية حتى يجروا لنا التجارب، إنهم يستمدون تعاليمهم

مـن اللـه سـبحانه وتعالـى. إذا كان الله خلقنـا فمن الأولـى أن يبعث لنـا هـؤلاء الأنبياء حتى نشـعر أنه إله مهتم بنا، إنه أمر بني إسـرائيل أن يذبحـوا بقرة، كما أنه أمـر مريم العذراء أن تهز جـذع النخلة، كل هذا يدل أن هناك إلهًا مهتمًا.

إن جميـع الأبحـاث الفيزيائيـة تؤكد وجـود إله مهتـم بنا، وهنا يكفينـي أن أنقل مقولة علامة الفيزياء سـتيفن وانبرغ وهو الحائز على جائـزة نوبل، في كتابه حلم النظريـة النهائية: «إن آراء بعض الناس في الله فضفاضة ومرنة جدًا لدرجة أنهم يرونه حيثما بحثوا عنه. فكثيرًا ما يقال: (الله هو الآخر) أو (الطبيعة الجميلة) أو (الكون). إن كلمة الله كسـواها من الكلمات، يمكن أن تُعطى أي معنى نشـاء. فإذا شـئت أن تقول: إن الله هو الطاقة، تسـتطيع أن تجـده في مصباح الزيت! ولكن إذا كان لـكل كلمة قيمة لدينا، يجب علينا أن نحترم طريقة اسـتعمالها فيما شـاع عبر التاريخ، وعلينا خصوصًا أن نتمسـك بما يميز كل كلمة عن معنى سواها فنحميها من الاختلاط بمعاني كلمات أخرى.

ومـن هـذا المنطلق يبدو لـي أن كلمة الله، إذا أُريد اسـتعمالها، يجـب أن تؤخـذ بمعنـى إله مهتّـم، إله خالق ومشـرّع لم يَسُـنَّ قوانين الطبيعة والعالم فحسـب بل ومعايير الخير والشـر أيضًا، وهو موجود يهتم بما نفعل، إنه بمختصر القول موجود يستحق منا أن نعبده».

وهنـا أيضًا أنقل مقولـة لعمـلاق الفيزياء ولأسـتاذ الرياضيات بجامعـة كامبريدج سـتيفن هوكنج فـي كتابه موجز فـي تاريخ الزمن: «حتى ولو لم يكن هناك سوى نظرية موحدة واحدة محتملة، فستكون



مجموعة قواعد ومعادلات. فمن الذي ينفخ النار في هذه المعادلات ويخلق كونًا كي تصفه؟!».

إن يوم الحساب سوف يأتي فعلاً، لكن ماذا بعد يوم الحساب؟ إنني لا أعلم ماذا سيحدث بعد ذلك، لا سيما إذا علمنا أن يوم الحساب هو حساب بلا عمل فلا يوجد هناك تكاليف، إذًا من سيعبد الله في يوم الحساب؟ بالطبع إن الله ليس بحاجة لعبادتنا سواء كان هناك يوم حساب أو لم يكن.

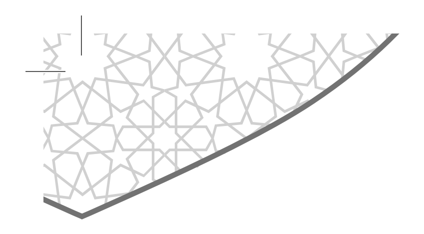
لهذا، فالسؤال السابق لا معنى له هنا في هذا البحث، لأننا على يقين أن الله ليس بحاجة للبشر قاطبة، وإذا كان خلقنا فمن نعمه وتفضله علينا، وإذا أدخلنا الجنة فمن نعمه أيضًا، وإذا أدخلنا النار بالتأكيد سيكون بعدله.

إننا كبشر يجب أن نعرف أن حياتنا الدنيا قصيرة جدًا أقل من السبعين سنة، هناك حياة تنتظرنا بعد الموت وهي طويلة جدًا، وقبل أن أختم هذه المقولة، أذكر لكم أجمل ما قرأت حول حياة الإنسان على كوكب الأرض: جاء في كتاب التاريخ الكنسي للإنكليز، الذي كتبه الأب الفاضل (بيد) في حوالي عام ٧٠٠م، كان يشرح كيف جمع الملك إدوين نورثمبريا في عام ٦٢٧م، مجلسًا يقرر الديانة التي يجب اعتمادها في مملكته، لقد أعطى الخطاب التالي: يا صاحب الجلالة، عندما نقارن حياة الإنسان الحالية على الأرض بذلك العصر الذي لم يكن لدينا فيه أي معرفة، تبدو لي شبيهة بالطيران السريع لعصفور دوري فرد عبر صالة الولائم، حيث تجلسون للعشاء، في يوم شتوي

مع وجهاء مملكتكم ومستشاريكم. يوجد في الوسط نار مريحة تدفئ الصالـة، وفـي الخـارج عواصف شـتوية مـن المطر أو الثلـج. وذلك العصفور يطير بسـرعة داخـلاً من باب وخارجًا من بـاب آخر، وحين يكـون فـي الداخـل ينجو مـن العواصـف الشـتوية، ولكنـه بعد بضع هنيهـات من الراحـة يتوارى عن الأنظار في العالم الشـتوي الذي أتى منه. والإنسـان، على هذه الشـاكلة، يظهر علـى الأرض لفترة قصيرة، أمـا مـا كان موجودًا قبل هذه الحياة وما سـوف يوجـد بعدها فلا نعلم عنه شيئًا.

إنه من المؤكد أن هناك شيئًا ينتظرنا خارج صالة الولائم»[1].

(١) صالة الولائم/ ٣٤.



المعاد الجسماني

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.

[القيامة:٣-٤]

أخيرًا يمكن أن نتصور أن نهاية حياتنا هي الموت، سنوضع في القبر وما هي إلى أيام قليلة ومن ثم سنتحلل إلى تراب، هذه هي نهاية الحياة؟ إن هذه العملية تحدث يوميًا أمام أعيننا، وقد حدثت أيضًا في الماضي في السنين الغابرة وهناك بعض الأموات قد رجعوا للحياة، ليقول لنا الله إن هذه العملية صورة مصغرة ليوم القيامة.

لقد تجادل المتدينون والفلاسفة قرونًا طويلة بخصوص هذه المسألة أي مسألة رجوع الأجساد بعد الموت، وقد اخترعوا حلولاً كثيرة في هذه المسألة، فاقترحوا أن الروح فقط هي التي يشملها العذاب أو النعيم بافتراض أن الروح منسجمة مع الجسم فإذا مات

الجسم انقطع هذا الانسجام ويستحيل حينئذ أن تنسجم الروح بالمادة من جديد، ويذهب البعض أنه لا قيمة للروح بفناء الجسد للانسجام الحاصل بينهما، ويذهب الكثير إلى رجوع الجسد والروح بعد الموت.

وبالرغم من هذا أيضًا إلا أنه اختلف في مسألة هذا الجسد، هل سيرجع بصورته أو بصورة مغايرة عن هذه الصورة من ناحية الحجم والكتلة وما يقوم مقامهما.

لا شك ولا ريب أن مسألة المعاد من الأمور المتفق عليها عند المسلمين قاطبة، ومسألة التفاصيل الدقيقة لا زالت من المسائل ذات الجدل الطويل. أريد أن أطرح هذا السؤال: إذا تحول وجود الإنسان بأكمله إلى طاقة فهل من الممكن أن يحيا من جديد؟! وهل من الممكن أن تتحول الطاقة التي يبذلها في أعماله -الطاقة الصوتية في قراءة القرآن أو الطاقة الحركية في ممارسته للرياضة أو غير ذلك- إلى كتلة تأخذ طابعًا معينًا يتعذب فيه الإنسان أو يتنعم؟

إن تحويل الطاقة إلى كتلة عملية مقبولة فيزيائيًا، وإن مسألة رجوع الأجساد بعد الموت حتى لو تحول هذا الجسد بأكمله إلى طاقة فمن الممكن فيزيائيًا أن نحيا من جديد، وقد أثبت لنا التاريخ بقصص في هذا المقام وهذا ما يعضد هذه الفكرة.

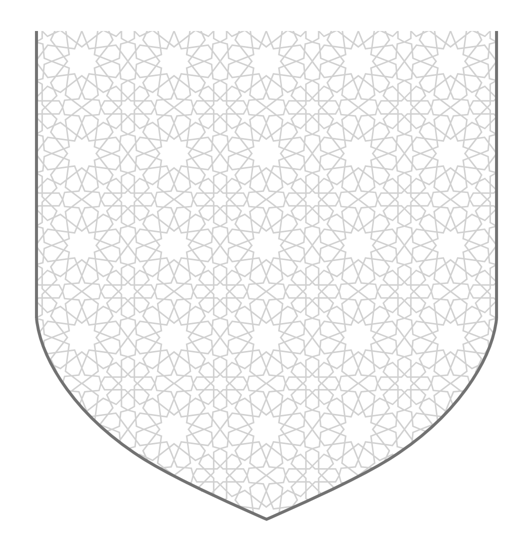
لا شك أن الله سيعيد أجسادنا بعد الموت ولكن لضعف العقل البشري فإنه لا يستطيع أن يتقبل هذا المبدأ على صعيد المعطيات

الموجـودة أمامـه، وإذا سـلمنا بضعـف هـذا العقل فهـذا يتحتم على الكثير من الأشياء أن نضعها فوق الطاولة للنقاش.

إن نقطـة الضعف في العقل البشـري أن قوانيـن الطبيعة لا تزال غامضة وقاصرة الفهم، وهذا ما يجعل الكثير من المسـائل ذات طابع ضبابـي علمي، وهنا نحتاج إلـى نلجأ إلى الدين في مثل هذا النوع من الفهم لمثل هكذا حالات.

لا شك أن الرسول ﷺ، قد أشبع هذه الحالات، فلماذا نلجأ إلـى قوانيـن الطبيعة وهي لا تعطينـا الراحة التامة الروحية التي نشـعر بهـا؟ لمـاذا لا نعتمد علـى إيماننا في الشـعور بهـذه الراحـة الروحية المنشودة.

إن أفضل ما اسـتطيع أن أختم به هذا المقال هذه القصة العجيبة التـي وردت فـي القـرآن: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[البقرة: ٢٥٩]

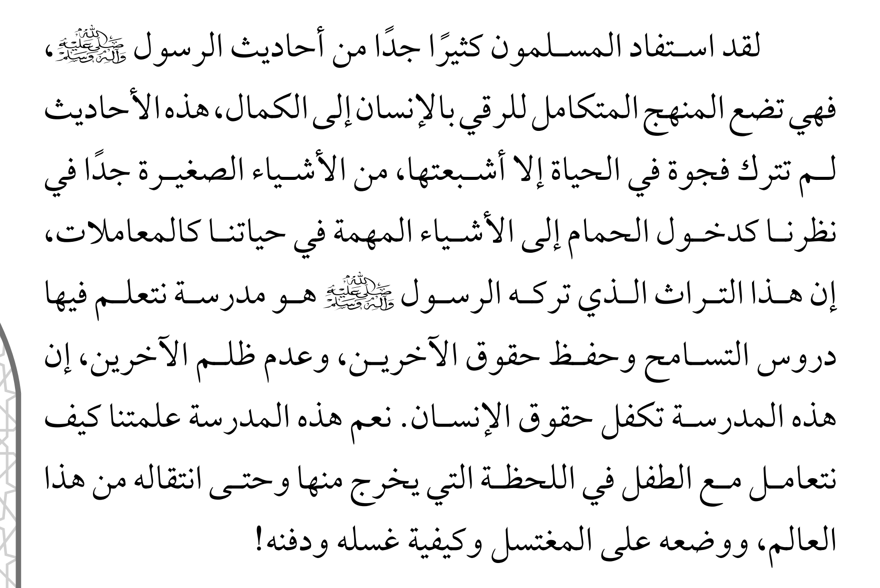


القسم السادس

أحاديث نبوية

يتنـاول هـذا القسـم مجموعـة من
الأحاديث النبوية





لقد استفاد المسلمون كثيرًا جدًا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهي تضع المنهج المتكامل للرقي بالإنسان إلى الكمال، هذه الأحاديث لم تترك فجوة في الحياة إلا أشبعتها، من الأشياء الصغيرة جدًا في نظرنا كدخول الحمام إلى الأشياء المهمة في حياتنا كالمعاملات، إن هذا التراث الذي تركه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو مدرسة نتعلم فيها دروس التسامح وحفظ حقوق الآخرين، وعدم ظلم الآخرين، إن هذه المدرسة تكفل حقوق الإنسان. نعم هذه المدرسة علمتنا كيف نتعامل مع الطفل في اللحظة التي يخرج منها وحتى انتقاله من هذا العالم، ووضعه على المغتسل وكيفية غسله ودفنه!

أنا لا أستطيع أن أحصي هذه الأحاديث، سأكتفي هنا بسبعة أحاديث فقط:

«سَبْعَةٌ يُظِلّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ اِلاَّ ظِلُّهُ، الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَاَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا

فِـي اللـهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْـهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُـلٌ دَعَتْهُ امْـرَاَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَـالٍ فَقَالَ اِنِّي اَخَافُ اللهِ، وَرَجُلٌ تَصَـدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَاَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»

صحيح مسلم(١/ ٤٥٧)

«لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْاَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا اَفْنَاهُ، وَعَـنْ عِلْمِـهِ فِيمَا فَعَـلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِـنْ اَيْنَ اكْتَسَـبَهُ وَفِيمَـا اَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا اَبْلاَهُ»

سنن الترمذي(٢/ ٢٨٠)

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ«

سنن الترمذي(٢/ ٢٥٩)

«إِذَا مَاتَ الإِنْسَـانُ انْقَطَعَ عَمَلُـهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ، مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»

سنن النسائي(٢/ ٢٨٨)

«اِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي، الْيَوْمَ اُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لاَ ظِلَّ اِلاَّ ظِلِّي»

صحيح مسلم(١/ ١١٩٤)

«الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»

سنن أبي داود(٢/ ٣٠٤)

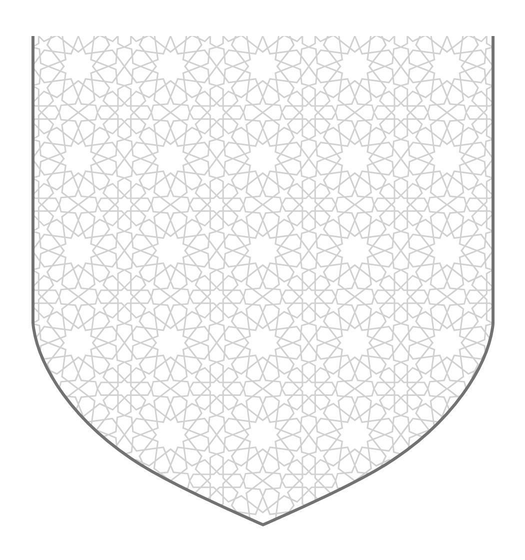
«أَتَـدْرُونَ مَـا الْمُفْلِسُ؟»، قَالُـوا: الْمُفْلِـسُ فِينَا مَـنْ لاَ دِرْهَـمَ لَهُ وَلاَ مَتَـاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِـنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِـي قَدْ شَـتَمَ هَذَا، وَقَـذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَـفَكَ دَمَ هَـذَا، وَضَرَبَ هَـذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَـنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَـنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَـنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»

صحيح مسلم(١/ ١٢٠٠)

«وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ رَجُلاً، أَتَى إِلَى رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِـي كَلِمَـاتٍ أَعِيشُ بِهِـنَّ وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَـى. فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: (لاَ تَغْضَبْ)».

لقـد أثبتـت الأبحـاث والتجـارب أن الغضب مفتاح كل شـر، وحالـة الغضب هي حالة عصيبة تمر على الإنسـان تجعله لا يسـتطيع التحكم في نفسه، وهي بالفعل خطيرة جدًا فقد يلجأ الإنسان إلى القتل فـي مثل هذه الحالـة، إضافة إلى أن الغضب يؤثر على صحة الجسـم وخاصـة أمراض القلب، لهذا تعتبر هذه الكلمتين التي قالها الرسـول ﷺ ذات أهمية كبرى وخاصة لأبناء القرن الواحد والعشرين، الذي أشاب الجنين وهو لا يزال في بطن أمه!!





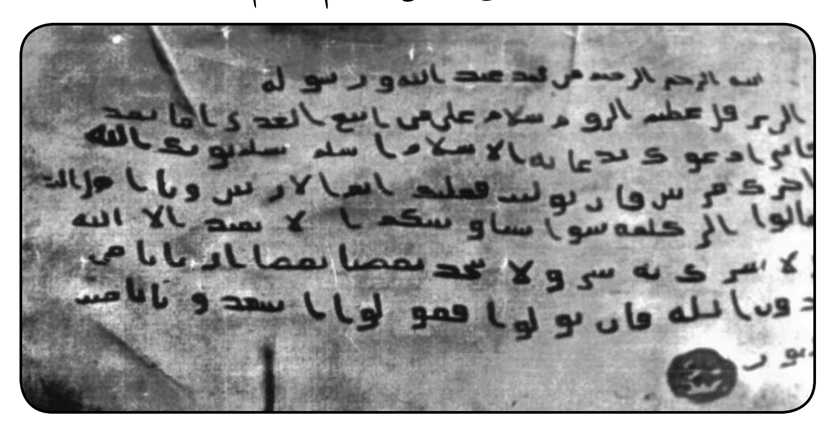
القسم السابع

رسائل الرسول ﷺ للملوك

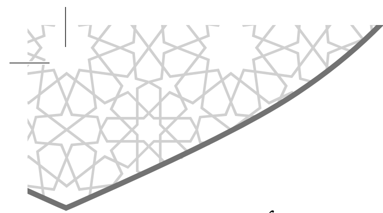


كمـا جـاء معنـا في هـذا البحث أن الرسـول ﷺ اسـتفاد من صلح الحديبية في مراسـلة الملوك، وهذه بعض الرسائل التي أرسلها الرسـول ﷺ لهؤلاء الملوك، سنختار أربع رسـائل فقط، ويستطيع القارئ مشاهدة الكثير من هذه الرسائل على الشبكة.

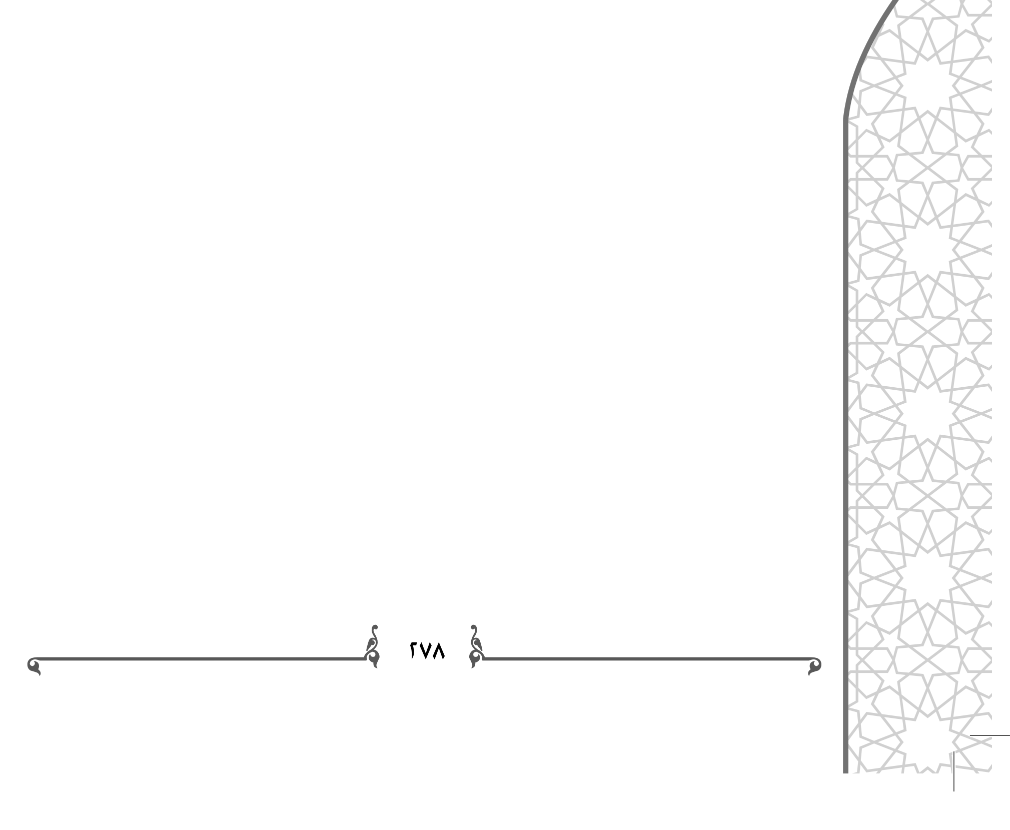
- رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم:

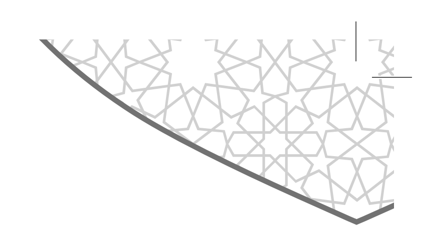


نص الرسـالة: «بسـم الله الرحمـن الرحيم من محمـد عبد الله

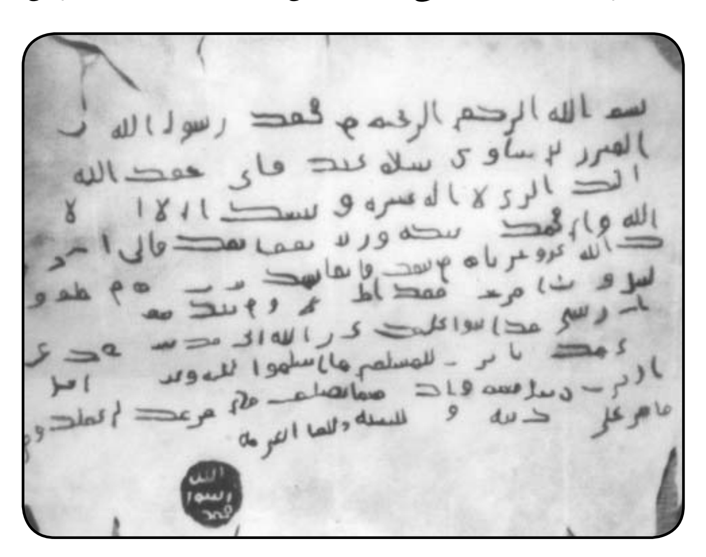


ورسـوله إلى هرقل عظيم الروم، سـلام على من اتبـع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم (الأريسـيين)، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْـرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْـهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، [آل عمران:٦٤].

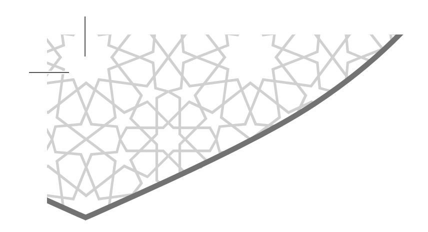




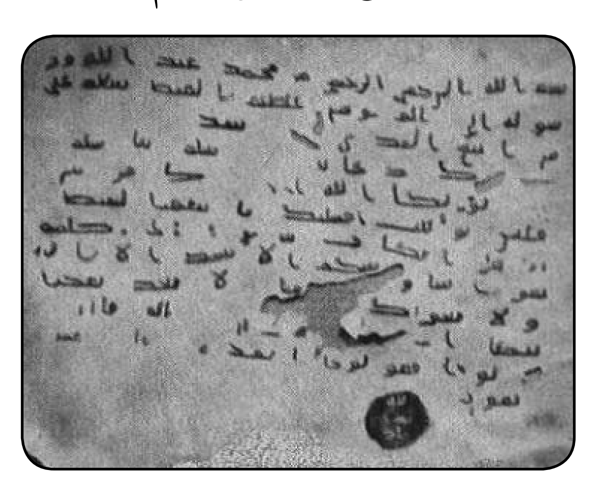
- رسالة الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين:



نص الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن ينصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا، وإني قد شفعتُك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح، فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام علي يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية».



- **رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر:**

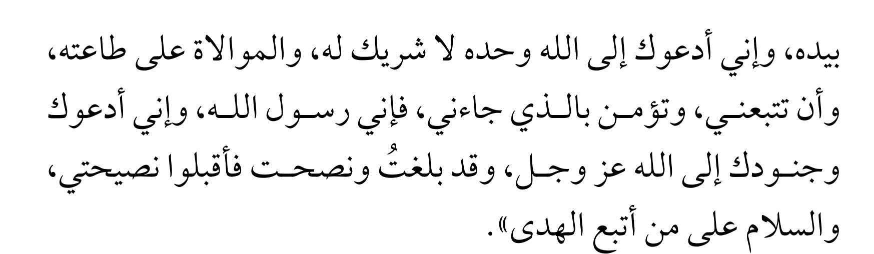


نص الرسـالة: «بسـم الله الرحمـن الرحيم من محمـد عبد الله ورسـوله إلى المقوقس عظيم القبط، سـلام على مـن أتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فـإن توليت فعليك إثم (القبط)، **﴿قُلْ يَا أَهْـلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْـرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْـهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**، [آل عمران: ٦٤].

- رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة:

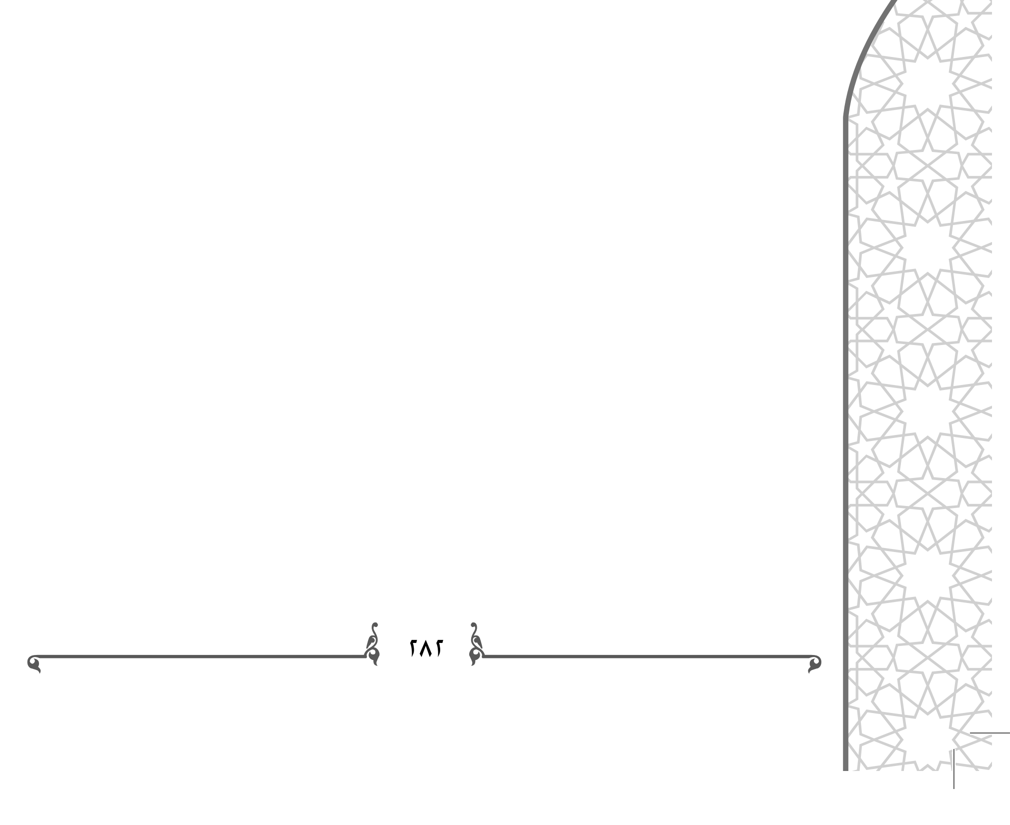


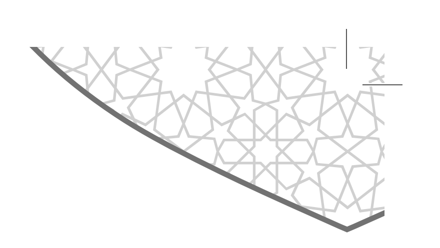
نص الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد، فإني أحمـد إليـك الله الذي لا إلـه إلا هو الملك القدوس السـلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم



بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغتُ ونصحت فأقبلوا نصيحتي، والسلام على من أتبع الهدى».

نكتفي بهذه الرسائل الأربع ومن يريد المزيد فعليه مراجعة كتب السيرة.



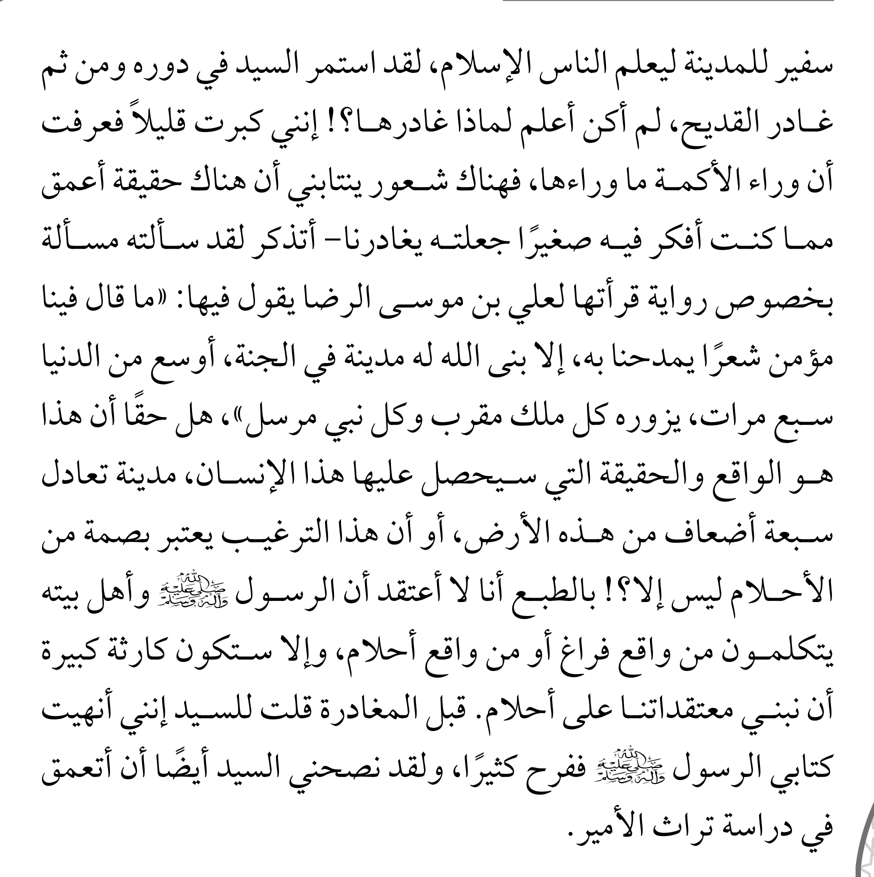


الخــاتــمــة

«اغتنـم خمسـا قبل خمس، شـبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سـقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شـغلك، وحياتك قبل موتك»

الرسول ﷺ/ فتح الباري

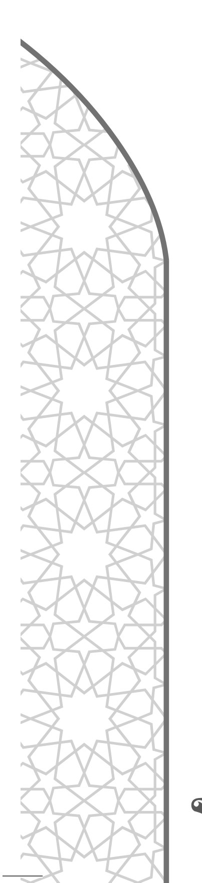
لقـد ذهبـت في هذه السـنة في شـهر صفـر من عـام ١٤٣١هـ، بعـد نهايـة الكتاب إلـى الرجل الفاضل السـيد سـعيد الخبـاز لزيارته والاسـتمتاع بحديثـه- السـيد سـعيد من ينظـر إليه عن كثـب يرى فيه الرجل المتواضع والمتسـامح، ولا زلت أتذكر عندما كان السيد يقوم بدوره كسفير لقرية القديح ليعلمهم أحكام الإسلام والحلال والحرام والمسـائل الشرعية، وهذا الدور أشبه ما يكون بدور الصحابي العظيم مصعـب بن عمير رضوان اللـه عليه عندما بعثه الرسـول ﷺ كأول



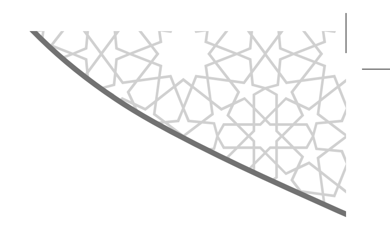
سفير للمدينة ليعلم الناس الإسلام، لقد استمر السيد في دوره ومن ثم غادر القديح، لم أكن أعلم لماذا غادرها؟! إنني كبرت قليلاً فعرفت أن وراء الأكمة ما وراءها، فهناك شعور ينتابني أن هناك حقيقة أعمق مما كنت أفكر فيه صغيرًا جعلته يغادرنا- أتذكر لقد سألته مسألة بخصوص رواية قرأتها لعلي بن موسى الرضا يقول فيها: «ما قال فينا مؤمن شعرًا يمدحنا به، إلا بنى الله له مدينة في الجنة، أوسع من الدنيا سبع مرات، يزوره كل ملك مقرب وكل نبي مرسل»، هل حقًا أن هذا هو الواقع والحقيقة التي سيحصل عليها هذا الإنسان، مدينة تعادل سبعة أضعاف من هذه الأرض، أو أن هذا الترغيب يعتبر بصمة من الأحلام ليس إلا؟! بالطبع أنا لا أعتقد أن الرسول ﷺ وأهل بيته يتكلمون من واقع فراغ أو من واقع أحلام، وإلا ستكون كارثة كبيرة أن نبني معتقداتنا على أحلام. قبل المغادرة قلت للسيد إنني أنهيت كتابي الرسول ﷺ ففرح كثيرًا، ولقد نصحني السيد أيضًا أن أتعمق في دراسة تراث الأمير.

كنت أعلم أن دراسة تراث الأمير لا تصل لنهاية، فمهما كبرت سأكتشف المزيد حول تراث الأمير، كذلك الرسول ﷺ، فهذا الكتاب الذي قرأته أيها القارئ توجد به نواقص كثيرة جدًا وهو لا يغطي إلا قطرة واحدة من محيط حول حياة الرسول ﷺ، لا أحد يستطيع أن يتعرف على هذه الشخصية العظيمة بشكل كامل، وعلى الرغم من ذلك ومن تقصيري فلم أتخذ هذين الشيئين مبررًا يمنعاني من كتابة هذا الكتاب، إن إخفاقنا أيها الرسول ﷺ في الوصول إلى النجوم لا يعني أنّا لا نسعى للوصول إليها، كم تمنيت أيها الرسول

ﷺ أن أكون معك في ذهابك للطائف، كم تمنيت لو كنت أحد الذين حضروا معك غزوة بدر، كم تمنيت وتمنيت أيها الرسول ﷺ، إلا أنه لم يُقدّر لي أن أولد قبل القرن الأول الهجري لأتشرف بذلك، إنني الآن أعيش بعد أكثر من ألف سنة اجتهدت فيها أن أعبّر عن مقدار هذا الحب الذي أكنه لك أيها الرسول ﷺ، فأرجو أن تتقبل هذا الكتاب هدية إليك، فأنت قد قبلت هدية عتبة وشيبة عندما قدم لك غلامهما العنب وأنت في الطائف؟! ألا أستحق أن تقبل مني هذا الكتاب هدية؟!







المصادر المهمة للكتاب

لقد مرّت معنا أثناء قراءة الكتاب جميع المصادر التي اعتمدت عليها، وتذكيرًا بأهم هذه المصادر:

١-القرآن الكريم.

٢-نهج البلاغة.

٣-صحيح البخاري.

٤-صحيح مسلم.

٥-مسند أحمد بن حنبل.

٦-سنن الترمذي.

٧-سنن النسائي.

٨-سنن أبي داود.

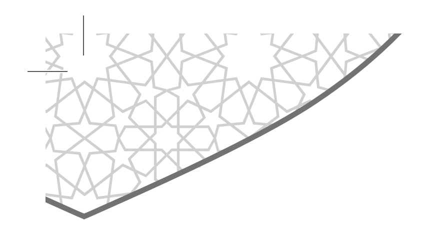
٩-موطأ الإمام مالك.

١٠-شرح الباري في صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني.

١١-تاريخ دمشق: ابن عساكر.

١٢-مروج الذهب:المسعودي.





١٣-الكامل في التاريخ: ابن الأثير.
١٤-السيرة النبوية: ابن هشام.
١٥-تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي.
١٦-العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي.
١٧-الطبقات الكبرى: ابن سعد.
١٨-تاريخ مدينة صنعاء: الحافظ الرازي.
١٩-الفصول المهمة: ابن الصباغ.
٢٠-مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني.
٢١-الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبري.
٢٢-تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري.
٢٣- الثقوب السوداء والأكوان الطفلة: ستيفن هوكنج/ ترجمة/ د. حاتم النجدي.
٢٤- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية: د.عز الدين فرّاج.
٢٥-تفسير القرطبي.
٢٦-السنن الواردة في الفتن: أبو عمرو الداني.
27- A Brief History of Time: Stephen Hawking.
28- Dreams of a Final Theory: Steven Weinberg.
29- Facing Up: Steven Weinberg.

هـذه المصادر هي التي اعتمدت عليهـا في الأحداث التاريخية والأحاديث النبوية، أما بالنسـبة للبحـوث العلمية التي ذكرتها في هذا الكتـاب فاعتمـدت على المؤلفـات أعلاه، وهناك عشـرات المصادر

العلميـة اعتمدت عليهـا أيضًا، إضافة إلـى الكثير من مواقع الشـبكة، ودراسـتي التخصصيـة أيضًا، هذا وأسـال الله تقدس اسـمه أن يوفقنا لمـا فيه الخير، كمـا أطلب من القرّاء أن لا يبخلـوا علينا بملحوظاتهم ونصائحهـم التـي اسـتفدت منهـا كثيـرًا فيمـا سـبق، كمـا أتمنـى إذا كانـت توجـد ملحوظـة معينة في هـذا البحث أن تُرسـل علـى البريد الإلكتروني.

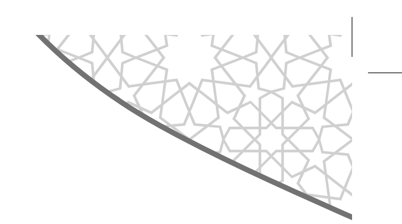
حسن الخاطر

القطيف/ ١٤٣١هـ

Hassan-ksu@hotmail.com







كلمة أخيرة

«منْ لم يَشكُرِ النَّاسَ لم يَشكُرِ اللهَ».

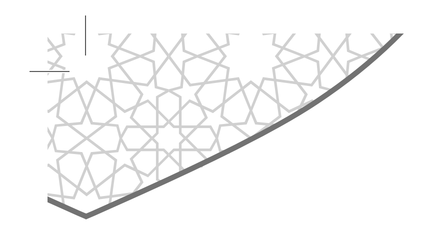
الرسول ﷺ/ سنن الترمذي

إن قرّاء هذا الكتاب سـوف يجدون اللغة البسـيطة التي حاولت من خلالها كتابة السـيرة النبوية، وقد أضطر في أكثر الأحيان لتبسـيط الكثير من المفاهيم العلمية ليستطيع القارئ تناولها.

إن من واجبي أن أشكر جميع من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى الوجود، وأعبر عن شـكري الجزيل لهم، على النصح والتعليقات والإخراج والمساهمات المادية وجميع ما يتعلق بهذا الكتاب.

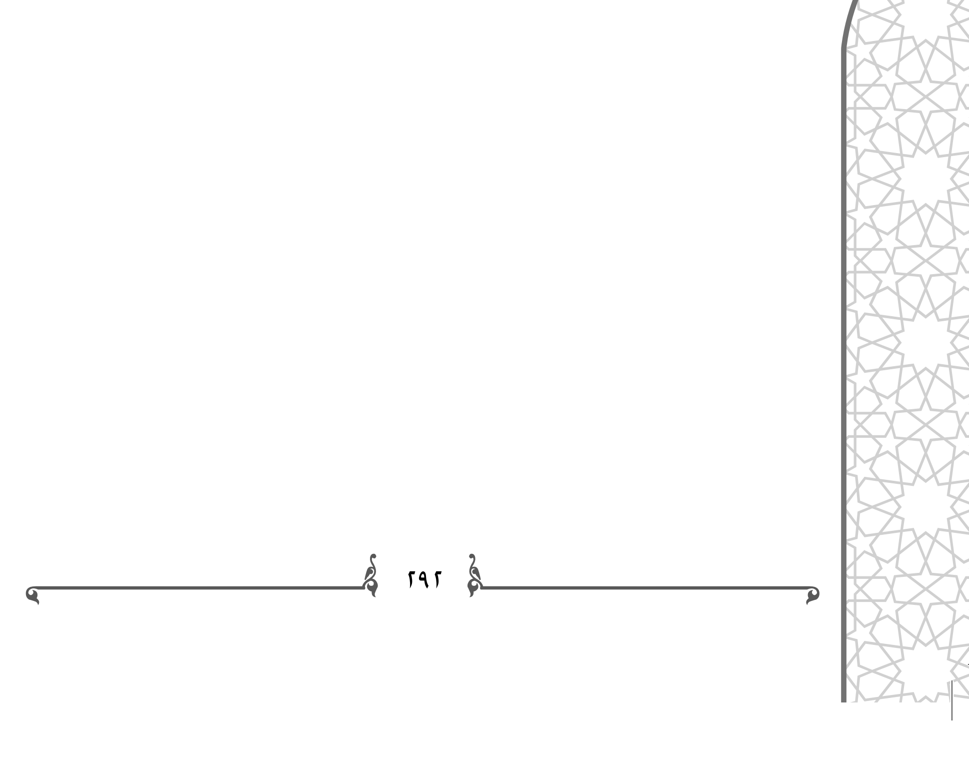
إننـي ممتـن لهم كثيـرًا على تفرغهـم لقراءة الكتـاب وتصويب الكثير من الأخطاء الخطيرة التي كدت أقع فيها لولا نصحهم:

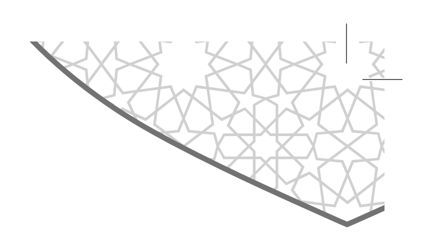
١- الأستاذ السيد هاشم الهاشم.



٢- الأستاذ هاني العجيان.
٣- الأستاذ موسى الخويلدي.
٤- الأستاذ جاسم آل سعيد.
٥- الشيخ عبد العظيم الشيخ.
٦- الأستاذ عبد الخالق الجنبي.
٧- الأستاذ زهير الهنيدي.
٨- المهندس حسن الجشي.

هذا وأسأل الله تقدس اسمه أن يثيبهم على ذلك، إنه سميع مجيب.





الفهرست